حروف نورانية من صحيفة الأبرار

المؤلف
العلامة الكبير مولانا الميرزا محمد تقي التبريزي
المقاني الاصل الملقب بحجة الاسلام والمتخلص
بالنير أعلى الله مقامه.

الطبعة الأولى
1425هـ - 2005م

حروف نورانية
من
صحيفة الأبرار

العلامة الكبير مولانا الميرزا محمد تقي التبريزي الممقاني الأصل
الملقب بحجة الإسلام والمتخلص بالنير
أعلى الله مقامه

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

شبكة الفكر
alfeker.net

طبع هذا الكتاب المستطاب
هدية إلى جناب الحاج الكريم
علي عبدالله العطار
زاد الله في توفيقاته
طبعه هدية إلى جنابه ابنته (نوارة) وفقها
الله تعالى
على أن يباع هذا الكتاب الشريف
ليستفاد من ريع بيعه لطباعة كتب
أخرى مماثلة
والله ولي التوفيق

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضل نبيه خاتم الأنبياء والمرسلين على خلقه أجمعين ،وجعل الفضل من بعده لوصيه ووزيره وأخيه خير الوصيين ولبضعته سيدة نساء العالمين ولأولادهما الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين، والحمد لله الذي جعلنا من المقرين بفضائلهم والمسلمين ، ولم يكتبنا من الجاحدين المرتابين الشاكين المشككين المنكرين الكافرين ، والصلاة والسلام على نبينا خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، الذي ملأت فضائلهم الخافقين وطبق ذكرهم المشرقين والمغربين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الدين ، ومن كان لفضيلة من فضائلهم من الجاحدين والمنكرين إلى قيام يوم الدين آمين رب العالمين .

وبعد ، فلا أريد أن أطيل الكلام في المقدمة ، فإني لما رأيت منتحلي محبة أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين قد افترقوا فرقتين ، فرقة أقرت بفضائلهم ويلمت لهم - جعلنا الله منهم - ، وفرقة جحدتها وأنكرتها وشككت فيها وفي صحتها - أبعدنا الله عنهم وكفانا شرهم -، أن كتاب صحيفة لأبرار لمولانا المقدس العلامة الكبير الميرزا محمد تقي

التبريزي الممقاني النير قدس الله نفسه وعطر رمسه من الكتب التي امتلأت بذكر فضائلهم ، انتخبت مجموعة من هذه الأخبار التي تفضل هذا العالم الجليل بشرح ميسر عليها ، وأورد عليها تحقيقات دقيقة لطيفة ، مع قصرها حاوية لكثير من المعاني، وشاملة لبيان كثير من مقاماتهم الشريفة ، أحببت أن أجمعها في كتاب مستقل ليكون فيها الفائدة المنفعة للمقرين المسلمين ، والحجة على الجاحدين المنكرين، فأسأل الله تعالى أن ينفع فيها المؤمنين وأن لا يميتنا إلا على حبهم والإقرار بفضائلهم آمين يا رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبن الطاهرين .

أقل الناس علما وعملا وأكثرهم جرما وزللا

حسين علي المطوع

غفر الله له ولوالديه

ما خرج من علمهم إلا ألف غير معطوفة

بصائر الدرجات للشيخ الثقة محمد بن حسن الصفار حدثنا الحسن بن موسى الخشاب ، عن إسماعيل بن مهران ، عن عثمان بن جبلة ، عن كامل التمار قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم فقال لي :يا كامل اجعلوا لنا ربا نؤب إليه وقولوا فينا ما شئتم ، قال : قلت نجعل لكم ربا تؤبون إليه و نقول فيكم ما شئنا ، قال : فاستوى جالسا، ثم قال : وما عسى أن تقولوا والله ما خرج إليكم من علمنا إلا ألفا غير معطوفة[1] .

تحقيق لطيف في الألف غير المعطوفة

يقول مصنف هذا الكتاب عفا الله عنه المراد بالألف غير المعطوفة الأمر المجمل غير المفصل لأن الألف غير المعطوفة هي الألف نفسها في مقابل الألف المعطوفة التي هي الباء ويقال لها الألف المبسوطة أيضا لأن الباء حدثت من ميل الألف المستقبلة هكذا (ا) إلى الانبساط والانعطاف هكذا (—) كما قررنا في علم الخط والإطلاق المذكور شايع بين أهل الحروف فالألف شكلها شكل الإجمال والباء التي هي الألف المعطوفة شكلها شكل التفصيل لميلها إلى الانبساط والتكثر فافهم.

وله معنى آخر، وهو أنه ما خرج إليكم إلا حرف واحد ابتدائي لم

---

(١) مختصر بصائر الدرجات ٥٩، بحار الأنوارج٢٥ ص٢٨٣، بصائر الدرجات ٥٠٧

ينضم إليه سائر الحروف بعد لتتم الكلمة والمآل واحد عند التدقيق وإن كان بينهما في الابتداء فرق دقيق .

كل شيء ناطق بذكر محمد وأوصيائه

كتاب مقتضب الأثر في النصوص على الأئمة الاثنى عشر للشيخ الجليل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن عياش (بالياء المثناة التحتانية والشين المعجمة) الدوريستي، قال : حدثني محمد بن جعفر الأدمي من أصل كتابه وأثنى ابن غالب الحافظ عليه، قال: حدثني أحمد بن عبيد بن ناصح ، قال : حدثني الحسين بن علوان الكلبي ، عن همام بن الحارث ، عن وهب بن منبه (ح) كتاب المحتضر (بالحاء المهملة والضاد المعجمة) للحسن بن سليمان الحلي ﷺ، ما رواه من كتاب السيد حسن بن كيش عن وهب بن منبه واللفظ للأول قال : (إن موسى عليه السلام نظر ليلة الخطاب إلى كل شجرة في الطور وكل حجر ونبات تنطق بذكر محمد ﷺ واثني عشر وصيا له من بعده، فقال موسى إلهي لا أرى شيئا خلقته إلا وهو ناطق بذكر محمد ﷺ وأوصيائه الاثني عشر فما منزلة هؤلاء عندك، قال يا ابن عمران إني خلقتهم قبل خلق الأنوار وجعلتهم في خزانة قدسي يرتعون في رياض مشيتي ويتنسمون من روح جبروتي ويشاهدون أقطار ملكوتي حتى إذا شئت مشيتي أنفذت قضائي وقدري، يا ابن عمران إني سبقت بهم السباق حتى أزخرف بهم جناني، يا ابن عمران تمسك بذكرهم فإنهم خزنة علمي وعيبة حكمتي ومعدن نوري، قال حسين بن علوان فذكرت ذلك لجعفر بن محمد عليه السلام فقال حق ذلك هم اثنا عشر من آل محمد ﷺ علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي ومن

شاء الله قلت جعلت فداك إنما سألتك لتفتيني بالحق قال أنا وابني هذا وأومأ إلى ابنه موسى عليه السلام والخامس من ولده يغيب شخصه ولا يحل ذكره باسمه)[1].

تحقيق لطيف في النهي عن تسمية القائم عليه السلام باسمه

يقول مصنف هذا الكتاب قد ورد في عدة أخبار النهي عن تسمية القائم عليه السلام زمان غيبته، منها هذا الحديث وورد في عدة من الأخبار المعتبرة ذكره باسم محمد بن الحسن عليه السلام وقد اعترض بعض النواصب في ذلك على الشيعة بأن في قولهم تناقضا في ذلك، والمسكين لم يعرف أن لأئمتنا عليهم السلام ألقابا وأسماء متعددة كما للنبي صلى الله عليه وآله فإن من أسمائه محمد ومنها أحمد إلى غير ذلك من الأسماء والألقاب فإذا تحقق ذلك نقول يا مسكين من أين علمت أن اسم مولانا المخزون المكنون هو الذي ورد به التصريح حتى ألزمتنا بالتناقض وقول النبي صلى الله عليه وآله إنه سميي لا يستلزم ذلك لأن أسماءه أيضا متعددة فلعله سمي باثنين أو أكثر من أسمائه فأظهروا واحدا وكتموا الآخر كما هو كذلك في الواقع فإن اسمه المكنون غير هذا الاسم المصرح به في الأخبار وقد غفل عن هذه الدقيقة كثير من أصحابنا أيضا فحسبوا بين الأخبار تعارضا من تلك الجهة ودفعه ما ذكرناه فتدبر.

علي الأول والآخر والظاهر والباطن

بصائر الدرجات للصفار رحمه الله إبراهيم بن هاشم عن البرقي عن ابن سنان قال قال أبو عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لقد أسرى

---

(٢) مقتضب الأثر ٤١، بحار الأنوار ج٢٦ ص٣٠٨ وج٥١ ص١٤٩.

بي ربي فأوحى إلي من وراء الحجاب ما أوحى وكلمني فكان مما كلمني أن قال يا محمد علي الأول وعلي الآخر و الظاهر و الباطن وهو بكل شيء عليم [فقلت][1] يا رب أليس ذلك أنت؟ قال فقال يا محمد إني أنا الله لا إله إلا أنا الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون إني أنا الله لا إله إلا أنا الخالق البارئ المصور لي الأسماء الحسنى يسبح لي من في السماوات والأرضين وأنا العزيز الحكيم يا محمد إني أنا الله لا إله إلا أنا الأول فلا شيء قبلي وأنا الآخر فلا شيء بعدي وأنا الظاهر فلا شيء فوقي وأنا الباطن فلا شيء تحتي وأنا الله لا إله إلا أنا بكل شيء عليم يا محمد علي الأول أول من أخذ ميثاقي من الأئمة يا محمد علي الآخر آخر من أقبض روحه من الأئمة وهو الدابة التي تكلمهم يا محمد علي الظاهر أظهر عليه جميع [ما أوحيه][2] إليك ليس لك أن تكتم منه شيئا يا محمد علي الباطن أبطنته سري الذي أسررته إليك فليس فيما بيني وبينك سر [دونه][3] يا محمد [علي عليم كلما خلقت][4] من حلال أو حرام علي عليم به)[5].

تحقيق لطيف في تسمية علي عليه السلام بدابة الأرض

يقول المصنف هذا في تسمية علي عليه السلام بدابة الأرض إشارة إلى أنه لا متحرك في أرض الإمكان إلا هو وأن كل متحرك فحركته بفاضل حركته وهو معنى الولاية المطلقة فافهم.

---

(١) في نسختنا من البصائر (فقال).

(٢) في نسختنا من البصائر: ما أوصيته .

(٣) في نسختنا من البصائر أزويه .

(٤) في نسختنا من البصائر (عن علي ما خلقت).

(٥) بصائر الدرجات ٥١٤ ، بحار الأنوار ج١٨ ص٣٧٧ وج٤٠ ص٥٣ وج٥٣ ص٦٨، مختصر بصائر الدرجات ٦٣

الكفر بعلي كفر بالله والإيمان به إيمان بالله

حدثنا أحمد بن محمد الصائغ العدل، قال: حدثنا عيسى بن محمد العلوي، قال: حدثنا أبو عوانة، قال: حدثنا محمد بن سليمان بن بزيع الخزاز، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان، عن سلام بن أبي عمرة الخراساني، عن معروف بن خربوذ المكي، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: قال رسول الله ﷺ: (يا حذيفة إن حجة الله عليكم بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام الكفر به كفر بالله والشرك به شرك بالله والشك فيه شك في الله والإلحاد فيه إلحاد في الله والإنكار له إنكار لله والإيمان به إيمان بالله، لأنه أخو رسول الله ووصيه وإمام أمته ومولاهم وهو حبل الله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام، لها وسيهلك فيه اثنان ولا ذنب له محب غال ومقصر، يا حذيفة لا تفارقن عليا فتفارقني ولا تخالفن عليا فتخالفني، إن عليا مني وأنا منه من أسخطه فقد أسخطني ومن أرضاه فقد أرضاني)[1].

تحقيق لطيف في معنى أن الكفر بعلي عليه السلام كفر بالله

يقول مصنف هذا الكتاب قوله عليه السلام (الكفر به كفر بالله...إلخ) كأني بالمتكلفين يرتكبون المجاز في توجيهه لأنهم يثبتون هنا كفرين أحدهما غير الآخر وليس كذلك بل الكفر كفر واحد وتوضيحه أن الله لا يعرف من نحو ذاته لأحد وإلا لكان مدركا ومحاطا وهو

(١) الأمالي للصدوق ١٩٧، بحار الأنوار ج٣٨ ص٩٧

علامة الحدوث وإنما تعرف إلى عباده بما وصف به نفسه فمن عرف ذلك الوصف عرف الموصوف ومعنى ذلك الوصف في عالم الأعيان الهيكل العلوي النوراني ولذا قال (معرفتي بالنورانية معرفة الله ومعرفة الله معرفتي بالنورانية) فحصر معرفة الله في معرفته لأنه صيغ على وفق حروف كلمة التوحيد في الألفاظ فكما أن لفظ كلمة التوحيد يدل عليه تعالى باللفظ كذلك ذلك الهيكل يدل عليه تعالى بالعين فالكفر بالله في الحقيقة كفر بذلك الوصف العنواني الأنموذج الفهواني والكفر به كفر بالله بمعنى أن لا معنى للكفر بالله سوى الكفر به وبهذا القياس باقي الفقرات لأن العنوان غير ملحوظ في جنب ظهور ذي العنوان فلا ذكر لعلي عليه السلام من حيث هو هو في جنب ظهوره سبحانه به له ولسائر الخلق ولو بأثر ما له منه فافهم وتبصر، وأما التفريق بين الكفرين فهو درجة أهل الصور ولا بأس به غير أنه أخس المعاني ولا ينفتح به الباب الذي يفتح منه ألف باب والله ولي الحساب.

يجري الأرزاق على أيدينا

بصائر الصفار حدثنا محمد بن عبد الجبار، عن الحسن ابن الحسين اللؤلؤي، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن صالح، عن أبي حمزة قال: (كنت عند علي بن الحسين عليه السلام وعصافير على الحائط قبالته يصحن، فقال: يا أبا حمزة أتدري ما يقلن، قال: يتحدثن إنهن وقت يسألن فيه قوتهن، يا أبا حمزة لا تنامن قبل طلوع الشمس فإني أكرهها لك إن الله يقسم في ذلك الوقت أرزاق العباد وعلى أيدينا يجريها)[1].

(١) بصائر الدرجات ص٣٤٣، بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٣ و ج ١٨ ص ٣٠٦

المصنف يتعجب من حال بعض المقصرين

يقول العبد الضعيف محمد التقي الشريف مصنف هذا الكتاب كأني بالضعفاء إذا سمعوا هذا الحديث يضيقون به ذرعا فينكرونه أو يأولونه بما لا يرضي صاحب الحديث عليه السلام مع أنهم آمنوا بمثله في ميكائيل ملك الرزق من غير تردد أو تشويش فيا لله وبعيد ضعفاء قد ائتمروا على أن يغلوا يد الله تعالى عن خلقه ويعزلوه عن ملكه ولا يتركوه يفعل في ملكه ما يشاء ويجري أموره على يدي من يريد فوضعوا لربهم حدا حرموا عليه أن يتعداه فينقص منه أو يزيد ربقه طاعة آل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

حديث معرفتهم بالنورانية

العوالم للشيخ المحدث الجليل الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني من تلاميذ مولانا محمد الباقر المجلسي ذكر أستاذي العلامة رفع الله مقامه ذكر والدي رحمه الله أنه رأي في كتاب عتيق جمعه بعض محدثي أصحابنا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام هذا الخبر ووجدته أيضا في كتاب عتيق مشتمل على أخبار كثيرة .

أقول: هذا قول المجلسي رحمه الله ونقل تلميذه عنه في كتاب الإمامة من كتابه عوالم العلوم ووجدت على حاشية النسخة التي عندي من كتاب العوالم بخط الشيخ الأجل العلامة الكبريائي مولانا الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي أنار الله برهانه عند نقل صاحب الكتاب هذا الكلام عن المجلسي رحمه الله ما هذا عبارته :الظاهر أن هذا الكتاب هو كتاب أنيس السمراء وسمير الجلساء لأن هذا الحديث

وحديث الخيط الأصفر مذكوران فيه انتهى كلامه زيد مقامه.

وأقول : وتحقيق هذا الظهور أن صاحب العوالم روى بعد هذا الحديث الآتي حديث الخيط الأصفر عن شيخه المجلسي ﷺ عن الكتاب العتيق المذكور بسند هو بعينه السند الذي ذكره شيخنا العلام المذكور في كتاب شرح الجامعة في شرح فقرة (وموضع الرسالة) بحديث الخيط عن كتاب أنيس السمراء كما يأتي إن شاء الله ذكره في القسم الثاني في معجزات السجاد عليه السلام. هذا وقال شيخنا العلام المذكور في كتابه شرح الجامعة في شرح فقرة (أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم..إلخ) ما هذا لفظه: والمراد بالعارف بهم العارف بهم بالمعرفة النورانية كما في حديث علي عليه السلام لسلمان أبي ذر على ما في أنيس السمراء) هي.

مع أن الخبر عند أهل العلم أشهر من أن يحتاج إلى الخوض في تحقيق سنده ومتنه مع ذلك شاهد لصحة صدوره عن مصدر الولاية عند صاحب الذوق السليم والطبع المستقيم ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إن الله غني عن العالمين وصورة الحديث هذا :

قال روى محمد بن صدقة أنه سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسي رضي الله عنهما فقال : يا أبا عبد الله ما معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية ؟

قال : يا جندب فامض بنا حتى نسأله عن ذلك .

قال : فأتيناه فلم نجده قال فانتظرناه حتى جاء ، قال صلوات الله عليه : ما جاء بكما ؟

قالا : جئناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية .

قال عليه السلام : مرحبا بكما من وليين متعاهدين لديه لستما بمقصرين

لعمري إن ذلك الواجب على كل مؤمن ومؤمنة ، ثم قال ﷺ : يا سلمان ويا جندب.

قالا : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال ﷺ : إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية فإذا عرفني بهذه المعرفة امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفا مستبصرا ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب ، يا سلمان ويا جندب.

قالا : لبيك يا أمير المؤمنين.

قال ﷺ : معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل ومعرفة الله ﷻ معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ الآية ، يقول ما أمروا إلا بنبوة محمد ﷺ وهو الدين الحنفية المحمدية السمحة ، وقوله ﴿ويقيموا الصلاة﴾ فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة وإقامة ولايتي صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فالملك إذا لم يكن مقربا لم يحتمله ، والنبي إذا لم يكن مرسلا لم يحتمله ، والمؤمن إذا لم يكن ممتحنا لم يحتمله.

قلت : يا أمير المؤمنين من المؤمن وما نهايته وما حده حتى أعرفه؟

قال ﷺ : يا أبا عبد الله قلت لبيك يا أخا رسول الله قال المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا إليه شيء إلا شرح الله صدره لقبوله ولم يشك ولم يرتد (يرتب) ، اعلم يا أبا ذر أنا عبد الله

وخليفته على عباده لا تجعلونا أربابا وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته فإن الله عز وجل قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون.

قال سلمان : قلت يا أخا رسول الله، ومن أقام ولايتك أقام الصلاة؟

قال : نعم يا سلمان تصديق ذلك قوله تعالى في كتابه العزيز ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ فالصبر رسول الله صلى الله عليه وآله والصلاة إقامة ولايتي ، فمنها قال الله تعالى ﴿وإنها لكبيرة﴾ ولم يقل وإنهما لكبيرة لأن الولاية كبيرة حملها إلا على الخاشعين ، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون وذلك لأن أهل الأقاويل من المرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم من الناصبة يقولون لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ليس بينهم خلاف وهم مختلفون في ولايتي منكرون لذلك جاحدون بها إلا القليل وهم الذين وصفهم الله في كتابه العزيز فقال ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ ، وقال الله تعالى في موضع آخر في كتابه العزيز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وفي ولايتي ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ فالقصر محمد صلى الله عليه وآله والبئر المعطلة ولايتي عطلوها وجحدوها ومن لم يقر بولايتي لم ينفعه الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله لأنهما مقرونان وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله نبي مرسل وهو إمام الخلق وعلي من بعده وصيه وإمام الخلق كما قال له النبي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وأولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد فمن استكمل معرفتي فهو على الدين القيم كما قال

الله تعالى ﴿وذلك دين القيمة﴾ وسأبين ذلك بعون الله وتوفيقه. يا سلمان ويا جندب .

قالا : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : كنت أنا ومحمد نورا واحدا من نور الله عز وجل فأمر الله تبارك وتعالى ذلك النور أن ينشق فقال للنصف كن محمدا وللنصف كن عليا لذلك قال رسول الله ﷺ علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا علي وقد وجه أبا بكر ببراءة إلى مكة فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد ، قال : لبيك ، قال : إن الله يأمرك أن تؤدي أنت أو رجل منك، فوجهني في استرداد أبي بكر فرددته فوجد في نفسه وقال يا رسول الله أنزل في قرآن قال لا ولكن لا يؤدي عني إلا علي، يا سلمان ويا جندب.

قالا : لبيك يا أخا رسول الله.

قال : يا سلمان ويا جندب، فأنا ورسول الله كنا نورا واحدا صار رسول الله المصطفى وصرت أنا وصيه المرتضى وصار محمد الناطق وصرت أنا الصامت وإنه لا بد في كل عصر من الأعصار أن يكون فيه ناطق وصامت، يا سلمان،صار محمد المنذر وصرت أنا الهادي وذلك قوله عز وجل ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ فرسول الله المنذر وأنا الهادي ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾.

قال : فضرب بيده على أخرى وقال صار محمد صاحب الجمع وصرت أنا صاحب النشر وصار محمد صاحب الجنة وصرت أنا صاحب النار أقول لها خذي هذا وذري هذا وصار محمد ﷺ صاحب الرجفة وصرت أنا صاحب الهدة وأنا صاحب اللوح المحفوظ ألهمني الله ﷻ علم ما فيه.

يا سلمان ويا جندب ، وصار محمد ﴿يس * والقرآن الحكيم﴾ وصار محمد ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ وصار محمد ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ وصار محمد صاحب الدلالات وصرت أنا صاحب المعجزات والآيات وصار محمد خاتم النبيين وصرت أنا خاتم الوصيين وأنا الصراط المستقيم وأنا النبأ العظيم ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ ولا أحد اختلف إلا في ولايتي وصار محمد صاحب الدعوة وصرت أنا صاحب السيف وصار محمد نبيا مرسلا وصرت أنا صاحب أمر النبي ﷺ قال الله ﷻ ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلا على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس وفوض إليه القدرة وأحيى الموتى وعلم بها ما كان وما يكون وسار من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين وعلم ما في الضمائر والقلوب وعلم ما في السماوات والأرض.

يا سلمان ويا جندب ، وصار محمد الذكر الذي قال الله ﷻ ﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا * رسولا يتلو عليكم آيات الله﴾ إني أعطيت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب واستودعت علم القرآن وما هو كائن

إلى يوم القيامة ومحمد ﷺ أقام الحجة وصرت أنا حجة الله عز وجل جعل الله لي ما لم يجعل لأحد من الأولين والآخرين لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب يا سلمان ويا جندب.

قالا : لبيك يا أمير المؤمنين.

قال : أنا الذي حملت نوحا في السفينة بأمر ربي وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست أشجارها بإذن ربي وأنا عذاب يوم الظلة وأنا المنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان الجن والإنس وفهمه قوم وإني لأسمع كل قوم الجبارين والمنافقين بلغاتهم وأنا الخضر عالم موسى وأنا معلم سليمان وأنا ذو القرنين وأنا قدرة الله عز وجل، يا سلمان ويا جندب.

قالا : لبيك يا أمير المؤمنين.

قال : أنا محمد ومحمد أنا وأنا من محمد ومحمد مني قال الله تعالى﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾ يا سلمان ويا جندب.

قالا : لبيك يا أمير المؤمنين قال إن ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب وإن قتلانا لم يقتلوا ،يا سلمان ويا جندب .

قالا : لبيك يا أمير المؤمنين.

قال : أنا أمير كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى وممن بقي وأيدت بروح العظمة وأنا تكلمت على لسان عيسى في المهد وأنا آدم وأنا نوح وأنا إبراهيم وأنا موسى وأنا عيسى وأنا محمد أتقلب في الصور كيف

أشاء من رآني فقد رآهم ومن رآهم فقد رآني ولو ظهرت للناس في صورة واحدة لهلك في الناس وقالوا هو لا يزول ولا يتغير وإنما أنا عبد من عبيد الله عز وجل لا تسمونا أربابا وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر لأنا آيات الله ودلائله وحجج الله وخلفاؤه وأمناء الله وأئمته ووجه الله وعين الله ولسان الله بنا يعذب الله عباده وبنا يثيب ومن بين خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا ولو قال قائل لم وكيف وفيم لكفر وأشرك لأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، يا سلمان ويا جندب.

قالا : لبيك يا أمير المؤمنين، قال من آمن بما قلت وصدق بما بينت وفسرت وشرحت وأوضحت ونورت وبرهنت فهو مؤمن ممتحن امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وهو عارف مستبصر قد انتهى وبلغ وكمل ومن شك وعند وجحد ووقف وتحير وارتاب فهو مقصر وناصب، يا سلمان ويا جندب.

قالا : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : أنا أحيي وأميت بإذن ربي وأنا أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بإذن ربي وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا لأنا كلنا واحد، أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد ﷺ ولا تفرقوا بيننا فإنا نظهر في كل زمان ووقت وأوان في أي صورة شئنا بإذن الله عز وجل ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله الويل كل الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئا مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عز وجل ومشيته فينا ، يا سلمان ويا جندب.

قالا : لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.

قال : لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجل وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كله، قلنا يا أمير المؤمنين ما الذي أعطاكم ما هو أعظم وأجل من هذا كله؟ قال قد أعطانا ربنا عز وجل وعلمنا الاسم الأعظم الذي لو شئنا خرقنا السماوات والأرض والجنة والنار ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ونغرب ونشرق وننتهي به إلى العرش فنجلس عليه بين يدي الله عز وجل ويطيعنا كل شيء حتى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والجنة والنار أعطانا الله ذلك كله بالاسم الأعظم الذي علمنا وخصنا به ومع هذا كله نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا ونحن عباد الله المكرمون الذين ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ وجعلنا معصومين مطهرين وفضلنا على كثير من عباده المؤمنين فنحن نقول﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ و﴿حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ أعني الجاحدين بكل ما أعطانا الله من الفضل والإحسان ، يا سلمان ويا جندب ، فهذا معرفتي بالنورانية فتمسك بها راشدا فإنه لا يبلغ أحد من شيعتنا حد الاستبصار حتى يعرفني بالنورانية فإذا عرفني بها كان مستبصرا بالغا كاملا قد خاض بحرا من العلم وارتقى درجة من الفضل واطلع على سر من سر الله ومكنون خزائنه)[1] ،هي.

تحقيق لطيف في بيان بعض فقرات حديث النورانية

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب، قد

---

(١) بحار الأنوار ج٢٦ ص١.

ذهب هذا الحديث بعقول قوم فمنهم من استوحش منه وأنكر ومنهم من وقف وتحير وسلم قليل من بينهم وتبصر ومن خاض في بحار الأخبار وجاس خلال تلك الديار وجد فقرات هذا الحديث متواترة إما لفظا وإما معنى فليس فيه ما يوجب حيرة الضعفاء في بادئ الرأي سوى فقرات عديدة فلنشر إلى شيء من معانيها حتى يخسأ المعاند ويذهب المتوقف بتأويله الأبرد.

فمنها قوله ﷺ (أنا الذي حملت نوحا في السفينة) وما يتلوه ويضاهيه من الفقرات وإنما نشأ الحيرة فيه من عدم التأمل في الأخبار التي نقلوها وتلقوها بالقبول في غير هذا الموضع من غير نكير وهي أن الله تعالى خلق أنوارهم قبل خلق الخلق حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا نبي ولا ملك ولا إنس ولا جن ولا غير ذلك من المخلوقات فإن الأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى ولم يعهد من أحد إلى الآن إنكارها وتأخر ظهورهم البشري لا ينافي ذلك فإن المدار على الظهور الوجودي لا البشري الظاهري فافهم.

وتواترت الأخبار أيضا أنهم عليهم السلام يد الله الباسطة ولسانه الناطق في خلقه فإذا كان الأمر على ذلك فما يمنعك أيها المنكر من أن يبعث الله تعالى يده الباسطة في عالم الأنوار فيحمل نوحا في السفينة ويخرج يونس من بطن الحوت ويجاوز موسى بن عمران البحر ويخرج إبراهيم من النار ويبعث لسانه الناطق فيتكلم على لسان عيسى في المهد وعلى لسان الخضر في تعليم موسى وعلى لسان نملة في تعليم سليمان كما تكلم الله تعالى مع موسى من الشجرة ويبعث يده كذلك فيجري أنهار الدنيا ويفجر عيونها ويغرس أشجارها إلى غير ذلك

مع أنه لو قيل إن الله تعالى بعث ملكا فحمل نوحا في السفينة وأخرج يونس من بطن وجاوز بموسى البحر وأخرج إبراهيم من النار وتكلم على لسان عيسى وعلم موسى وسليمان ونادى بنداء سمعه الثقلان ممن مضى ويأتي وأجرى أنهارها وفجر عيونها وغرس أشجارها وأشباه ذلك لم تقابل شيئا من ذلك بالإنكار فما بالك تقبله في الملك وتنكره فيمن لولاه لم يوجد ملك ولا فلك.

ومنها قوله ﷺ (إن ميتنا لم يمت) وقد قال الله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[1].

ومنها قوله ﷺ (أنا آدم أنا نوح...إلخ) وقد رووا مثله في القائم ﷺ حين يظهر ويسند ظهره إلى الكعبة ويقول من أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فها أنا آدم وشيث ثم يعد جمعا من الأنبياء ولم أجد أحدا توقف في هذا الحديث إلى الآن فضلا عن إنكاره فكل تأويل يجري فيه يجري مثله في ذلك.

وأما قوله ﷺ (أتقلب في الصور كيف أشاء) فبيانه يحتاج إلى كشف بعض الأستار ولا إقبال لي الآن عليه والإشارة إليه على سبيل الإجمال أن الأخبار تواترت في أن الله تعالى خلق محمدا وآل محمد وخلق من أشعة أنوارهم وفاضل طينتهم الأنبياء وسائر الخلق وهذا أيضا مما لا ينكر فإذا أردنا تصوير ذلك بالتمثيل الشهودي كان نورهم ﷺ كقرص الشمس وسائر الخلق من الأنبياء وغيرهم كالأشعة الواقعة منها في المرايا المقابلة لذلك القرص فإنها كلها أثر الشمس لا ذاتها فإن ذاتها في الفلك الرابع ولم تنزل إلى الأرض ولا

---

(١) آل عمران ١٦٩

ريب في أن الأشعة المرآتية تختلف بحسب اختلاف المرايا في الصفاء والكدورة والاعوجاج والاستقامة وهي مثال اختلاف قابليات الخلق في قبول الوجود من منيرهم فكلما كان من المرايا قابليته أصفى وأقوم كان الشعاع الواقع فيه بالشمس أشبه وكلما كان أعوج كان بعيدا عن الشبه ولا يحكم عليه أنه صورة الشمس لبطلان المشابهة بسبب شدة الاعوجاج فيرمى خارج العالم وهو مثال المدبرين عن مبدأ الحق والأول مثال المقبلين كل على حسب قابليته ولما كان الأنبياء عليهم السلام أقرب الخلق إلى مبدأ النور لصفاء قابلياتهم الذاتية نوعا وإن اختلف أفرادهم أيضا في الشدة والضعف كانوا أشبه الخلق بأنوار محمد وآله صلى الله عليه وآله وأشد تعلقا بهم من سائر الخلق نوعا .

وإذ تقرر هذا فارجع إلى مثالنا المفروض وسم كلا من الأشباح الشعاعية الواقعة في المرايا المستقيمة الصافية الشبيهة بقرص الشمس باسم وليكن أحدها (أ) والآخر (ب) وآخر (ج) وآخر (د) وهكذا ومن البيّن أنه يصح للشمس أن تقول أنا (أ) أنا (ب) أنا (ج) أنا (د) وتريد بها الصور الشبيهة بها وكذا تقول من رآهم فقد رآني ومن رآني فقد رآهم وأنا الذي أتقلب في تلك الصور كيف أشاء وذلك لأنها كلها صادرة عن إشراقها وقائمة بها قيام صدور فالصور صورها وهي أولى بها منها بنفسها لأن المنير أولى بالشعاع من نفس الشعاع لأن له الولاية عليها هذا مع أن الشمس في ذاتها منزهة عن الشوب بالصور بمعنى أنها لم تحلل فيها فيقال هي فيها كائنة ولم تنأ عنها فيقال هي منها بائنة فكما تصح هذه الأمور في الشمس كذلك تصح في ولي الله المطلق الذي خلق الأنبياء من رشحات وجوده وأشعة نوره أن يقول (أنا آدم

أنا نوح أنا إبراهيم أنا موسى أنا عيسى أنا ذو القرنين وهكذا أتقلب في الصور كيف أشاء من رآني فقد رآهم ومن رآهم فقد رآني).

وأما قوله ﷺ (ولو ظهرت للناس في صورة واحدة ..إلخ) فيريد ﷺ أني لو ظهرت في عالم الشهادة بنفس الصورة من أول الأمر إلى آخر الدهر ودعوت الخلق إلى الله بنفس الصورة لقيل هو لا يزول ولا يتغير لقصور عقولهم وضعف أفهامهم فاقتضت الحكمة أن أقف بنفس في عالم الغيب في أول الأمر وأودع دعوة الله عز وجل في كل عهد في هيكل من هياكل النبوة وأظهرها منها فتارة في آدم وأخرى في نوح وهكذا ومع ذلك فأنا المهيمن على الكل وهم حجبي وأمثالي وأبدالي وإنما صاروا أنبياء مبعوثين لمشابهتهم لي في الصورة الوجودية التي هي هيكل التوحيد المخطط بخطوط الإنسانية التي هي أعدل الهياكل وأحسنها تقويما فصار أمرهم أمري وحكمهم حكمي ورؤيتهم رؤيتي، افهم يا أخي ما ألقيه إليك ولا ينبئك مثل خبير.

ومنها قوله ﷺ (أنا أحيي وأميت) فهو يحتمل معنيين كلاهما صحيحان، أحدهما أن يراد به أني قادر على الإحياء والإماتة إذا شئت وهذا المعنى مما لا يرتاب فيه مسلم لأنه من لوازم مقام النبوة والولاية لكونه من جملة المعجزات وصدوره عنهم غير عزيز وكتاب الله العزيز ناطق به.

وثانيهما أن يراد به أن أمر الإحياء والإماتة إلي بالكلية وهذا أيضا مما لا ينبغي أن يتوقف فيه شيعي لأنه مركب من قول ملكين إسرافيل وعزرائيل فكما يصح لإسرافيل أن يقول أنا أحيي النفوس ولعزرائيل أن يقول أنا أميتها ولا يلزم منه أن يكونا إلهين من دون

الله لأنهما حاملان أمر الله وليس لهما استقلال في ذلك كذلك يصح لمن جعل الله الملائكة خدامهم وعبيده لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون أن يقول مثل ذلك وينسب هذه الأفعال إلى نفسه بالطريق الأولى لأنه الواسطة الكبرى في ذلك جعل الله قلبه وعاء لمشيته ومهبطا لإرادته به يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وراجع في تحقيق ذلك إلى ما قدمناه في العناوين ولا تلجئنا إلى التكرار فليت شعري ما وجه التحير في أمثاله في هذه الأخبار وتأويلها بما تضحك منه الثكلى كقول بعض المحدثين بعد ذكر الخبر ما هذا لفظه . وقوله عليه السلام (أنا الذي حملت نوحا) أقول لو صح صدور الخبر عنه عليه السلام لاحتمل أن يكون المراد به وبأمثاله أن الأنبياء عليهم السلام بالاستشفاع بنا والتوسل بأنوارنا رفعت عنهم المكاره والفتن كما دلت عليه الأخبار الصحيحة الصريحة) انتهى .

فانظر إلى هذا المحدث الفاضل وإخراجه الكلام عن ظاهره بالكلية بعد التردد في أصل الخبر من غير داع يدعوه إليه ولعمري إنه ممن يروي في كتابه أخبارا صحيحة متواترة في أنهم عليهم السلام خلقوا قبل الخلق دهورا لا يعلم إحصاءها إلا الله وإنهم كانوا في عالم الأنوار موجودين حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا آدم ولا حواء لقبيح غاية القباحة عصمنا الله وإخواننا من الخطأ والخطل وإنما نشأت هذه الأمور من الغفلة عن ميزان تصحيح الأخبار الذي قدمناه في صدر الكتاب يا سبحان الله أن الذي يعلم الملائكة التسبيح والتقديس في ابتداء خلقهم كما نقل هو نفسه بذلك أخبارا مسلمة متواترة معنى لم لا يجوز أن يحمل نوحا في السفينة ويخرج

يونس من بطن الحوت وما الذي أقدره عليه ثم أعجزه عن ذلك مات أو هلك في أي واد سلك صدق ولي الله (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) ،هي.

بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي قال حدثني جعفر بن محمد بن سعيد الأحمسي ، معنعنا عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال : (كنت عند رسول الله ﷺ ذات يوم في منزل أم سلمة ﷺ ورسول الله يحدثني وأنا له مستمع إذ دخل علي بن أبي طالب عليه السلام فلما أن بصر به النبي ﷺ أشرق وجهه نورا وفرحا وسرورا بأخيه وابن عمه ثم ضمه إلى صدره وقبل [ما][1] بين عينيه ثم التفت إلي فقال يا أبا ذر تعرف هذا الداخل [علينا][2] حق معرفته .

قال أبو ذر : يا رسول الله هو أخوك وابن عمك وزوج فاطمة وأبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة .

فقال رسول الله ﷺ يا أبا ذر هذا الإمام الأزهر ورمح الله الأطول وباب الله الأكبر فمن أراد الله فليدخل من الباب.

يا أبا ذر هذا القائم بقسط الله والذاب عن حريم الله والناصر لدين الله وحجة الله على خلقه إن الله لم يزل يحتج به على جميع خلقه في الأمم كلها أخذ عليهم العهود بولاية هذا في المحضر كل أمة فيها نبي.

يا أبا ذر إن لله عز وجل على كل ركن من أركان عرشه سبعون ألف ملك ليس لهم تسبيح ولا عبادة إلا الدعاء لعلي والدعاء على أعدائه.

يا أبا ذر لولا علي ما أبان الحق من الباطل ولا مؤمن من كافر

(١) هذه الكلمة لم ترد في نسختنا من تفسير فرات

(٢) في نسختنا من تفسير فرات (إلينا).

وما عبد الله لأنه ضرب على رءوس المشركين حتى أسلموا وعبدوا الله ولولا ذلك ما كان ثواب ولا عقاب لا يستره من الله ستر ولا يحجبه عن الله حجاب بل هو الحجاب والستر ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾.

يا أبا ذر إن الله تعالى تفرد بملكه[1] ووحدانيته في فردانيته وفردانيته في وحدانيته فعرف عباده المخلصين من نفسه فأباح له جنته فمن أراد أن يهديه عرفه ولايته ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عليه معرفته.

يا أبا ذر هذا راية الهدى وكلمة التقوى والعروة الوثقى وإمام أوليائي ونور من أطاعني وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين فمن أحبه كان مؤمنا ومن أبغضه كان كافرا ومن ترك ولايته كان ضالا مضلا ومن جحد حقه كان مشركا.

يا أبا ذر يؤتى بجاحد حق علي وولايته يوم القيامة أصم وأبكم وأعمى يتكبكب في ظلمات يوم القيامة ينادي مناد ﴿يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله﴾ ويلقى في عنقه طوق من نار ولذلك الطوق ثلاثمائة شعبة على كل شعبة شيطان يتفل في وجهه الكلح [العبوس][2] من جوف قبره إلى النار.

فقال أبو ذر قلت فداك أبي وأمي يا رسول الله ملأت قلبي فرحا وسرورا فزدني.

(١) في نسختنا من تفسير فرات (تعزز).

(٢) هذه الكلمة لم ترد في نسختنا من تفسير فرات.

فقال : يا أبا ذر لما أن عرج بي إلى السماء فصرت في السماء الدنيا أذن ملك من الملائكة وأقام الصلاة فأخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فقدمني وقال لي يا محمد صل بالملائكة فقد طال شوقهم إليك فصليت بسبعين صفا الصف ما بين المشرق والمغرب لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم فلما انفتلت من صلاتي وأخذت في التسبيح والتقديس أقبلت إلي شرذمة بعد شرذمة من الملائكة فسلموا علي وقالوا يا محمد لنا إليك حاجة هل تقضيها يا رسول الله فظننت أن الملائكة يسألون الشفاعة عند رب العالمين لأن الله فضلني بالحوض والشفاعة على جميع الأنبياء قلت ما حاجتكم يا ملائكة ربي قالوا يا نبي الله إذا رجعت إلى الأرض فأقرئ علي بن أبي طالب منا السلام وأعلمه بأن قد طال شوقنا إليه قلت يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا فقالوا يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله خلقكم أشباح نور من نور في نور من سناء عزه ومن سناء ملكه ومن نور وجهه الكريم وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنية والأرض مدحية وهو في الموضع الذي يتوفاه فيه ثم خلق السماوات والأرضين في ستة أيام ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه تسبحون وتقدسون وتكبرون ثم خلق الملائكة من بدو ما أراد من أنوار شتى وكنا نمر بكم وأنتم تسبحون وتحمدون وتهللون وتكبرون وتمجدون وتقدسون فنسبح ونقدس ونمجد ونكبر ونهلل بتسبيحكم وتحميدكم وتهليلكم وتكبيركم وتقديسكم وتمجيدكم فما نزل من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم فلم لا نعرفكم

أقرئ عليا منا السلام وأعلمه بأنه قد طال شوقنا إليه.

ثم عرج بي إلى السماء الثانية فتلقتني الملائكة فسلموا علي وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم فقلت يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا فقالوا يا نبي الله كيف لا نعرفكم وأنتم صفوة الله من خلقه وخزان علمه وأنتم العروة الوثقى وأنتم الحجة وأنتم الجانب والجنب وأنتم الكرسي [وأنتم][1] أصول العلم قائمكم خير قائم بكم وناطقكم خير ناطق بكم فتح الله دينه وبكم يختمه فأقرئ عليا منا السلام وأخبره بشوقنا إليه.

ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فتلقتني الملائكة فسلموا علي وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم فقلت يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا فقالوا يا نبي الله لم لا نعرفكم وأنتم باب المقام وحجة الخصام وعلي دابة الأرض وفاصل القضاء وصاحب العصا وقسيم [الجنة][2] النار غدا وسفينة النجاة من ركبها نجا ومن تخلف عنها في النار يتردى، لم تقم الدعائم من أقطار الأكناف ولا أعمدة فساطيط السجاف إلا على كواهل أنواركم فلم لا نعرفكم فأقرئ عليا منا السلام وأعلمه بشوقنا إليه.

ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فتلقتني الملائكة فسلموا علي وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم فقلت ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا فقالوا لم لا نعرفكم وأنتم شجرة النبوة وبيت الرحمة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة وعليكم جبرئيل ينزل بالوحي من السماء من عند رب العالمين فأقرئ عليا منا السلام وأعلمه بطول شوقنا إليه.

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في نسختنا من تفسير فرات.
(٢) لم ترد هذه الكلمة في نسختنا من تفسير فرات.

ثم عرج بي إلى السماء الخامسة فتلقتني الملائكة فسلموا علي فقالوا لي مثل مقالة أصحابهم فقلت لهم ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا فقالوا يا نبي الله لم لا نعرفكم ونحن نغدو ونروح على العرش بالغداة والعشي فننظر إلى ساق العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ أيده الله بعلي بن أبي طالب فعلي بن أبي طالب ولي الله والعلم بينه وبين خلقه وهو دافع المشركين ومبير الكافرين فعلمنا عند ذلك أن عليا ولي من أولياء الله فأقرئ عليا منا السلام وأعلمه بشوقنا إليه.

ثم عرج بي إلى السماء السادسة فتلقتني الملائكة فسلموا علي وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم فقلت ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا فقالوا بلى يا نبي الله لم لا نعرفكم وقد خلق الله جنة الفردوس وعلى بابها شجرة ليس منها ورقة إلا عليها مكتوبة حرفين بالنور لا إله إلا الله محمد رسول الله علي بن أبي طالب عروة الله الوثيقة وحبل الله المتين وعينه على الخلائق أجمعين وسيف نقمته على المشركين فأقرئه منا السلام وقد طال شوقنا إليه.

ثم عرج بي إلى السماء السابعة فسمعت الملائكة يقولون لما أن رأوني ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ ثم تلقوني فسلموا علي وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم فقلت ملائكة ربي سمعت وأنتم تقولون ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ فما الذي صدقتم قالوا يا نبي الله إن الله تبارك وتعالى لما أن خلقكم أشباح نور من سناء نوره ومن سناء عزه وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه وأشهدكم على عباده عرض

ولايتكم علينا ورسخت في قلوبنا فشكونا محبتك إلى الله فوعدنا ربنا أن يريناك في السماء معنا وقد صدقنا وعده وهو ذا أنت معنا في السماء فجزاك الله من نبي خيرا ثم شكونا علي بن أبي طالب إلى الله فخلق لنا في صورته ملكا وأقعده عن يمين عرشه على سرير من ذهب مرصع بالدر والجواهر قوائمه من الزبرجد الأخضر عليه قبة من لؤلؤه بيضاء يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها بلا دعامة من تحتها ولا علاقة من فوقها قال لها صاحب العرش قومي بقدرتي فقامت بأمر الله فكلما اشتقنا إلى رؤية علي بن أبي طالب في الأرض نظرنا إلى مثاله في السماء)"[1].

إشارة لطيفة في ظهور ولي الله لأهل كل عالم بصورتهم

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب ونقل في تأويل الآيات هذا الخبر عن كتاب الواحدة ببعض المغايرات في العبارات بسند هذا صورته: أبو الحسن علي بن محمد بن جمهور عن الحسن بن عبد الله الأطروش قال حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي السراج قال حدثنا وكيع بن الجراح قال حدثنا الأعمش عن مورق العجلي عن أبي ذر الغفاري"[2] ثم ساق الحديث وكذا السيد التوبلي في الباب الثامن والسبعين من المقصد الثاني من كتابه غاية المرام عن الواحدة بالسند المذكور وحيث كانت رواية فرات أجمع وأقسط اخترناها عليه ثم أعلم أن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لم يكلموا الناس إلا بمقدار ما تحتمله عقولهم كما دلت عليه صريحات النقول وشهدت بتصديقها طامحات العقول وحيث كانت درجات عقول

(١) تفسير فرات الكوفي ٣٧٠، بحار الأنوار ج٢٦ ص١٠٨عن كنز الفوائد.
(٢) تأويل الآيات ٨٣١، مدينة المعاجز ج٢ ص٣٩٥.

الناس متفاوتة جدا تكلموا بكلمات جامعة محفوفة اللباب بالقشور ومستورة الأجساد بالقبور ليأخذ كل نصيبه من الكتاب ومن هذا الباب قوله ﷺ عن الملائكة في هذا الخبر فخلق لنا في صورته ملكا الخ، فدفع بذلك وحشة أصحاب الظاهر ودل من يعرف دقائق كلامهم عليهم السلام إلى أن ولي الله يظهر بين كل نوع بما يماثلهم من الصورة بحكم قوله تعالى ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾[1] فإذا أراد الله أن يظهره بين الملائكة في عالمهم أظهره بالصورة الملكية وهكذا فالملائكة يرونه في عالمهم ملكا والإنس يرونه إنسانا من غير مزاحمة بين الظهورين لأن الله ملأ به سماواته وأرضه حتى ظهر أن لا إله إلا هو كما قال الحجة عليه السلام في دعاء رجب المروى في مصباح الشيخ رحمه الله فافهم إشارات كلام أئمتك تقف على كنز لا يفنى .

الغاية من خلق العباد

علل الصدوق رحمه الله حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا أحمد بن إدريس عن الحسين بن عبيد الله ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان، عن عبد الكريم بن عبيد الله ، عن سلمة بن عطا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال (خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه فقال له رجل يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته)[2] .

---

(٢) الأنعام ٩.

تحقيق لطيف في أن معرفة الإمام هي معرفة الله

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب لا وحشة في عبارة هذا الحديث فإن ذات الله لا تعرف ولا يحاط بها وإنما يعرف الله تعالى بآياته التي ظهر بها للخلق ولا آية لله تعالى أعظم من وجود الإمام كما قال أمير المؤمنين عليه السلام (أي آية لله أكبر مني وأي نبأ أعظم مني) فمن عرف الإمام فقد عرف الله لأنه عرفه بما ظهر به في الإمكان ظهورا وصفيا لا ظهورا ذاتيا كما زعمه بعض القاصرين المتحلين للمعرفة فافهم.

سعة علم الأئمة عليهم السلام

مناقب ابن شهر آشوب عن صفوان بن يحيى عن بعض رجاله عن الصادق عليه السلام قال: (والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين فقال له رجل من أصحابه جعلت فداك أعندكم علم الغيب فقال له ويحك إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء ويحكم وسعوا صدوركم ولتبصر أعينكم ولتع قلوبكم فنحن حجة الله تعالى في خلقه ولن يسع ذلك إلا صدر كل مؤمن قوي قوته كقوة جبال تهامة إلا بإذن الله والله لو أردت أن أحصي لكم كل حصاة عليها لأخبرتكم وما من يوم ولا ليلة إلا والحصى يلد إيلادا كما يلد هذا الخلق والله لتباغضون بعدي حتى يأكل بعضكم بعضا)[2].

تحقيق لطيف في علم الأئمة عليهم السلام

يقول مصنف هذا الكتاب لا ينافي هذا الخبر الأخبار الدالة على

---

(١) علل الشرايع ج١ ص٩، بحار الأنوار ج٥ ص٨٣ و ج٢٣ ص٨٣.
(٢) المناقب ج٤ ص٢٤٧ ، بحار الأنوار ج٢٦ ص٢٧.

أن علم الأشياء الخمسة التي في قوله تعالى ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ [٢] الآية، علم مخصوص لله تعالى لا يعلمه أحد من الأنبياء والرسل حتى نبينا ﷺ فإن الأخبار بهذا المضمون كثيرة وقد وضعنا لبيان هذه المسألة رسالة مبسوطة سميناها (مفاتح الغيب) ومختصرة سميناها (علم الساعة) جوابا لسؤال بعض السائلين وهنا نشير إلى وجه الجمع إشارة إجمالية ونقول إن الله تعالى حين خلق ما سواه لم يكن فاعلا موجبا مضطرا لا يقدر على تغيير ما خلق عما هو عليه سواء كان ذلك المخلوق من قسم ما كان أو من قسم ما يكون إلى يوم القيامة وما بعده لأن هذه النسب إنما يفرق بينها بالنسبة إلى المخلوق المحدود وأما هو تعالى فنسبة جميع الأشياء إليه على حد سواء فهو تعالى قادر في كل حين على أن يغير جميع ما في ملكه عما هو عليه إذا شاء ذلك وحتم عدم تغيير بعض الأشياء أو حتم تغييره لا ينافي ذلك لأن ذلك الحتم إنما هو بالنظر إلى اقتضاء الحكمة وهذا بالنظر إلى اقتضاء القدرة وإطلاقها فاللحاظان مختلفان فالأشياء لا تكون بحتم عدم التغيير واجبة الوجود بل هي في كل آن وحين محتاجة إلى خلق جديد منه تعالى سواء ألقاها على ما هي عليه أم غيرها كابتداء صدورها بعينه ولذا رد الله سبحانه على اليهود في قولهم : قد فرغ من الأمر وأن يده مغلولة ، فقال ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ [١] وقال ﴿كل يوم هو في شأن﴾ [٢] وقال ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [٣] فإذا علم

---

(١) لقمان ٣٤.

الله تعالى بعض من اصطفاه علم الأشياء مما كان وما هو كائن فهو يعلمها بذلك التعليم غير أنه يحتاج في كل حين إلى تعليم منه تعالى جديد لعين ما علم فيما قبل لأن العالم والعلم والمعلوم كلها ممكنة محتاجة قائمة بالغير فإن بقائها محض آن صدورها من المبدأ لا أزيد ومعلوماته بالنسبة إلى قدرة الله المطلقة في معرض التغير عما هي عليه وعدمه فيما بعد حصول العلم بها فهو لا يعلم منها إلا ما هو موجود في الكون حال العلم سواء كان ذلك الموجود من قسم ما كان أم من قسم ما يكون لأنا قد قدمنا أن ما يكون أيضا موجود في زمانه ومكانه من الوجود.

إن قلت إن الله إذا علم نبيه مثلا أني سأقيم القيامة في وقت كذا فكيف يمكن أن يبدو له فيؤخره أو يقدمه والحال أنه يلزم منه كذب الوعد وهو محال على الله تعالى.

قلنا فرق بين عدم التغيير وبين عدم القدرة عليه، والكلام إنما هو في الثاني دون الأول. فالمراد أن الله بمحض الوعد لا ينقلب فاعلا موجبا بعدما كان مختارا على أن استثناء ﴿إلا أن يشاء الله﴾ جار ثابت في جميع المواعيد المحتومة والمشروطة فإن غير ما حتم عدم تغييره لم يلزم منه كذب أصلا هذا، وإن أردت معرفة الفرق بين مقتضى القدرة ومقتضى الحكمة فاستمع لما نقول وهو أن عدم سلب النبوة من نبينا لا ريب أنه من المحتوم بالنظر إلى اقتضاء الحكمة ومع ذلك فهو تعالى يقول ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾[1]

---

(١) المائدة ٦٤
(٢) الرحمن: ٢٩
(٣) الرعد: ٣٩

أفترى أن الله تعالى يدعي ما لا يقدر عليه -تعالى عن ذلك علوا كبيرا- وكذا عدم هداية جميع الناس طوعا أو كرها فإنه تعالى لن يفعله أبدا لأنه بنى الهداية على الاختيار بمقتضى الحكمة ومع هذا يقول ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾[٢].

وأصرح من ذلك كله ما في كتاب الحسين بن عثمان بن شريك عن سليمان الطلحي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام (أخبرني عما أخبرت به الرسل عن ربها وأنهت ذلك إلى قومها أيكون لله البداء قال أما إني لا أقول لك إنه يفعل ولكن إن شاء فعل)[٣].

وفي كتاب العصمة والرجعة لشيخنا الإحسائي أجل الله شأنه عن تفسير النعماني عن داود بن أبي القاسم قال (كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فجرى ذكر السفياني وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم فقلت لأبي جعفر عليه السلام هل يبدو لله في المحتوم قال نعم)[٤] الحديث.

فانظر إلى هذين الحديثين ما أصرحهما في المدعى لمن وعى، فظهر أن كل علم أعطاه الله تعالى أنبياءه ورسله وسائر خلقه فهو ممكن التغيير لأن العالم وعلمه ومعلوماته كلها في قبضته تعالى يمكن في كل حين أن يغيرها إلى ما يشاء حين يشاء وأن لا يغيرها بل يوجدها بخلق جديد على ما كان عليه وأن ذلك العلم المعطى غير ثابت الذات

(١) الإسراء ٨٦

(٢) النحل ٩ .

(٣)بحار الأنوار ج٢٢ ص٤

(٤) غيبة النعماني ص ٣٠٢ أخبرنا محمد بن همام قال حدثنا محمد بن أحمد بن عبد الله الخالنجي قال حدثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري قال كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا -عليه السلام- فجرى ذكر السفياني وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم فقلت لأبي جعفر -عليه السلام- هل يبدو لله في المحتوم قال نعم قلنا له فنخاف أن يبدو لله في القائم فقال إن القائم من الميعاد والله لا يخلف الميعاد).

في نفسه يحتاج في كل حين إلى إيجاد منه جديد فهم ﴿لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾[1] أي بما أخرجه من حيز الصلوح الإمكاني إلى حيز التنجز والكون ولو فيما سيكون، ولذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لولا آية في كتاب الله ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾[2] لأخبرتكم بما كان وبما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، فإنه عليه السلام أثبت بهذا الكلام علمه بجميع ما كان وما يكون ومع ذلك شرط إخباره بذلك بما سمعت.

وأما العلم الذي لا يجري فيه التغير لأن جميع ما يمكن في حق الممكنات من الأطوار فهو علم مخصوص لله تعالى أودعه في خزينة الإمكان يظهر منه البداءات الكونية وينفق منه ما دام للملكه بقاء ولا ينفد ما في تلك الخزينة. وإنما خصه لنفسه لأن الممكن من حيث هو ممكن لا يطيق حمل هذا العلم كائنا من كان وإنما هو شأن الواجب بالذات وأما الممكن فهو دائما محتاج إلى إيجاد جديد من صانعه لا يستغني عنه طرفة عين فلا يكون علمه واجبا مستغنيا عن التجدد في كل حين حتى يقال في حقه جف القلم بما علم فيصح للممكن الذي علمه الله تعالى علم ما كان وما يكون وعلم ما في السماوات والأرضين ولم يعزب عن علمه مثقال ذرة أن يقول بالنسبة إلى ما بعد حين علمه بمعلوماته الحاضرة في الكون إني لا أعلم منها شيئا يعني علما إحاطيا وإنما علمها عند ربي ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾[1] لأنه يعلم أن الله تعالى

(١) البقرة ٢٥٥.
(٢) الرعد ٣٩

إن يبدو له فيما بعد فيفنى جميع ما في الكون من المعلومات وهذا هو معنى البداء الذي حارت فيه عقول الحكماء وتاهت فيه أعلام العلماء ولم يهجموا على حقيقته مع شدة توغلهم فيه فاضطربوا اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة ونحن نحمد الله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

فليس العلم الذي استأثره الله في غيبه لا يخرجه إلى غيره بمنحصر في ظاهر الأشياء الخمسة بل هو علم شامل بجميع الأشياء وإنما عبر الله تعالى بتلك الأمور الخمسة عن مجموع أطوار الوجود وتوضيحه على سبيل الإجمال أن كل شيء فله مادة بحسب تنزله من عالم الأمر وهي ماء لذوبانها وتهيؤها لقبول الأشكال، وصورة تستقر بها تلك المادة وتنشأ وتنمو حتى تبلغ إلى غايتها المقصودة منها وإذا تمت مادته وصورته تمت خلقته النزولية فيأخذ في الصعود إلى مبدئه بصحة تصرفاته الفعلية وتقلباته الكسبية إذا بلغ الكتاب أجله في العالم الذي هو فيه انتقل منه إلى عالم آخر وهكذا إلى مبدئه الذي هو غاية سيره في الصعود فإذا بلغ هذا المقام وقف بين يدي الملك الجبار ليجزيه بما كسب في سفره هذا من نتائج الأعمال فإما إلى الجنة وإما إلى النار وهو حصوله في مقام كان منه مبدأه في الابتداء ﴿كما بدأكم تعودون﴾[2] ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾[3] فإلى المادة الإشارة بقوله ﴿وينزل الغيث﴾[4] لأنها ماء نزل من سماء المشيئة وإلى الصورة بقوله ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾[1] فإن الصورة أم كما أن

---

(١) الأحقاف ٩ .
(٢) الأعراف ٢٩
(٣) الأنعام ٩٤ .
(٤) لقمان ٣٤.

المادة أب قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته) إلى أن قال (فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة)[2] فجعل مدخول من الذي هو المادة أبا والرحمة التي هي الصورة والصبغ أما، فافهم. وإلى تصرفاته الفعلية بعد تمام خلقته النزولية بقوله ﴿ماذا تكسب غدا﴾[3] وإلى انتقاله من عالم إلى آخر في الصعود بقوله ﴿بأي أرض تموت﴾[4] وإلى اجتماع قوسي النزول والصعود وانتهاء سلسلتي الغيب والشهود بعلم الساعة. فصح أن جميع أطوار الوجود منحصر في الأشياء الخمسة وعلم تلك الأشياء كلها عند الله سبحانه لا يعلمها إلا هو بالمعنى الذي قررناه ولا ينافي هذا علم الأئمة عليهم السلام والأنبياء وغيرهم بتلك الأشياء لأن العلم الذي عندهم منها على طور غير طور العلم الذي اختص الله تعالى به كما عرفت، فاندفع الإشكال بحمد الله المتعال فخذ يا أخي ما آتيناك وكن به ضنينا.

هذا وبهذا التحقيق تهتدي أيضا إلى معنى استزادة النبي صلى الله عليه وآله للعلم وقول الأئمة عليهم السلام في عدة أخبار لولا أنا نزداد لنفد ما عندنا، وإن العلم ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء، وأنهم يزدادون في كل ليلة جمعة وليلة قدر، وأشباه ذلك من الأخبار. هذا كله مع علمهم عليهم السلام بما كان وما يكون وما في الأرض وما في السماء

---

(١) لقمان ٣٤.

(٢) بصائر الدرجات ٨٠ (حدثنا الحسن بن علي بن معاوية عن محمد بن سليمان عن أبيه عن عيسى بن أسلم عن معاوية بن أسلم قال قلت لأبي عبد الله -عليه السلام- جعلت فداك هذا الحديث الذي سمعته منك ما تفسيره قال وما هو قال إن المؤمن ينظر بنور الله فقال يا معاوية إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته يوم عرفهم نفسه إلى أن قال فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه).

(٣-٤) لقمان ٣٤.

وما في الجنة وما في النار.

وبالجملة جميع ما في الكون من الذرات الوجودية في كل حين وآن. وبعض القاصرين لما لم يهجموا على حقيقة الأمر بقوا في جمع تلك الأخبار حيارى يتكلمون بما لا تسكن إليه أنفسهم هم فضلا عن غيرهم، والله ولي التوفيق.

هم وجه الله

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال : حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن ربيع الوراق ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ قال نحن)[1] .

تحقيق لطيف في كون المعصومين وجه الله وعينه وأذنه

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب الوجه في إطلاق تلك الأمور أعني الوجه والعين والأذن واللسان والقلب وأشباهها على الأئمة عليهم السلام أن الكمال الفعلي لله سبحانه ينقسم باعتبار المتعلق إلى أقسام ذات أسماء مختلفة فباعتبار تعلقه بادراك المبصرات يسمى بصرا وباعتبار تعلقه بالمسموعات يسمى سمعا وباعتبار أداء ما يريد إلى من يريد يسمى تكلما وباعتبار توجهه إلى من سواه وتوجه من سواه إليه من ذلك السبيل يسمى وجها وباعتبار تعلقه بالمرادات يسمى إرادة وهكذا ولما كانت حقائق محمد وآله الطاهرين محال مشيئته وفعله ومصادر آثارها كما نطقت به صحيحات الآثار صح أن تسمى ذواتهم بأسماء محال تلك الأفعال في مقام التفهيم لأن محل الإبصار عند الناس

(١) التوحيد ١٠٥، بحار الأنوار ج٤ ص٥ ، معاني الأخبار ١٣، نور البراهين ج١ ص٣٨٠.

يسمى بالعين ومحل السمع بالإذن ومحل التكلم باللسان ومحل التوجه بالوجه ومحل الإرادة بالقلب وهكذا فصح أن يقال إنهم عين الله الناظرة وأذنه السامعة ويده الباسطة ولسانه الناطق وقلبه الواعي وما يتبعها من الأسماء وإلا فذات الحق تعالى في عز ذاتها منزهة عن أمثال هذه النسب وإنما هذه النسب كلها في مقام الفصل وقد أشبعنا القول في هذه الأمور في كتابنا المسمى (بكشف السحاب في تحقيق الصفات) واكتفينا هنا بالإشارة لأهل الإشارة فتفهم.

أنا محمود بعثني الله تعالى أن أزوج النور من النور

معاني الأخبار حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور قال : حدثنا الحسن بن محمد بن عامر ، عن معلى بن محمد البيزنطي، عن علي ابن جعفر ، قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول : (بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حبيبي جبرئيل لم أرك جئتني في هذه الصورة؟ قال فقال الملك لست بجبرئيل أنا محمود بعثني الله تعالى أن أزوج النور من النور، قال من ممن؟ قال فاطمة من علي قال فلما ولى الملك إذا بين كتفيه مكتوب محمد رسول الله علي وصيه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله مذ كم هذا بين كتفيك قال من قبل أن يخلق الله عز وجل آدم باثنين وعشرين ألف عام)[1] ، هي.

تحقيق لطيف في تسمية الملائكة

(١) معاني الأخبار ١٠٤ ، أمالي الصدوق ٦٨٩ ، الخصال ٦٤ ، روضة الواعظين ١٤٦ ، نوادر المعجزات ٩٣

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب إن الله خلق أربعة ملائكة مقربين ووكل كلا منهم بركن من أركان الوجود من الخلق والرزق والموت والحياة وخلق من رشح عرقهم ملائكة بعدد شؤون الخلق يسمون في التسمية العامة باسم من خلقوا من عرقه كما أن في طرف الباطل يسمى كل شيطان جزئي من أعوان إبليس باسم الشيطان فالملائكة المخلوقون من عرق جبرئيل كلهم اسمهم العام جبرئيل ولكل منهم أسماء خاصة مناسبة للشأن الذي وكلوا به وكان ذلك الملك من أعوان جبرئيل فنظر النبي ﷺ إلى حقيقته وسماه باسمه العام وذلك الملك لما كان مبعوثا لأمر يناسبه اسم المحمودية لوجوه يطول بها الكلام فأراد أن يخبر النبي ﷺ بما بعث لأجله فأخبر عن اسمه الخاص فما كانت هذه المخاطبة منه ﷺ عن جهل منه باسم الملك لأن المالك لا يجهل ما ملك بل للسر الذي أومأنا إليه وغيره من الحكم والمصالح الخفية فتبصر ولا تكن من الجاهلين ، هي.

النبي يصب الماء على يد أمير المؤمنين والملائكة تتبارك به

وعن القاروني حكاية عنه أنه قام يوما على منبره ومجلسه يومئذ مملوء بالناس في جمادى الآخر من سنة اثنتين وخمسين وستمائة بواسط ما رواه ابن عباس عليه السلام][1] أنه قال:(كان رسول الله ﷺ [في مسجده][2] وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار إذ نزل عليه جبرئيل وقال [له][1] يا محمد الحق يقرئك السلام ويقول لك أحضر عليا

---

(١) في نسختنا من الفضائل (بواسط فذكر ما رواه لي ابن عباس).

(٢) لم ترد هذه العبارة في نسختنا من هذا الكتاب المستطاب.

عليه السلام واجعل وجهك مقابل وجهه ثم عرج إلى السماء فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام فأحضره [وجعله مقابل وجهه][2] فنزل جبرئيل ثانية ومعه طبق فيه رطب فوضعه بينهما ثم قال كلا فأكلا ثم أحضر طستا وإبريقا وقال يا رسول الله قد أمرك الله أن تصب الماء على يد علي بن أبي طالب ، فقال : النبي صلى الله عليه وآله السمع والطاعة لله ولما][3] أمرني به ربي ثم أخذ الإبريق وقام يصب الماء على يد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له علي عليه السلام يا رسول الله أنا أولى بأن أصب الماء على يدك فقال له [يا علي إن الله][4] سبحانه أمرني بذلك وكان كلما صب على يد علي الماء لا يقع منه قطرة في الطست فقال [علي عليه السلام يا رسول الله][5] ما أرى قطرة تقع من الماء في الطست فقال صلى الله عليه وآله يا علي إن الملائكة يتسابقون على أخذ الماء الذي يقع من يدك فيغسلون به وجوههم ويتباركون به)[6] ، هي .

تحقيق لطيف في صب النبي الماء على يد أمير المؤمنين

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب ربما يستوحش من هذا الخبر بعض من لا ضرس له قاطع في فهم وجوه الأخبار من قبل صب النبي صلى الله عليه وآله الماء على يد علي عليه السلام فنقول يا أخي ليس هذا بأعظم من صعوده عليه السلام منكبه صلى الله عليه وآله عند حط الأصنام ولله تعالى في هذه الأمور حكم وأسرار لا تقدر بعقول الضعفاء فيمكن أن يكون مراده تعالى من ذلك دلالة الناس إلى أن ماء الفيض النازل من سماء التقدير إنما يفاض إلى علي عليه السلام بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله فتأخذ

(١) هذه الكلمة لم ترد في نسختنا من كتاب الفضائل .
(٢) في نسختنا من هذا الكتاب المستطاب(وجعله مقابله) ، وفي نسختنا من كتاب الروضة(فجعل وجهه مقابل وجهه).
(٣) في نسختنا من الفضائل (والطاعة لما) .
(٤) في نسختنا من الفضائل (يا علي الله) .
(٥) في نسختنا من الفضائل (فقال يا رسول الله) .
(٦) الفضائل ٩٢، بحار الأنوار ج٣٩ ص١٢١ ، مدينة المعاجز ج١ ص٣٧٣، الروضة في الفضائل والمعجزات ١١٨.

الملائكة من فاضل غسالة يده التي هي بمنزلة الأشعة من المنير ويتبركون به كما قال علي عليه السلام لكميل (ولكن يرشح عليك ما يطفح مني)[1]. فيكون هذا تشريفا من الله ورسوله لعلي عليه السلام لا حطا لقدر النبي صلى الله عليه وآله، هذا ولعلك بعد الوقوف على أسرار صعوده عليه السلام منكب النبي صلى الله عليه وآله في الخبر الذي نورده إن شاء الله تعالى فيما بعد لا تستغرب هذا التأويل بوجه، والله ولي التوفيق.

أمير المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وآله في المعراج

الجواهر السنية لشيخنا الحر العاملي رحمه الله عن مجالس أبي علي بن شيخنا الطوسي عن أبيه رحمه الله قال : أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار ، قال : حدثني الجعابي، قال : حدثنا أبو عثمان سعيد بن عبد الله بن عمر الأنباري، قال: حدثنا خلف بن درست، قال : حدثنا القاسم بن هارون، قال : حدثنا سهل بن سفيان ، عن همام، عن قتادة، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله (لما عرج بي إلى السماء ثم دنوت من ربي عز وجل قال يا محمد، من تحب من الخلق قلت يا رب عليا. قال التفت يا محمد، فالتفت عن يساري، فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام)[2].

تحقيق لطيف في رؤية النبي أمير المؤمنين في المعراج

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف قال شيخنا الحر بعد نقل الخبر أقول : يعني أنه رآه في الأرض فإن الله كشف الغطاء بينهما حتى تحادثا كما ورد في غيره من الأحاديث. انتهى كلامه.

---

(١) نور البراهين ج١ ص٢٢١.

(٢) الجواهر السنية ٢٦٠، أمالي الطوسي ٣٥٢ ، بحار الأنوار ج ١٨ ص ٤٠٦ ، مدينة المعاجز ج٢ ص٤١٥.

وأقول : إن الشيخ أول الحديث بما لا دلالة فيه ظاهرا عليه وإنما دعاه إلى ذلك ما زعم أنه عليه السلام كان ماكثا في الأرض لم يعرج إلى السماء ولكنه ناش من الجمود وعدم التدبر في دقائق الأخبار وحقائق الأسرار فإن كونه عليه السلام في الأرض لا ينافي كونه في السماء وإن لم يعرج بجسده الظاهري إليه لأن نوره عليه السلام نزل من عالم الأمر من عند الله كما دلت عليه أخبار متواترة معنى وليس حيث كان ينزل يفقد المرتبة الأعلى السابقة وإنما يلبس من سنخ كل مرتبة لباسا كما إنك أيضا كذلك فإنك كنت قبل عالم الأجسام في عالم الأرواح المجردة وحيث نزلت إلى عالم الأجسام لم تفقد مرتبة روحيتك وإلا لكنت تبقى في عالم الأجسام جسدا ميتا بلا روح فصح أن لك وجودا في عالم الروح حين كونك موجودا في عالم الجسم فكذا أمير المؤمنين عليه السلام فإن له وجودا في جميع المراتب التي نزل منها لم يفقدها في حال فله وجود لاهوتي نوراني في عالم الأنوار ووجود عقلاني في عالم العقول ووجود روحاني في عالم الأرواح ووجود نفساني في عالم النفوس ووجود طبعاني في عالم الطبائع ووجود هبائي في عالم المواد الجسمية ووجود مثالي في عالم المثل الظلية والصور الجسمية ووجود فلكي في الأفلاك ووجود أرضي في الأرضين هذا إجمال العوالم وإلا فلله ألف ألف عالم وله في كل منها وجود والنبي صلى الله عليه وآله مر في عروجه بجميع تلك العوالم حتى وصل إلى عالمه الأول الذي كان فيه نورا بين يدي الله عز وجل يسبحه ويقدسه من قبل أن يخلق الله سماء مبنية أو أرضا مدحية وقد اشتق الله هناك نور علي عليه السلام من نوره اشتقاق الضوء من الضوء فرآه في جميع تلك العوالم في الصورة التي كان عليها في ذلك

العالم من غير أن يغيب من الأرض بجسده العنصري البشري ولقد أجاد بعض شعراء المعاصرين أولاه الله رضوانه في مدحه عليه السلام حيث قال في قصيدة هائية يجاري بها محمد كاظم الأزري:

أحوته أرض وأرض تخلت
منه حتى مشى بها وطواها
هو في الشرق ما هو في الغرب
وفي الأرض مثل ما في سماها

هكذا ينبغي أن يجمع بين الأخبار المعصومية، هذا وفي المقام بعد أسرار لا يحتملها المقام وفي نفسي أن أكتب إن شاء الله تعالى عز وجل شيئا في أسرار معراج نبينا صلى الله عليه وآله بقدر ما وهبني الله عز وجل منها فإن وفقني الله تعالى بذلك فهو محل استقصاء هذه الأسرار مع إيراد جميع ما وقفنا عليه من أخبار المعراج وكشف معانيها إن شاء الله تعالى .

ملك على صورة أمير المؤمنين عليه السلام تحت العرش

عن كنز الفوائد للكراجكي رحمه الله عن أبي الحسن محمد ابن أحمد بن شاذان ، عن جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين بن محمد، عن أحمد بن علوية ، عن إبراهيم بن محمد، عن عبد الله بن صالح، عن حديد بن عبد الحميد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (لما أسري بي إلى السماء ما مررت بملإ من الملائكة إلا سألوني عن علي بن أبي طالب حتى ظننت أن اسم علي أشهر في السماء من اسمي فلما بلغت السماء الرابعة نظرت إلى ملك الموت عليه السلام فقال لي يا محمد ما خلق الله خلقا إلا أقبض روحه بيدي ما خلا أنت وعلي فإن الله جل جلاله يقبض أرواحكما بقدرته فلما صرت تحت العرش

نظرت فإذا أنا بعلي بن أبي طالب واقفا تحت عرش ربي فقلت يا علي سبقتني فقال لي جبرئيل عليه السلام يا محمد من هذا الذي يكلمك قلت هذا أخي علي بن أبي طالب قال لي يا محمد ليس هذا عليا و لكنه ملك من ملائكة الرحمن خلقه الله تعالى على صورة علي بن أبي طالب فنحن الملائكة المقربون كلما اشتقنا إلى وجه علي بن أبي طالب زرنا هذا الملك لكرامة علي بن أبي طالب على الله سبحانه)[1].

تحقيق لطيف في ظهور أهل العصمة في العوالم المختلفة

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب أول من يؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله ويصدقه بحقيقة التصديق لا يرتضي بأن النبي صلى الله عليه وآله يتبين عليه حقيقة الأمر ويرى ما هو على خلاف الواقع ولا أقل من كون دعوته مستجابة وقد سأل الله تعالى بقوله (اللهم أرني الأشياء كما هي). وظاهر هذا الحديث على ما يفهمه العوام أنه صلى الله عليه وآله لم يعرف الملك فزعم أنه علي عليه السلام فلا بد للمؤمن من حمل الخبر على مالا يكذبه العقل والنقل وقد تقرر في علمنا وصدقته صحيحات النقول وعميقات العقول أنهم عليهم السلام سرج عالم الإمكان المنيرة وسائر الخلق أشعة أنوارهم وصدى أصوات خطابتهم وأن لهم في جميع مراتب من سواهم ظهورا من سنخ تلك المرتبة هو بمنزلة رب النوع بالنسبة إليها فكل من أهل مراتب الوجود المتعددة المتنازلة يراهم من سنخه مثلا البشر يراهم بشرا والملك ملكا والأنبياء وأوصياؤهم نبيا ووصيا بالنبوة والوصية الظاهرتين وتلك الصورة المرئية لهم

---

(١) بحار الأنوار ج٢٦ ص٣٠٥، كنز الفوائد ج٢ ص١٤٢ ، مائة منقبة ٣٢

بالنسبة إلى أصل مرتبة وجودهم ﷺ كالصورة المرئية في المرآة بالنسبة إلى الشاخص المقابل وأما صورتهم الأصلية فلا يراهم عليها أحد سواهم لعدم احتمال من سواهم لذلك كما ورد به أخبار متواترة معنى، وراجع في تصديق ذلك إلى الحديث الخامس حتى تفوز بالمطلوب.

وبالجملة الصور المذكورة حجب على صورتهم الأصلية اتخذوها واحتجبوا بها ليطيق الخلق رؤيتهم والأخذ عنهم ولو كشف واحد منها لأحرقت سبحات وجوههم جميع ما في الوجود لأن وجوههم هي وجه الله الذي سأل موسى بلسان قومه النظر إليه وأجيب بالنفي المؤبد كما أشير إليه أيضا في الحديث الخامس وكذا في الحديث الحادي والثمانين فالذي رآه النبي ﷺ تحت العرش هو صورة أمير المؤمنين التي ظهر بها بين الملائكة ولما كان النبي ﷺ من أهل مكرمة نظر في المرآة ورأى فيها الشاخص المقابل فحكم بأنه أمير المؤمنين وأما جبرائيل فحيث إنه كان من سنخ الملائكة ولا نصيب له فوق تلك المرتبة حكم بأنه ملك على صورته لأنه حظه من رؤية أمير المؤمنين عليه السلام فلم يخطئ النبي ﷺ ولا شبه له ولا كذب جبرائيل بل كل منهما أخبر عن علمه ولكن درجات العلوم متفاوتة اعتبر في ذلك بحواسك الباطنة والظاهرة في النظر إلى شيء واحد فإن عينك الجسمانية تراه جسما قابلا للأبعاد وحسك المشترك يراه صورة برزخية بين الظاهر والباطن وخيالك يراه صورة ظلية مقدارية مجردة عن المواد الظاهرية ونفسك تراه صورة جوهرية مجردة وعقلك يراه

معنى مجردا عن جميع الصور وفؤادك يراه حقيقة صرفة مجردة عن جميع الإضافات والنسب وهو شيء واحد في نفسه فكل من المدارك يحكم فيه بما عنده منه ولكن الإنسان الجامع بجميع تلك المدارك ينظر إليه بعين الوحدة ويرى أنها كلها مراتب حقيقة واحدة سارية في جميع تلك المراتب على حد قول الشاعر:

مـا بالديار سواه لا بـس مغفر

وهو الحمى والحـي مع فلواته

فالنبي ﷺ هو ذلك الإنسان الجامع وسائر الخلق ممن هو دونه ودون أهل بيته رتبة بمنزلة المشاعر والحواس المذكورة الجزئية فافهم وتدبر ولا تكن من الجاهلين واعلم أن تأويل ما ذكرناه موجود في الأخبار ولكنها ليست مجتمعة في خبر واحد وإنما يتلقاها المتبصر الخبير من المواضع المتفرقة ويضم بعضها إلى بعض ومن ليس له هذا النصيب فليس هو من أهل هذا الخطاب وليقل هو ما يريد فإن أمثال ذلك الشخص عند أصحاب الحكمة الشرعية كمن لا يسمع إلا دعاء ونداء فلا يعبئون بهم ولا بقولهم وإذا خاطبوهم قالوا سلاما فاندفعت الشبهة من الخبر بحمد الله ولكن كما قال عز وجل ﴿بل عجبت ويسخرون * وإذا ذكروا لا يذكرون﴾[1].

حياة النبي صلى الله عليه وآله وموته خير للأمة

بصائر الدرجات حدثنا محمد بن عبد الجبار، عن عبد الرحمن بن حماد، عن القاسم بن عروة، وحدثنا عبد الله بن عمر المسلي، عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (حياتي خير لكم

(١) الصافات ١٢ - ١٣.

ومماتي خير لكم فأما حياتي فإن الله هداكم بي من الضلالة وأنقذكم من شفا حفرة من النار وأما مماتي فإن أعمالكم تعرض علي فما كان من حسن استزدت الله لكم وما كان من قبيح استغفرت الله لكم فقال له رجل من المنافقين وكيف ذاك يا رسول الله وقد رممت يعني صرت رميما فقال رسول الله ﷺ كلا إن الله حرم لحومنا على الأرض فلا تطعم منها شيئا)[1].

تحقيق لطيف في حال أجسام المعصومين عليهم السلام

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف حيث اتفق لنا ختم هذا الجزء بهذا الخبر الشريف حدثتني نفسي أن أردفه بتوضيح مسألة طالما بحث عنها الباحثون ولم يرجعوا فيها إلى أمر تسكن إليه النفوس لأمور لا يهمنا ذكرها وهي حال جسد المعصوم وأجساد من سواه بعد الموت في القبور فإن للناس فيه خيالات وتخمينات وحكايات لا تنتهي إلى أمر وثيق مثل ما يتحاكون فيما بينهم أن فلانا مثلا كشف عن قبره بعد سنين متباعدة فوجدوا جسده كهيئة يوم وضع في قبره غضا طريا لم يغيره التراب ويعدون هذا من إمارات السعادة ولئن سألتهم أي دلالة في ذلك على السعادة تحيروا في الجواب ولم يأتوا فيه بشيء مبين والسبب في ذلك أن كثيرا من الناس منطقهم تابع لما يركبون في أفواههم من الحروف وليس في قلوبهم معنى محصل فلا جرم تخرج أكثرها مهملة لا تفيد معنى عند العقلاء وإن اتفق أنها خرجت مقيدة بمعنى فبالبخت والاتفاق وهذه الحكايات من القسم الأول فإنهم سمعوا شيئا طرق آذانهم ولم يعرفوا ماذا يراد

---

(١) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٣٠٧، مائة منقبة ١٤٩، تأويل الآيات ٥٤٦.

بذلك فهو كما قال الشاعر :

قد يطرب القمـــري أسماعنـــا

ونحن لا نـــعـرف ألحـــانـــه

وتحقيق القول فيه على ما ينبغي يقتضي تأليف كتاب لاحتياجه إلى مقدمات طويلة خفيت على كثير من الناس فلا جرم نقتصر هنا على أدنى ما يؤدى به المقصود ونقول والله ولي التوفيق .

لا ريب أن كل ذي حياة له جسد هو ما يتراءى منه في الظاهر وروح بها حياته وبقاؤه على ما هو عليه من التركيب وهو ألطف من الجسد وأبسط فلا بد أن يكون حيزهما أيضا مختلفا بأن يكون حيز الروح لو خلي وطبعه أعلى من حيز الجسد وأقرب إلى الغيب، هذا وقد تقرر في علمنا أن كل جسد من تنزل روحه الخاص به وإلا لما كان تعلقه بذلك الجسد أولى من تعلقه بجسد آخر مغاير له في الحدود والمشخصات، والفعل من الحكيم جار على وفق الحكمة الطبيعية لا على التهافت أو الجبر والقسر، فكل روح وجسده بينهما مناسبة ذاتية هي سبب تعلقه به إذا تمت البنية الجسمانية كالمغناطيس والحديد وكالدخان المتصل من الفتيلة المنطفية بالسراج الجاذب لتعلق شعلة منه بالفتيلة إن كنت جربته، ثم إن كل جسد مركب من أجزاء مختلفة في الطبيعة كما هو محسوس في الطبيعي المكتوم الذي هو أصح العلوم وأمها فإن أهله يحللون الجسد ويستخرجون منه أجزاء نارية وأجزاء هوائية وأجزاء مائية وأجزاء أرضية.

إذا تمهدت هذه المقدمات فنقول لا ريب أن الجسد والروح إذا كان بينهما مناسبة ذاتية لم يقتضيا بذاتهما المفارقة وقد عرفت أن فعل

الحكيم تعالى جار على وفق الحكمة وإجراء الأمور بالأسباب، فلا بد لفراق الروح من الجسد من سبب وقد اختلف قول الناس في تعيين ذلك السبب ولسنا بصدد تفصيله وترنيفه، والذي صدر من معدن الوحي أن سبب فراقه تحلل الآلات الجسمانية واختلاف المتولدات كما في حديث أمير المؤمنين ﷺ في النفس الناطقة والحيوانية في جواب الأعرابي، وبيان ذلك ما تقرر في الطبيعي المكتوم من أن العلة في مفارقة الأرواح للأجساد وتفرق أجزاء الجسد وتفتتها بتسليط النيران والأهوية والأتربة والمياه عليها عروض وامتزاج أجزاء بها غريبة ليست من سنخها وهي التي عاقت حجر الإكسير عن البلوغ إلى درجة الإكسيرية بالفعل فلا بد لمن رام أن يستخرج النفس الإكسيرية من القوة إلى الفعل من إخراج تلك الغرائب من الحجر الكريم وإزالتها كما أشار إليه صاحب الشذور بقوله:

لهرمس أرض تنبت العز والغنى

إذا ما انتفى عنها غريب الحشائش

والسبب في ذلك أن الجسد إذا امتزجه غريب أثر فيه، وأوجب ضعف المناسبة الممسكة للروح فيه فتطلب الروح مركزها وتفارق الجسد لا محالة،وإذا فارقت الروح الجسد بمعنى غيبتها عنه وتوجهها إلى عالمها لقيت أجزاء الجسد أيضا لاختلاط المفسد الغريب به فيطلب كل من الأجزاء مركزه فتبطل بنيته ويضمحل تركيبه، فالتعب كله في العمل لإخراج ذلك المفسد في الأرض وذلك لا يمكن إلا بالأعمال المقررة في هذه الصنعة من التهذيب والتقريب والحل والتقطير والتكليس والتعفين والتشميع والتشبيب

وغير ذلك من الأعمال على الترتيب الذي قرروه فإذا زال الغريب المفسد وقرن بين الأرواح المتنافرة والأجساد الجامدة تعارفت الأجزاء وتعاشقت وتعانقت بحيث لا ينفك شيء منها من الآخر لشدة الائتلاف والاتحاد والمؤانسة والمناسبة بينها فيولد من بينها الولد الكريم الذي يفاخر على أبويه وهو النفس الإكسيرية الفعالة التي هي الغاية القصوى من جميع تلك الأعمال، قال بعض الحكماء - ونعم ما قال- إن المانع لكل شيء عن بلوغ ما هو ممكن في حقه عرض فاسد موجب للمنع والحجاب والسقوط والرزالة فإذا زال المانع بلغت الأشياء بالفعل والانفعال إلى غاية هي ممكنة لها فإزالة الأعراض الفانية لا بد منها، لتخليص الجواهر الفانية التي لا تبيد هي. وإليه أشار صاحب الشذور بقوله في الروح والجسد :

وما فرقا بالحل إلا ليغسلا

وبالغسل بعد الحل يتحدان

فالسبب لتخلل الآلات واختلاف المتولدات التي هي الأخلاط وغيرها امتزاج الغريب المفسد المخرج للبدن عن الاعتدال الطبيعي ومن البين أن الأجساد بل والأرواح في الدنيا ليست خالية عن الأعراض الغريبة وإلا لما عرضتها الأمراض والموت وأيضا الأجساد الأخروية في كمال الصفاء واللطافة التي قد سمعت بعض أوصافها من ألسن الوحي في المؤمنين وفي كمال الظلمة والكثافة الصرفة التي قد سمعتها أيضا في الكفار ولا ريب أن جسد المؤمن في الدنيا ليس بتلك اللطافة ولا جسد الكافر بتلك الكثافة ففي كل منهما أعراض غريبة ليست من سنخ جوهرهما، وما دامت تلك الأعراض فيهما فهما غير

صالحين للتركيب الخالد الذي لا يعرضه موت أبدا كما هما في الآخرة كذلك كما ورد في الحديث ما معناه أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ويذبح بين الجنة والنار ثم ينادي مناد من قبل الله تعالى : يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت[١] ، الحديث ، وإنما خلط الحكيم في الدنيا بين الكثيف واللطيف تحقيقا للاختيار المصحح للتكليف من باب قوله ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾[٢] .

ثم أنه بلطفه ورأفته كلفهم بالإيمان ولوازمه من الأعمال الصالحة وبعث بذلك أنبياء مرسلين وأوصياء مرضيين ليرشدوهم إلى ذلك الطريق فمن قبل منه ذلك خلق روحه وجسده بالخلق الثاني من طينة الجنة التي هي اللطيف الصرف على حسب درجة قبوله ومن جحده خلق روحه وجسده بالخلق الثاني من طينة النار التي هي الكثيف الصرف على حسب درجة جحوده، وكل من الفريقين سائرون بأقدام أعمالهم في الدنيا إلى ما خلقوا منه في الخلق الثاني فالأعمال في الحقيقة أسباب التخلص من أعراض الدنيا الغريبة الممتزجة بطينة كل من الفريقين نظير أعمال الصناعة الجاذبة للحجر إلى التخلص من الأعراض والبلوغ إلى غايه هي ممكنة له،ولا ريب أن درجات الناس مختلفة في الأعمال كما وكيفا، فمن قوى عمله من المؤمنين بحيث وفى بتخليص جسده من تلك الكدورات العارضة له من العناصر الفانية الزائلة بالنسبة إلى من ينتقل إلى الآخرة ولم يبق منها إلا بقدر ما يصحب به الدنيا إلى الأجل المحتوم الذي

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٥٠ ، بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٤٦.

(٢) طه ١٥ .

قدر له، فهذا هو المؤمن الكامل الذي مات قبل أن يموت ويظهر منه في الدنيا آثار غريبة وكرامات عجيبة من طي الأرض والمشي في الماء وتحريك الأجسام العظيمة الثقيلة من مراكزها والإخبار عن الأمور الغائبة وإنطاق الجمادات والنباتات والحيوانات وأشباه تلك من خوارق العادات كل ذلك لتخلص جوهر جسده وجسمه من الأعراض الغريبة الموجبة للظلمة والحجاب الباعث لائتلاف الروح للجسد الموجب لظهور النفس اللاهوتية الإلهية فيه التي هي بمنزلة النفس الإكسيرية الفعالة في الإنسان الوسيط وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : (خلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)[1].

وأصرح منه ما روى الشيخ العلام الإحسائي رحمه الله في كتابه شرح الحكمة العرشية وكذا في كشكوله أن بعض اليهود اجتاز بأمير المؤمنين عليه السلام وهو يتكلم مع جماعة فقال : يا ابن أبي طالب لو أنك تعلمت الفلسفة لكان يكون لك شأن من الشأن ، فقال عليه السلام : وما تعني بالفلسفة؟ أليس من اعتدل طباعه صفى مزاجه ومن صفى مزاجه قوى أثر النفس فيه ومن قوى أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه ومن سما إلى ما يرتقيه فقد تخلق بالأخلاق النفسانية فقد صار موجودا بما هو إنسان دون أن يكون موجودا بما هو حيوان فقد دخل في الباب الملكي الصوري وليس له عن هذه الغاية مغير، فقال اليهودي الله أكبر يابن أبي طالب فقد نطقت بالفلسفة جميعها في هذه

(١) غرر الحكم ٢٤٠ ، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٦٥ ، الصراط المستقيم ج ١ ص ٢٢٢ ، المناقب ج ٢ ص ٤٩ .

الكلمات رضي الله عنك)[1].

فالمراد باعتدال الطباع حال زوال الغرائب المفسدة، وبصفاء المزاج ائتلاف الأجزاء الجسمية والروحية، وبتقوي أثر النفس فيه ما أشرنا إليه من ظهور النفس اللاهوتية عليه ومثل هذا المؤمن إذا مات بسبب الأعراض الضعيفة الباقية فيه ووضع في القبر لم يأت التراب على تفكيك أجزاء جسده الأصلي لشدة تلزز أجزائه كالذهب الخالص وزحف العرض المفسد وعدم تسريه في أعماقه وإنما هو شيء في ظاهر جسده فإذا وضع في قبره زال عنه العرض من غير أن يؤثر في أصل جسده تغييرا ومثاله الذهب المغشوش الموضوع في الخلاص فإنه يقلع الأجزاء الغشية من أعماقه من غير أن يبطل صورته ولكنه بعد زوال العرض منه يغيب عن أبصار أهل الدنيا للطافته ونوريته فلا يراه إلا من هو من أهل ذلك العالم الذي هو فيه وإنما يبقى منه في القبر الأعراض العارضة له من العناصر الدنيوية فافهم.

---

(١)الصراط المستقيم ج ١ ص ٢١٤ (لما خرج إلى النهروان استقبله دهقان وقال لتعودن عما قصدت إليه لتناحس النجوم والطوالع فسعد أهل النحوس ونحس أهل السعود واقترن في السماء كوكبان يقتتلان وشرف بهران في برج الميزان وقدحت في برجه النيران وتناشت الحرب حقا بأماكنها فتبسم الإمام عليه السلام وقال أنت المحذر من الأقدار أم عندك دقائق الأسرار فتعرف الأكدار والأدوار.أخبرني عن الأسد في تباعده في المطالع والمراجع وعن الزهرة في التوابع والجوامع وكم من السواري إلى الدراري وكم من الساكنات إلى المتحركات وكم قدر شعاع المدبرات وكم أنفاس الفجر في الغدوات قال لا علم لي بذلك فقال عليه السلام هل عندك علم أنه قد انتقل الملك في بارحتنا من بيت إلى بيت بالصين وانقلب برج ماجين وهاج نمل الشيخ وتردى برج الأندلس وطفح جب سرنديب وفقد ديان اليهود ابن عمه وعمي راهب عمورية وجذم بطريق الروم برومية وتساقطت شرافات من سور قسطنطينية أ فأنت عالم بمن أحكم هذه الأشياء من الفلك قال لا فقال عليه السلام هل عندكم علم أنه قد سعد في بارحتنا سبعون ألف عالم منهم في البر ومنهم في البحر أ فأنت عالم بمن أسعدهم من الكواكب قال لا ثم أخبره عليه السلام بأن تحت حافر فرسه اليمنى كنز وتحت اليسرى عين من الماء فنبشوا فوجدوا كما ذكر عليه السلام فقال الدهقان ما رأيت أعلم منك إلا أنك ما أدركت علم الفلسفة فقال عليه السلام من صفي مزاجه اعتدلت طبائعه ومن اعتدلت طبائعه قوي أثر النفس فيه ومن قوي أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه ومن سما إلى ما يرتقيه تخلق بالأخلاق النفسانية وأدرك العلوم اللاهوتية ومن أدرك العلوم اللاهوتية صار موجودا بما هو إنسان دون أن يكون موجودا بما هو حيوان ودخل في باب الملكي الصوري وماله عن هذه الغاية معبر فسجد الدهقان وأسلم).

نعم مدة الخلاص متفاوتة فربما تكون طويلة وربما تكون قصيرة لتفاوت الأشخاص في مراتب ضعف العرض، فالذي سمعت من أن من داوم على العمل الفلاني مثلا لم يبل جسده، المراد به ما ذكرناه لا أن يبقى جسد الشخص الأصلي في القبر بهذه الهيئة الدنيوية الظاهرة للأبصار كما يلوكه الجهال بأفواههم وينقلون عليه حكايات واهية كاذبة يفرغ بعضها في بعض، نعم إن صدقوا في بعض ما يلوكون فالمأخذ فيه ما سنذكره في حال سائر الناس إن شاء الله تعالى.

ومن لم يف عمله بذلك إما لقصر بقائه في الدنيا وإما لضعف إيمانه الموجب لضعف عمله كما وكيفا فهو إذا فارقت روحه جسده ووضع جسده في القبر يحتاج إلى التصفية الطبيعية ولا يمكن ذلك حكمة إلا بحل الأجزاء وكسرها وتفكيكها لانغمار الأعراض الغريبة في أعماقه وشدة تعلقها به، بحيث لا تنفصل عنه إلا بهدم بنية الجسد وتكليسه وحله وتقطيره وتصعيده وغسله وغير ذلك من الأعمال، فمثل هذا الجسد يبلى في القبر وتتفكك أجزاؤه الأصلية الباقية بعضها عن بعض بتبعية الأعراض الفانية، وربما تتفرق في أقطار الأرض مصاحبة لتلك الأعراض حتى إذا تخلصت من تلك الأعراض بالكلية أسرعت إلى التربة التي ماثها الملك بأمر الله في نطفتي أمه وأبيه وهي قبره الأصلي فبقى فيها مستديرة إلى حين البعث كما ورد في الحديث وهذا هو أحد معاني قول أمير المؤمنين عليه السلام (كم من آكل لحم أخيه وشارب برأس أبيه) هي ، وهؤلاء أيضا مدة تخلصهم متفاوتة بحسب الأشخاص، هذا حال المؤمن.

وأما حال الكافر فهو أيضا كحال المؤمن حذو النعل بالنعل

وإنما التفاوت في شيئين أحدهما أن جسد المؤمن إذا تخلص من الأعراض الغريبة الفانية صار صافيا نورانيا صرفا على حسب ما فيه من نور الإيمان، وجسد الكافر على العكس فصفاؤه إنما هو في الظلمانية، ثانيهما أن أجزاء بدن المؤمن بعد التصفية تصير مؤتلفة بكمال الائتلاف والاتحاد بحيث لا يتطرق إليها الفساد بعد التركيب الخالد في المعاد وذلك بعد التصفية الثانية بعد الرجعة فيما بين النفختين، قال بعض الطبيعيين وأجاد: (إن الإحراق هو سبب لطهارة الجسد وطهارة الجسد هي سبب مناسبة النفس له، ومناسبة النفس له سبب عشقها له، وعشقها له بسبب اتحادها به، واتحادها به سبب كونه روحانيا مثلها، وكونه روحانيا مثلها سبب حياته الأبدية واستحالة الموت عليه)، هي ، فتدبر في هذا الكلام وانظر ما أوفقه على قواعد الخلقة.

وأما الكافر فأجزاؤه وإن خلصت من أعراض الدنيا ولكنها لا يأتلف بعضها ببعض بل يصير الاختلاف بينها بعد التصفية أشد لأنها على ضد طينة المؤمن ذاتا وصفاتا لأنها خلقت من طبيعة التنافر والتناكر ولذا لا يكون بين أهل النار مصافاة أبدا بل كلما دخلت أمة لعنت أختها وإنه لحق تخاصم أهل النار فبينهم في عين المناسبة كمال المنافرة تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فالطبيعة الثانية المغيرة التي طبعه الله عليها بكفره في الخلق الثاني التشريعي تدعوا أجزاء وجوده دائما إلى التفكك والهلاك والاضمحلال والتنافر لاختلاط الغرائب من المعاصي بها وفي الخطبة (هيهات هيهات وما تناكرتم إلا لما فيكم من المعاصي والذنوب)[1] فافهم .

ولكن الطبيعة الأصلية التي فطر الله جميع الناس عليها في الخلق الأول التكويني تعارضها في ذلك فتدعوا الأجزاء إلى الاجتماع والحياة فيكون بينهما دائما تنازع وتصادم، كلما جمعتها الطبيعة الأولية فرقتها الطبيعة الثانية بمعونة النار، ولذا أخبر تعالى عن حالهم بقوله ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾[2] الآية، ومما يرشد إلى ذلك حديث الطائر الموكل بجسد ابن ملجم الملعون وتفريقه لأجزائه بالأكل ثم قيئه لها واجتماعها، ثم تفريقه لها ثانيا وهكذا إلى يوم القيامة، والخبر مشهور عسى أن نورده في ضمن المعجزات، ومنه ما ورد من أن أهل النار إذا استغاثوا من العطش يغاثون بماء كالمهل يشوي الوجوه فتسقط لحوم وجوههم فيه، هي.

ولا ريب أن هذا الساقط يعاد إليهم ثانيا بحكم قوله تعالى ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾[3] وقد بين الصادق عليه السلام أن الجلود المبدلة هي هي وهي غيرها بمنزلة اللبنة تكسر وتصاغ، وبالجملة أهل النار دائما في التفرق والاجتماع فإن المتوكلين بهم يضربونهم بمرزبة فتتطاير أجزاء جسدهم كالهباء ثم تجتمع ثم يضربونهم أخرى وهكذا، وهو من أنواع عذابهم والسبب فيه ما بيناه.

وأما المستضعفون ومن في حكمهم فأجسادهم أيضا تبلى في القبور بالطريق الأولى، هذا واعلم أن مدة بلى الأجساد تختلف باختلاف

---

(١) الكافي ج٨ ص٢٢، بحار الأنوار ج٨ ص٣٨٢، التوحيد ٧٢.
(٢) الأعلى ١٣
(٣) النساء ٥٦

طالع الأتربة والأهوية وسائر الأسباب الغيبية والشهادية فربما يبقى الجسد في القبر خمسين سنة أو أكثر لا يبلى شيء منه ولكن مآله إلى البلاء لا محالة فالذي يحكيه بعض القاصرين إن كانوا صادقين فيما يحكونه هو أمثال هذه الأجساد ولا دلالة فيه على السعادة لأن بلى الأعراض سريعا أو بطيئا ليس مناطا في سعادة الشخص ولا في شقاوته.

وبالجملة إن موضوع الكلام في بلى الأجساد وعدمها إن كان هو الأعراض الزائلة الفانية فهي بالية في كل ذي روح وإن كان أصل الجسد الذي به يحشر ويعاقب أو يثاب فقد عرفت أن منها ما لا يبطل تركيبه ولكن إذا زالت عنه الأعراض لم يدرك بهذه الأبصار الدنيوية فلو كشف قبره لم ير فيه شيء منه ومنها ما يؤول حاله إلى بطلان التركيب والبلى فما لم يبطل تركيبه أو بطل ولم يصل إلى حد البلى بعد فهو يرى في ذلك الحال بتلك الأبصار وأما بعد ذلك فلا، نعم لا نمنع من أن تقتضي حكمة من حكم الله الخاصة أحيانا ظهور أجساد بعض الموتى لأبصار أهل الدنيا سواء بليت أم لم تبلى كما ورد كثير من ذلك في معجزات الأنبياء والأوصياء وهو قد يكون بتلطف أبصار الناظرين على نحو تدرك ما في عالم الغيب، وقد يكون بجذبه إلى عالم الشهادة بأن يلبسه الحكيم لباسا من سنخ هذا العالم كما كان في أول الأمر بحيث تدركه ظواهر الأبصار ولكن هذا طور خارج عما نحن فيه لأن كلامنا في مقتضى الحكمة العامة التي جرت الخلقة عليها في الكلية، هذا حال أجساد سائر الناس.

وأما المعصوم فجسده في كمال الصفاء واللطافة والاعتدال من

بدو شأنه بحيث لو ظهر للناس بصورته الأصلية يذهب سنا برقه بالأبصار فلا يطيق أحد رؤيته، وإنما تلبسوا بلباس البشرية الدنيوية بالعرض لمصلحة الخلق ليطيقوا مشاهدتهم والأخذ عنهم والانتفاع بهم وهو مع ذلك فيهم في كمال الرقة واللطافة والضعف في التعلق حتى أنه بلغ في النبي ﷺ أنه يقف في الشمس ولا يرى له ظل لغلبة نوريته على الكثافة البشرية فهو يطرد الظل عنه كنفس جرم الشمس، ولأجل ذلك كانوا يصعدون السماء وينزلون الأرض ويمشون على الماء ويبلغون إلى ما شاؤوا في طرفة عين ويمدون أيديهم إلى أي مقدار من المسافة شاؤوا، ويأتون بما يريدون ولا تعوقهم الأعراض البشرية عن ذلك لاضمحلال أكثر أحكامها في جنب نورية أصل جسدهم الشريف، ولو أنهم أرادوا أن يرفعوا حكمها بالكلية فهو في اختيارهم وليسوا كسائر الخلق مقهورين تحت حكم الأعراض لا يقدرون على رفعها حيث شاؤوا فجميع ما يعرضهم من لوازم الأعراض إنما هو باختيار منهم وإن كانت درجات المعصومين أيضا في ذلك متفاوتة، فإن سائر الأنبياء والأوصياء لا يقدرون على ما يقدر عليه محمد وآله المعصومون صلى الله عليه وعليهم أجمعين لأن رتبة أولئك بحسب رتبة هؤلاء ، فهؤلاء إذا اختاروا الموت على الحياة وانتقلوا من هذه الدار الفانية انخلعت عنهم الأعراض في أول ما يكون بحسب العادة الطبيعية وقد اختلفت الأخبار في تقدير مدة الخلع، ففي بعضها أنه لا يبقى في الأرض أكثر من أربعين يوما وفي بعضها أنه لا يبقى أكثر من ثلاثة أيام ووجه الجمع تفاوت أشخاص المعصومين في ذلك، فإذا انخلعت عنهم الأعراض ارتفع

جسدهم بما هو عليه من التركيب بجميع ما له من اللحم والعظم والدم وغيرها إلى العرش والسماوات أعني عرش القبر وسماواته لأن تلك الأجساد نزلت منها وتعلقت بالأعراض الدنيوية فلذا قال ﷺ (إن الله حرم لحومنا على الأرض فلا تطعم منها شيئا)[1] والمراد به لحوم أصل أجسادهم لا الأعراض الزائلة لأنها أصلها من الدنيا ولا تتعدى إلى عالم البرزخ فضلا عن الآخرة، ومثال أجسادهم عليهم السلام بالنسبة إلى الأعراض الزائلة الصورة الواقعة على المرآة منك فإن جرم الشيشة مثال الأعراض الزائلة والصورة الظاهرة بها مثال أصل أجسادهم فإنك إذا كسرت الشيشة لم ينكسر من صورتك شيء وإنما ترجع إليك بما هي عليه وتستقر في ظلك وتغيب عن الأبصار الظاهرة مع أنها باقية في رتبة أعالي ظهورك معلقة على أوائل عللها من فعلك بحيث كلما قابلتها مرآة ظهرت بل لو قابلتها ألف ألف مرآة ظهرت في جميعها من غير أن تتعدد أو يتجزأ في نفسه فلا تستبعد حضور أمير المؤمنين عليه السلام عند جنازته أو كونه هو الذي رفع مقدم سريره كما روي أيضا.

فحاصل الكلام وملخص المرام في المقام أن جسد المعصوم إذا وضع في القبر انخلعت عنه الأعراض في زمان يسير لضعف تعلقها به وتعلق الجسد بما هو عليه من التركيب والتأليف بعرشه الذي نزل منه وهو غيب القبر الظاهر ولا تأكل الأرض من أجزاء جسده شيئا ولا تأتي على تفكيك جزء منه، وأما الأعراض فيلحق كل جزء منها لمركزه من العناصر الظاهرة كما أن بدنه في الحياة إذا مرض وتحلل

---

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٥٠ ، بصائر الدرجات ٤٤٣.

منه أجزاء من اللحم والعظم والدم وغيرها لحقت بمركزها وتخلف مكانها بدل مما يتحلل من لطائف سائر الأغذية ولا ينقص من أصل جسده شيء، والقول بأن الاعتبار في تقوم كل شخص بما هو عليه بصورته لا بمادته فإن أجزاء المادة متحللة دائما كما زعمه الصدر الشيرازي وبه صحح المعاد الجسماني من جملة المجازفات، فإن أصل حقيقة كل شيء جسدا كان أم غيره مادته والصورة إنما تتقدر بقدرها لأنها في الحقيقة صفة للمادة وقيام الصفة بغير موصوفها شطط من القول، وإنما أوقع هذا الفاضل في أمثال هذه التلقيات عدم وقوفه على العلم الطبيعي المكتوم الذي هو المرآة لمشاهدة هذه الأمور، فإن من له أدنى وقوف بهذا العلم لم يتفوه بأن المعاد هو الصورة دون المادة، هذا مع أن القائل بذلك خارج عن مدلول كتاب الله حيث يقول في جواب من قال ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾[1]،الآية فإن سوق الآية صريح في أنه يعيد مادة العظم الرميم لا صورته كما توهم هذا القائل، نعم إن العظام إنما تعاد بصورة عمل الشخص فإن كان مؤمنا فبالصورة الإنسانية وإن كان كافرا أو منافقا فبما اقتضاه عمله من الصور الحيوانية أو الشيطانية كما نطق بذلك لسان الوحي في غير موضع من الكتاب والسنة بل هو في حد التواتر معنى حتى كاد مضمونه وهو تبدل صور العاملين في الحشر عما هم عليه من الصور في الدنيا يبلغ حد الضرورة، فإن الألسنة على اختلافها مطبقة على ذلك في الموارد الجزئية وهي صورهم الباطنية التي كانت طينة موادهم منطوية عليها من جهة

(١) يس ٧٨.

الأعمال التي هي فروع الإيمان والكفر، وكانت في الدنيا مستورة بسر الإجابة الظاهرة في الذر الأول ولما كسرهم المبدأ في القبر وأراد صوغهم للجزاء استدعى كل من المواد صورته الأصلية التي اكتسبها من أعماله الخاصة به، وليس هنا محل تفصيل هذه الأمور وإنما أشرنا إلى شيء منها تتميما للفائدة.

هذا وبالتأمل فيما ذكرنا من حال جسد المعصوم تعرف معنى نقل نوح لعظام آدم من سرنديب إلى النجف ونقل موسى لعظام يوسف من مصر إلى الشام وأن المراد بالعظام تمام الجسد لما عرفت من أنه لا يبلى ولا تتفكك أجزاؤه وليس المراد منها الأعراض الزائلة لعدم فائدة في نقلها بعد تخلص الطينة الأصلية منها وعدم جريان العادة ببقائها هذه المدة الطويلة على ما هي عليها من التركيب فافهم وتبصر وفي المقام أسرار لا يسعنا ذكرها.

وأما جسد غير المعصوم فمنها أيضا ما لا يبلى بل ينقل من دار إلى دار وهو جسد الكاملين من أهل الإيمان ولذا قال تعالى في حقهم ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[1]، فإنه لو كان المراد بها حياة الأرواح خاصة لما كان فرق بينهم وبين سائر الناس حتى الكفار فإنهم أيضا ليسوا بأموات بهذا المعنى فافهم، ولكن مدة تخلصهم من الأعراض الدنيوية ليست على حد سرعة تخلص المعصومين ومنها ما يبلى بتبعية الأعراض للعلة التي ذكرناها في ما قبل وهو أجساد من سواهم على تفصيل يطول بذكره الكلام .

---

(١) آل عمران ١٦٩

هذا حال الأجساد المركبة من العناصر وأما الأرواح فتخرج من الأجساد بمصاحبة الجسم الحيواني ويلحق بجنة الدنيا إن كانت مؤمنة وبنارها إن كانت كافرة، وهذا الجسم هو القالب الذي ورد في الأخبار من أن الأرواح إذا فارقت الأجساد جعلت في قالب كقالبها في الدنيا وهذا القالب ليس أمرا أجنبيا يلحقها بعد الموت وإلا لكان تناسخا بل هو الذي كان في الدنيا في باطن هذا الجسد وعليه حاملا للأرواح من المثال والمادة والطبيعة والنفس والروح الرقيقي والعقل وإنما أتى بعبارة يوهم ما زعموه تحقيقا للتخلص به وذلك مثل أن يقال أن الروح إذا نامت دخلت في عالم كعالمها في اليقظة فإنه عبارة صحيحة بليغة مع أن الروح ما كانت غائبة عن ذلك العالم ولا خارجة عنها وهي في حال اليقظة لأن عالم النوم عالم حسها المشترك البرزخ بين الباطن والظاهر فيؤتى بهذه العبارة لأنها حال اليقظة مشتغلة بعالم الحس الظاهري فإذا أعرضت عنه بالنوم خلصت للالتفات إلى ذلك العالم وكانت كأنها دخلته في ذلك الحين، وكذا تخلصها للجسم بعد الإعراض عن الجسد ولبعض القاصرين في هذا المقام خيالات وتخمينات تضحك الثكلى.

هذا وربما يقول قائل إنا لا نعرف فرقا بين الجسم والجسد.

فنقول الجسد هو القالب العنصري النباتي الذي يبقى ميتا بعد مفارقة الروح منه وأصله من لطائف العناصر الأربعة، وأما الجسم فهو القالب الفلكي الحيواني الذي أخذ من طالع الأفلاك إذا فارق الجسد بقي الجسد ميتا لأن من المعلوم أن الإنسان إذا مات خرجت منه روحه الحيوانية التي بها كان يتحرك ويمشي ويحس مع سائر

الأرواح المجردة، وهذا الجسم هو المراد فيما نحن فيه وهو على هيئة الجسد العنصري النباتي المعدني فيقال عليه الروح بالنسبة إلى الجسد وحياته به وهو جسم بالنسبة إلى ما فوقه من الأرواح فافهم .

وأما أرواح المستضعفين ومن في حكمهم فهي بعد الخروج من الجسد تبقى معه في القبر ملتهى عنها لشدة كثافتها وتحجرها بسبب العوارض إلى يوم القيامة كما يأتي التصريح بذلك إن شاء الله تعالى في حديث ضريس الكناسي المروي في الكافي في كتاب الجنائز في محله اللائق به من هذا الكتاب وهو حضور الأئمة ﷺ عند الموتى ، فتأكل الأرض غرائب جسده وإذا نفخ إسرافيل في الصور نفخة الصعق تفككت أجزاء روحه الذي قلنا أنه جسم إضافي كما تتفكك أجزاء أرواح من عداه أيضا للتخليص والتصفية ويدخل كل جزء منها إلى ثقب من الصور فتصفى هيولاه وصورته التي هي المثال على مقدار ما ينبغي لحاله من التصفية ثم يركب في نفخة الدفع ويطلب جسده الباقي في الأرض المجتمع بضرب أمواج المطر النازل على الأرض قبل قيام القيامة، فتتحد روحه بجسده ويقوم للحشر ويجدد له التكليف فإما أن يقبله ويدخل الجنة وأما أن ينكره فيدخل النار، فالأعراض الدنيوية العارضة للجسد من الأغذية الظاهرة زائلة بأسرها بالية يلحقها بمراكزها من كل ذي روح لأن مبدأها من الدنيا وإليها تعود ، ومثال ذلك وآيته صورته التصديقية التي في ذهنك، فإنك إذا أردت إلقاء مثال منها إلى مخاطبك ألبسته لباسا هوائيا من سنخ هذا العالم مناسبا له في الهيئة التأليفية وهو اللفظ المسموع وألقيته إلى الهواء الخارج فيحمله ذلك الهواء إلى أذن مخاطبك فإذا وصل إلى

الصماخ وقرع الطبل المفروش عليه تنبه له الحس المشترك وتلقى منه هيأته البرزخية وبقي قشره المتلبس به في النزول إلى الحس الظاهري الذي أصله من الهواء الخارج المنجذب إلى الجوف حين التكلم فيما يلي الطبل ولا يتجاوزه لأنه ليس من سنخ عالم الحس المشترك وإنما هو من عناصر الحواس الظاهرة ثم يتلقاه من الحس المشترك الخيال بعد تجريده من لباس البرزخية صورة خيالية نفسانية فينقش فيه مرادك بتلك الصورة ويدركه مخاطبك فالهواء الحامل لذلك المثال في عالم الظاهر لباس له عارضي لبسه عند التنزل من أوج مقامه إليه فإذا وصل إلى الصماخ الذي هو بمنزلة القبر له خلعه وانتقل إلى عالم ألطف منه وتفكك تركيب ذلك الهواء وامتزج بالهواء الخارج وقد يبقى مجاورا للطبل على ما هو عليه هنيئة بعد الخلع سيما إذا تشاجرت الأصوات والتف بعضها ببعض وتزاحمت إلى العصبة بتصادم وقوع شديد فإن الأذن بعد سكون اللغط وهدوء الأصوات يدرك صورتها في الصماخ إلى حين ما، وهو مثال بقاء الأعراض في القبر إلى أن تأتي عليه الأرض وتفككها، وقد يتفق مثل ذلك في الحس المشترك أيضا إن كنت جربته، وقد يكون اللفظ الحامل للمثال المفروض مركبا من هواء غليظ ويتلاقاه في الهواء الخارج مضافا إلى ذلك رياح شديدة وأصوات مختلفة متشاجرة فتوجب فيه غلظة على غلظة حتى إذا وصل إلى الصماخ لم يتأد منه إلى الحس المشترك شيء لاختلاطه بالعلائق والعوائق المانعة للمعنى عن التجرد والتخلص ، ولذا تراه لا يفهم منه السامع شيئا سوى قرع مختلط لطبل صماخه وهذا مثال أجزاء الأجساد التي تحتاج في تخليصها من العوارض والعلائق

والعوائق إلى الهدم والتكليس بتبعية الأعراض حتى تخلص وتستأهل للصعود إلى عالمها الأول، فالمثال الذهني المفروض أصله من عالم ذهنك الذي له بالنسبة إلى عالم الحس الظاهر تجرد ما وإنما عرضه هيأة اللفظ المسموع المركب من أجزاء الهواء الخارجي من مرتبة التنزل فإذا أخذ في العود إلى عالم تجرده من سبيل قوس الصعود استغنى عن اللباس المذكور فخلعه وتركه في محله الذي منه بدؤه، وأخذ في الصعود إلى عالم تجرده وإذا وصل إلى عالم الحس المشترك ترك فيه لباسا آخر قد تلبس به أيضا في النزول وصعد منه إلى عالم الخيال الذي منه بدؤه في النزول فيصدق عليه قوله تعالى ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾[1] الآية.

وعلى هذا القياس حال الأجساد النازلة من عالم الجنة عالم الصفاء والتجرد وعودها إلى عالمها الأول فافهم وتصرف في المثل بلطف قريحتك لتفوز بما لم يفز به آباؤك الأولون فإنك إن تأملت في المثل المضروب لم يبق لك شبهة في كيفية المعاد الجسماني فلم تحيرك شبهة الآكل والمأكول ولا غيرها من الشبهات السفسطية فلم يجبك المخاصم إلى القول لعود الصور دون المواد كالحكيم الشيرازي ولا إنكار عود الأجسام رأسا كبعض المتفلسفة ولا التكلم فيه بما تضحك منه الثكلى كبعض القاصرين من المعاصرين فإنه بعد ما شدد النكير فيه على جل الحكماء والعلماء من الإسلاميين وغيرهم لا سيما على من قال بأن الإنسان له أجزاء أصلية هي أصل جسده وأجزاء فضلية ليست من أجزاء أصل جسده والمبعوث في المعاد هو

---

(١) الأنعام ٩٤.

الأول دون الثاني كالمحقق الطوسي والفاضل العلامة والمولى الأول المجلسي والشيخ العلامة الإحسائي قدس الله أرواحهم فإنه بعدما زيف أقوالهم ونطق في حقهم بما يليق بمثله لا بمثلهم جلس في صدر التحقيق وفتح عن جراب التدقيق وأخرج منه خزعبلات لا يليق ذكرها في الكتاب ولا في المسألة عنها جواب لأنه نشد غير ضالته وطلب غير سائمته فظل يتخبط في الظلمات يرتبك في الشبهات بغير هدى ولا كتاب منير .

وحاصل معنى كلامه بعد تخليصه من الفضول أن الأجساد تعاد يوم القيامة بما هي عليه في الدنيا بعدما يعود وينضم إليها جميع الأجزاء المتحللة منها من بدو تولدها إلى يوم وفاتها ويضاعف إلى ذلك أجزاء من فاضل فضل المبدئ المعيد الوهاب، ولم يقنع بذلك حتى قال : إن الأطفال الذين يموتون في الصغر ولا يكون لهم كثير أجزاء متحللة ينبغي أن يفيض إليهم الكريم جميع ما كان مقدرا لهم في خزانة التقدير من الأجزاء لأن تلك الأجزاء المفارقة المتفرقة كلها من أجزاء الجسد الأصلية وإن فارقته في الدنيا مدة يسيرة فإنها لا بد لها من عودها إلى الجسد ورجوعها معه إلى الله تعالى وإلا للزم أن يكون لفعل الله تعالى تعطيل بالنسبة إلى تلك الأجزاء ولا قبح فيما يلزم من ذلك من تعظم الأجسام لأن جسم الآخرة ينبغي أن يكون كذلك لسعة فضائها وعظم ما فيها من أنواع النعيم والعذاب فيجب أن يكون المتنعم والمتألم أيضا كذلك، هذا حاصل معنى كلامه بعبارتنا لا بعبارته لأنها مع اشتمالها على تطويلات زائدة وعبارات مقرمطة غير مأنوسة قد تكلفها بإكثار سينات الاستفعال ونونات المطاوعة

وياءات النسبة تعظيما للحقير وتكثيرا للنزر اليسير، ولذا عدلت فيه عن نقل الألفاظ إلى نقل المعاني من غير أن نغير من مراده شيئا وكفى بالله شهيدا.

ثم إنه أيد ما زخرفه بأمور منها: أن كشف أجزاء هذا الجسد العنصري المتغير هو الروث والدم لا سيما من جسد الحيوانات ولا سيما من الحمار، وقد أخبر الله تعالى عن فعله وإحيائه وإعادته لحمار عزير وأربعة من الطير لإبراهيم عليه السلام وأخبرنا بأن كل ذلك أحياها مع أجسادها وجلودها ودمائها وأرواثها، وبأنه لما ضرب ببعض بقرة بني إسرائيل وأحيى المقتول به أحيي مع عذرته ودمه وهو يشخب دما كما كان في حال مقتوليته، وأخبرنا في الروايات أيضا بأن الشهداء المقتولين يبعثون وتشخب دماؤهم أيضا، إلى أن قال: وكل ذلك من فعل الله وإخباره وإخبار الروايات في مقام نصب الدليل للمعاد كما قال تعالى في تلك القضايا ﴿كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾[1] الآية ، انتهى ما نقلنا عنه بلفظه .

ثم إنه تكفل بزعمه بدفع شبهة الآكل والمأكول وزعم ما حاصله أن الأجزاء الغذائية المأكولة لا يصير شيء منها جزء لجوهر بدن الآكل المغتذي وإنما تلك الأغذية معدات إذا وردت على الجوف تكونت في البدن بإعدادها أجزاء اختراعية يخلقها الخالق في ذلك البدن لا من شيء، وهذه أي الأجزاء التي يجب إعادتها وضمها إلى بدن المكلف عند العود، وأما المأكولات الخارجية فهي تندفع وتتصل عند الحشر بالجسم المأكول من حيوان أو نبات أو معدن

---

(١) البقرة ٧٣

أو إنسان وتحشر معها لأنها من أجزائها لا من أجزاء الآكل، هذا غاية تحقيقه وتنقيره في المقام وإنما تعرضنا لذكر ذلك مع كونه مما لا يستحق التعرض به وبيان فساده لغاية دعتني إلى ذلك.

فأقول : إن من له أدنى مسكة وتدبر في مذاهب الناس يعلم أن هذا الرجل قد قال بقول خارج عن جميع الملل والمذاهب لأنا لم نسمع إلى الآن عاقلا يقول أن الأجزاء التحليلية من بدن الإنسان أو غيره في حياته تعود إليه بعد الموت أو عند الحشر وتحشر معه وتكون من أجزاء بدنه الأصلية وإن كان هذا يلزم كل من يقول بإعادة الأجسام بمادتها وينكر أن يكون لبدن الإنسان أجزاء أصلية هي أصل طينته التي خلق منها لا من شيء، وأجزاء فضلية لحقتها من العوارض الدنيوية، والأولى هي التي تعاد للجزاء دون الثانية فإن من ينكر ذلك لا بد له من الالتزام بإعادة جميع الأجزاء التحليلية من نزوله إلى الدنيا إلى يوم خروجه منها لأن الأجزاء الموجودة حين الموت ليست بأولى للثواب والعقاب مما تحلل منه فيما قبل على قول هذا القائل ولكن هؤلاء أيضا مع ذلك لم يلتزموا به ، فقول هذا الرجل المغرور بعلمه خارج عن جميع المذاهب مع كونه غير معقول في نفسه لأن منشأ وهمه .

هذا وما قرره في دفع شبهة الآكل والمأكول من انخلاق أجزاء أصلية للبدن محسوسة في عالم الحس الظاهر بإعداد الأغذية لها وأنها تتحلل من البدن شيئا فشيئا وينوبها بدل مما يتحلل من غير أن يكون شيء من ا لغذاء الوارد جزء من بدنه الحسي الظاهري، فإنه غفلة عن أسرار الخلقة وخلاف للمحسوس الذي لا يشك فيه إلا

السوفسطائي، فإن الأجزاء الغذائية إذا وردت على البدن الظاهري تصير بالبديهة كيلوسا وكيموسا ثم تنقسم إلى أخلاط أربعة إلى أن تصير مشابهة لجوهر المغتذي من الدم واللحم والعظم والشحم والعروق والأعصاب والأوتار والغضاريف والجلود فتكون جزءا من ظاهر البدن قطعا وإن أبيت إلا الجمود فانظر إلى الأجسام العفنة كيف تنقلب دودا بعينها حتى لا يبقى من الأجزاء شيء، فهي بينما كانت جسما لحيوان أو نبات أو إنسان ما انقلبت وصارت بالفعل جسما للدودة ، فليت شعري إذا أراد الله حشر جميع ما في الدنيا كما هو معترف بذلك تحشر تلك الأجزاء مع الدودة أو مع ذي الجسم السابق، فإن قال إن جسم الدودة الأصلي ليس عبارة عن تلك الأجزاء، بل الأجزاء إذا تعفنت تولد من غيبها للدودة جسم يخترعه الخالق لا من شيء، وتلك الأجزاء الظاهرية حاملة لذلك الجسم الأصلي فإذا ماتت الدودة وتفرقت أجزاء جسمها لحقت تلك الأجزاء الحسية بأصولها ولا يحشر شيء منها مع الدودة، فهذا ما نقوله نحن وقاله من سبقنا من الأساطين الذين قال هذا الرجل في حقهم أنهم غير قائلين بالمعاد الجسماني فإن متأخرهم ﷺ صرح في غير موضع من كتبه وسفوراته بأن جسد المكلف اخترعه الله لا من شيء ثم نزله من الخزائن التي عنده فنزل واختلط به نبات الأرض بالعرض فتغذى أبوه وأمه بذلك الغذاء الحامل لتلك الأجزاء اللطيفة الأصلية، فصار ذلك الغذاء حالا لتلك الأجزاء في منازل أبدانهما من المعدة والعروق والكبد إلى أن تخلص وصار منيا وانتقل إلى الرحم فصار نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسي لحما،

وأصل الجسد في كل تلك المنازل مصاحب لذلك الغذاء المستحيل بتلك الاستحالات، فإذا تمت بنيته ظاهرا وباطنا أشرق عليه الروح الحيواني الذي أصله من طالع الأفلاك فيشرق ظاهره لظاهره وباطنه لباطنه حتى إذا حان حين الولادة أشرقت عليه النفس الإنسانية إن كان إنسانا فيخرج في الدنيا مصاحبا لتلك الأعراض الغذائية، وحيث كانت تلك الأعراض تتحلل بكر الأفلاك وتقلب العناصر احتاجت في بقائها لأصل الجسد في الدنيا إلى بدل من الأغذية إلى حين الارتحال من الدنيا فصار كلما وصل إلى البدن شيء من الأغذية أخذ صافيها بدلا مما تحلل أو جزءا مضافا إلى الجزء الباقي وبه يبقى حيا ما دامت الأجزاء معتدلة، والجسد النازل من عالم الغيب في كل تلك الحالات محمول بل حامل لتلك الأجزاء الغذائية المتبدلة على سبيل البدلية وهو كالصورة وتلك الأجزاء كالمرآة المظهرة لها ، فإذا حان حين الموت وفارق هذه الدار أخذت الأرض الظاهرة من أصل الجسد ما منها فيه من الأجزاء العارضة الغذائية بالفعل وتخلص الجسد من العوارض الدنيوية وبقيت فيه العوارض البرزخية إلى أن يصفى منها أيضا فيما بين نفختين ويقوم معلنا بالثناء على الله يوم الحشر الأكبر صافيا زكيا ليس فيه شيء من العوارض الدنيوية أو البرزخية، وهذا حال جميع المواليد بل والبسائط والأصول أيضا كأجسام الأفلاك والعناصر الظاهرة فإن لها أيضا جسما أصليا أخرويا وعوارض عرضت لها من مراتب التنزل والبعد عن المبدأ بحكم أدبر فأدبر، فإذا قامت القيامة كشط ظاهرها وزال وظهر باطنها الذي كان لها في الدنيا وهو أرض الجنة وسماؤها

وأرض النار وسماؤها فإن ذلك الباطن موجود الآن في غيب هذه السماوات والأرضين ظاهر للأبصار من وراء الحجاب لا تراه هذه الأبصار على ما هو عليه بالوجود أي بالحصول فيه إلا القيامة، وأما الرؤية بالوجدان فقد يراه بعض من كشف عن عين بصيرته كما قال تعالى﴿كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم﴾ وهو في الدنيا ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾[1] الآية وهو في الآخرة لحصول البراهين يومئذ في صقعها وهو أرض الآخرة بالوجود لا بالوجدان المحض كما في الدنيا، وأما سائر الأبصار فقد قدمنا أنها ترى ظاهرا منها وراء سبعين حجابا، واعلم أن في المقام تفصيلات لا يسعها هذا التذييل المبني على الاختصار فلنرجع إلى ما كنا فيه .

فيقول هذا الرجل إن كان يعترف بما قلنا من زوال تلك الأجزاء وعدم عودها مصاحبة للمغتذي والمسكون ظاهرا منها يوم القيامة فهذا ما يقوله أصحاب القول بالأجزاء الفضلية فما اعتراضه عليهم ؟ نعم لنا الاعتراض عليه بحسبانه أن تلك الأجزاء المفارقة من الدودة مثلا أجزاء أصلية لذي الجسم السابق فيجب أن يلحق به كما هو مبنى جوابه عن شبهة الآكل والمأكول لأنه إنما مهد هذه المقدمة لإثبات أن أجزاء المأكول الظاهرية المحسوسة لا تصير جزءا من الآكل بل تفارقه وتعود إلى المأكول وهي أجزاء المأكول الأصلية فتحشر معه وهو غلط بحت فإن تلك الأجزاء كما هي عارضة في الآكل على نحو ما ذكرنا لا على نحو ما زعمه كذلك هي عارضة في المأكول أيضا، نعم هي حاملة لأجزاء جسد المأكول الأصلية في

---

(١) التكاثر ٥-٧

غيبه فإذا اغتذى الآكل بالمأكول اغتذى ظاهر جسده بظاهر جسد المأكول لا بالأجزاء الأصلية الموجودة في غيبه كما إنك إذا كسرت المرآة وجعلتها أجزاء صغارا في غاية ما يمكن أو أذبتها بالنار كذلك لم تنكسر الصورة المشرقة عليها حين الكسر أو الإذابة لأنها ليست من سنخ المرآة وإنما هي من سنخ عالم الأظلة والمثل النورية جذبتها المرآة بصفائها الجسماني إلى عالم الحس فتعلقت بها تعلق إشراق لا تعلق ممازجة حتى تنكسر بكسرها أو تذوب بإذابتها بالنار الظاهرة، فافهم يا أخي هذه الحكم المضنون بها عن غير أهلها وستعرف برهان ما ذكرناه عن قريب إن شاء الله تعالى .

وكذا بحسبان أن أجزاء الأجساد الأصلية أيضا تتحلل في الدنيا آنا فآنا ثم تجتمع إليها عند البعث فيعظم جسم المكلف بذلك فإن مؤدى زعمه هذا أن تلك الأجساد في الدنيا كالنهر الجاري الذي يذهب ماؤه ولا يعود إليه إلا يوم الحشر بزعمه، فجسد الإنسان الذي كان له في الطفولية غير جسده الذي هو له في الشيب لأن الأجزاء الأصلية بزعمه تتحلل في الدنيا آنا فآنا ويصل إليه بدل مما يتحلل، يخترعه الحكيم لا من شيء بإعداد الأغذية الخارجية له ولأجل هذا التحلل لا تعظم الأجساد في الدنيا، لأنه لو بقيت جميع تلك الأجزاء المخترعة لا من شيء في بدن الشخص من أول عمره إلى حين وفاته لصار جسمه في أواخر عمره أعظم من الجبال العظيمة، هذا زعمه .

ونقول لو أردنا تعداد جميع خرافات هذا الزعم الفاسد لخرجنا عن وضع الكتاب ولكن لا بد من الإشارة إلى شيء منها قضاء لحق

من سبقنا من الأساطين الأعلام بل وجميع علماء الإسلام من باب قوله تعالى ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [1] فإنه بعد ما ذكر في كتابه المذكور أمورا زعمها أنها أدلة لوجوب المعاد بجميع ما في الدنيا حتى القاذورات كما صرح به في كلامه اللاحق الذي نقلناه عنه قال ما هذا عبارته : (وهذا الملك على ما أظن وأرى وكما ترى من خواص وخواص هذا الكتاب ولم يطلع عليه أحد من قبلي ولهذا ما ترى أحدا من المسلمين المقرين بالمعاد إلا وقد تخلفوا وخرجوا عنه في بعض أنواعه وأفراده بعد أن دخلوا فيه وأقروا بأصله، فبعضهم أنكر معاد مطلق الأجسام وبعضهم معاد الجمادات والنباتات والحيوانات غير المكلفين بزعمهم، وبعضهم معاد بعض الأجسام من الإنسان لذلك الزعم أيضا)، ثم قال (وكما لا أظن اطلاع أحد على هذا الملك من قبلي ما أرجو اتباع أحد إياي فيه من بعدي إلا قليلا لأن الناس قد تخلفوا عن الكتاب والعترة ونبذوها وراء ظهورهم وأخذوا في التقليد وصاروا هرجا ومرجا وهمجا وبهرجا وليسوا بناس بل كالنسناس الخناس يتخنسون عن الحق ويتقدمون إلى الباطل كما قال الإمام عليه السلام قديما ومرارا يا أشباه الناس ولا ناس، وكما قال من قال ونعم ما قال:

لم تبق من جل هذا الناس باقية

يناله الوهم إلا هذه الصور

ولولا تخلفهم عن هذا الكتاب والعترة وأخذهم لطريق التقليد والتبعية وولوجهم في الهرج والمرج والهمجية والبهرجية وخروجهم

---

(١) الشورى ٤٠

عن الدين من حيث لا يشعرون لكانوا قبلي وقبل هذا الكتاب مطلعين على هذا الملك والمنهج مهتدين إلى هذا الباب والمفتاح وما كانوا عن أمر المعاد خارجين بعد أن كانوا فيه من الداخلين)، إلى أن قال (فإذا ما اطلعوا عليه من قبلي مع صرحه ووضوحه للسبب المذكور ما يتبعونني فيه من بعدي لذلك أيضا) إلى آخر كلامه.

وهو كما ترى تجهيل وتضليل لجميع من دخل في الإسلام من الصدر الأول إلى زمانه، ولقد صدق إبليس له ظنه وهو قوله: ما أرجو اتباع أحد إياي من بعدي، فإنه لم يصدقه في ذلك أحد لكونه خارجا عن قول جميع المسلمين من وجوب تصفية الأجسام والأجساد ليوم القيامة وعدم رجوع المبعوثين بعد الموت إلى المحشر بقاذوراتهم التي كانت في بطونهم عند الموت كما هو زعمه وستعرف ذلك منه بعد بيان منا إلا عجل طلع من فارس وسمى نفسه بابا ونسج خزعبلات ملحونة لفظا ومعنى سمى بعضها فرقانا وبعضها صحيفة وبعضها خطبا وبعضها توقيعا وكان ممن عكف عليه ابن هذا الرجل وهو السيد يحيى فكتب هذا العجل له كتابا زعم أنه تفسير سورة الكوثر، ومن جملة ما خربط فيه أنه اعترض الشيخ العلامة الإحسائي أعلى الله مقامه في أمر المعاد وزيف زعمه قوله ، وصدق هذا الرجل في رده على الشيخ حتى قال ما هذا لفظه الذي في حفظي الآن : لأني وقفت على الكتاب منذ سنين وهو أوائل طلوع هذا العجل ولقد أجاد فلان في كتابه الفلان المحيط بالمشارق والمغارب في ذلك يعني في بيان المعاد إلى آخر كلامه المخربط، وأراد بذلك التملق والاستمالة لأنه هذا وإلا فذلك العجل كان أجل شأنا

من أن يقدر على تصور أصل المعاد فضلا عن أن يميز فيه بين الغث والسمين ويجعل نفسه حكما بين المتخاصمين، وإنما حكومته هذه كحكومة أبي موسى الأشعري بصفين عن رأي وهوى نفس وإلا فما لأبي موسى والتمييز بين الفاضل والمفضول والمردود والمقبول، ولذا إذا كان ليسأله بعض من يزعم في نفسه ويزعمه هذا العجل أنه من أتباع الشيخ العلامة الإحسائي ﷺ مسألة كان إذا ذكر اسمه الشريف أردفه بقوله صلوات الله عليه استمالة لقلب ذلك التأمل، فكان مذهبه هيولى وجميع المذاهب يتكلم في ذلك بمقتضى الوقت والحال، لا أن يكون له مذهب مخصوص يرى ما عداه باطلا، كلا وحياة أبيك وحيث أن هذا الرجل قد أساء الأدب بالنسبة إلى جميع علماء الإسلام بما أحسنه ما ذكرناه فبالأحرى لنا أن نجزيه ما يستحقه قضاء لحقوقهم على الإسلام وأهله.

فنقول : إن تلك الأجزاء الأصلية إذا جاز لها التحلل كالنهر الجاري وجب أولا أن لا يكون الباقي من جسد الإنسان المحصور بين حاصرين تمام جسده في حال من الحالات الدنيوية بل جزء من مائة ألف جزء من مثقال ذرة منه، وهو مخالف لقول جميع من دخل في حيز العقل فإن من يتكلم بمثل ذلك يجب أن يغل بغل ويحبس في سجن المجانين، فما سمعنا إلى الآن عاقلا يقول أن الموجود من جسد الإنسان أو سائر المواليد في الحالات المتبدلة في الدنيا جزء من تمام جسده الأصلي لآكله .

وثانيا يجب أن تبطل جميع الحدود والتعزيرات والدعاوى الشرعية والشهادات والمواريث وغيرها لأن زيدا إذا زنى في أول التكليف

مثلا وثبت عليه ذلك بعد عشرين سنة لم يجز على هذا القول إجراء حد عليه لأن المفروض أن أجزاء الجسد التي كانت لزيد عند الزنا قد ذهبت كلها بالتحلل فالحد يقع على غير الزاني، وليست الحدود جارية على مجرد النفوس بل عليها مع الأجسام، فإن زيدا إنما هو زيد بنفسه وجسده وإلا لما عذب الله تعالى تلك الأجسام يوم القيامة ولا أثابها فافهم، وعلى هذا القياس سائر الأحكام الشرعية وقد فرغنا في علمنا من إثبات كون الأجسام مكلفة ذوات شعور كالأرواح مع أن هذا الرجل نفسه غير منكر لذلك فهذا الاعتراض لازم عليه لزوم الظل للشاخص، ولعمري إن صدر الشيرازي لأعدل قولا منه وإن كان قوله أيضا باطلا حيث أسقط اعتبار المادة عن النظر بالكلية وقال : إن الاعتبار في جسمية الجسم بصورته لا بمادته وإن المادة لا حشر لها مع الإنسان ولا ثواب ولا عقاب لأنها متغيرة متبدلة آنا فآنا وبه دفع شبهة الآكل والمأكول.

فإن قلت أنكم أيضا قائلون بأن الممكن لا بقاء له بأزيد من أن صدوره من المبدأ فهو دائما محتاج في بقائه إلى إيجاد جديد يكون به طري الوجود دائما ومنه الأجساد الأصلية وأجزائها، ولازم قولكم هذا أن يكون جسد زيد القديم غير جسده الجديد لأن إيجاد ما هو موجود تحصيل للحاصل، وإيجاد ما ليس بموجود مستلزم لما قلناه فحينئذ يلزمكم ما ألزمتموه به من بطلان الأحكام الشرعية قلنا كلا وحاشا أن يكون قولنا مثل قوله.

فإنا نقول : إن الممكن كالنهر المستدير ينصب أوله في آخره بمعنى أنه في كل حين يكسر ويصاغ والمصاغ في الصنيعة الثانية

عين المكسور فزيد مثلا من أول خلقه إلى أبد الدهر له مادة واحدة أنزلها الله من عالم الإمكان إلى عالم الكون فإذا كسرها في الحين الثاني من الإنزال وذهبت صورتها الأولى وانتقلت إلى إمكانها ثم إذا أراد صوغها ثانيا أعاد تلك المادة بعينها وصاغها بصورة أقوى من الأولى وأتقن وهكذا إلى غير نهاية وبهذا الكسر والصوغ يترقى الممكن في الدرجات العالية إن كان مؤمنا ويتسفل إلى الدركات السافلة إن كان كافرا وهو المراد بالحركة الجوهرية التي أنكرها قوم وأثبتها آخرون، ولكن لا كما نقول نحن لعدم فهمهم مراد مثبتيها، فهذا الكسر والصوغ لكل ما دخل في حيطة أمر كن من المجردات والماديات في كل آن من آنات وجودها وبه بقاء الممكنات في عالم الكون أي عالم كان دائما لا يحس بهما في الظاهر لا تصال الفيض وعدم الفصل والتعطيل فقولنا هذا ما قاله إمامنا الصادق عليه السلام وعن حفص بن غياث قال : شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ ما ذنب الغير قال ويحك هي هي وهي غيرها قال فمثل لي ذلك شيئا من أمر الدنيا قال نعم أرأيت لو أن رجلا أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي هي وهي غيرها)[1] ،رواه الطبرسي في الاحتجاج. فإنه عليه السلام دل السائل إلى أن تلك الجلود هي هي من حيث المادة وهي غيرها من حيث الصورة ونحن هكذا نقول ولا يلزمنا شيء مما نقول لأن أجزاء جسم الإنسان الأصلية على هذا باقية في جميع آنات بقائه في الدنيا وإن كانت تكسر وتصاغ في كل آن، ولكنها لا تفارق الإنسان أبدا

---

(١) الاحتجاج ج٢ ص٣٥٤ ، بحار الأنوار ج٧ ص٣٨

وهذا الرجل يقول أنها في كل آن في التحلل والتبدل، وإنما تجتمع عند الإنسان حين البعث، فأين قوله من قولنا ؟ نعم نحن نقول بذلك في الأجزاء الغذائية العارضية فإن التحلل والتبدل فيها محسوس لكن لا نقول أنها تعاد بالمآل إلى الإنسان وتحشر معه فإنها ليست من أجزاء الجسد الأصلية حتى تعود إليه .

فبالجملة إن كان هذا الرجل يقول بما قررناه في صدر الكلام فلا اعتراض له على من سماه من الأعلام بل لهم الاعتراض عليه بما ذكرناه، وإن كان يقول إن الدودة المفروضة تحشر بتلك الأجزاء التي تكونت منها في الظاهر وأنها الأجزاء الأصلية لها فلم تندفع شبهة الآكل والمأكول لأن المفروض أن تلك الأجزاء كانت قبل ذلك أجزاء أصلية بزعمه لجسم آخر.

ثم نقول عليه: إن تلك الأجزاء التي زعمها أجزاء أصلية لا ريب أنها في الدنيا كثيفة ظلمانية كدرة في جميع الموجودات، وأجساد الآخرة في كمال الصفاء واللطافة في المؤمن وفي كمال الظلمة والكثافة في الكافر ولا ريب أن تلك الكثافات والكدورات ليست أمورا اعتبارية وهمية بل لها وجود وتحقق خارجي كالسواد العارض للأجسام، وإلا لما ترتبت عليها آثار خارجية ولكانت مرتفعة بعدم الاعتبار، وكل ذلك خلاف الضرورة، فهذا الرجل إن كان يقول بأن تلك الأجساد تصفى بعد الموت من الكثافات في المؤمن ومن اللطافات في الكافر فقد رجع إلى قول من يقول بالأجزاء الأصلية والفضلية وعاد كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، وإن كان يقول بعودها مع ما هي عليه من العوارض والكدورات كما هو صريح قوله الذي نقلناه

عنه فقد خالف ضرورة الدين وخرج عن ذمة المسلمين وأنكر قوله تعالى ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ [1] الآية وقوله ﴿وإذا السماء كشطت﴾ [2] إلى غير ذلك من الآيات الصريحة الظاهرة والأخبار المتواترة الواردة على مضمونها عن العترة الطاهرة عليهم السلام.

هذا والخطب فظيع أنه لم يكتف بعود تلك الأجساد بما هي عليه من العوارض اللاحقة بها حتى قال : يعود جميع الأرواث والقاذورات معها، حيث زعم أن الله نصب إعادة حمار عزير مع أرواثه ومقتول بني إسرائيل مع قاذوراته دليلا للمعاد حيث قال ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ [3] .

وهذا قول ماله عندنا ولا عند أحد من عقلاء الدهر جواب لأنه زاد في الطنبور نغمة هي خارجة عن جميع الأصول والأصوات فقائله ليس بقابل للخطاب ولكن لا بد من التحدث معه قليلا .

فنقول : أيها الرجل المدعي ما ليس فيه إنك قد أطلت في كتابك تطويلا تمجه الطباع في إثبات أن الأجسام إذا عادت يوم القيامة يعود إليها جميع ما تحلل منها في الدنيا من بدء عمره إلى حين وفاته فتعظم الأجسام بذلك وتكون بالفرض كأعظم ما يكون من الجبال بل أعظم منها وأعظم بما يضاعف الله لها من فضله، فلو كان التشبيه في الآيات المذكورة في جميع الكيفيات لكان من الواجب أن يعود حمار عزير ومقتول بني إسرائيل مع جميع ما تحلل منهما قبل موتهما فيكونا جسمين عظيمين بما يخرجان عن العادة في ذلك مع أن الواقع

---

(١) إبراهيم ٨٤ .
(٢) التكوير ١١ .
(٣) البقرة ٧٣

كان على خلاف ذلك، وكيف ولو كانا كذلك لتوفرت الدواعي بنقله أزيد من أصل إحيائهما لكونه أعجب منه ولم نجد إلى الآن أثرا من ذلك ولا تكلم به أحد من العقلاء ولا المجانين، ثم أن المؤمنين إذا حشروا وفي بطونهم هذه القاذورات المنتنة الخبيثة فليبين لنا هذا المرء أين يذهبون بها ؟ يضعونها في أرض المحشر ؟ أم يذهبون بها إلى الجنة؟ أو يبنى لهم خلاء يقذفونها فيه ؟ فأين هو من أرض الآخرة فإنا ما سمعنا إلى الآن بأصله ولا مكانه فعلى ذمة من يقول بذلك أن يدبر لهم مخرجا وإلا فالأمر مشكل جدا عافاه الله من البلاء، ثم لا ندري لأجل ماذا يحمل أهل الدنيا لا سيما المؤمنون هذه القذرات المنتنة إلى أرض المحشر، هل هي من أجزاء أبدانهم الأصلية ؟ فالحكم لله العلى الكبير، أو هي من لوازم ذواتهم؟ فأفظع وأشنع أو شيء غير ذلك فليبين لنا ما هو، ثم إن تلك الأرواث والقاذورات لا ريب أن أصلها أطعمة وأغذية نباتية أو حيوانية لا يشك في ذلك عاقل وهذا الرجل قد قال في دفع شبهة الآكل والمأكول أن المأكولات ليست من أجزاء الأكل الأصلية وإنما هي معدات فلا بد أن تعود إلى أصلها وهو المأكول حيوانا كان أو نباتا أو غير ذلك فتحشر معه، فليت شعري كيف يلائم هذا القول القول بأن قاذورات الخلق وأرواثهم تعود معهم كما عادت قاذورات مقتول بني إسرائيل وحمار عزير وطيور إبراهيم عليه السلام معهم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا وما أحرى لمن يتكلم بمثل هذه الكلمات أن يخطّئ من قبله من العلماء ولا سيما الأساطين الأربعة الذين كان عليهم مدار رحى مذهب الشيعة كل في زمانه وهم الحكيم النحرير المدقق مولانا

المحقق الطوسي وناموس دهره وزمانه العلامة الحلي والمحدث المؤسس القدسي مولانا المجلسي والناموس الإلهي الكبريائي شيخنا العلامة الإحسائي قدس الله أرواحهم القدسية وطيب تربتهم الزكية فإنه لم يأل جهدا في إساءة الأدب بالنسبة إليهم ونسبتهم إلى الضلال والغواية ومتابعة هوى النفس وغيرها من أمور لست أذكرها، فظن شرا ولا تسأل عن الخبر حتى تمادى به الغي إلى أن اعتذر عن ذلك بعدما تمثل في عدم اتباعهم وعدم التزام السكوت في إبداء ضلالتهم بقوله سبحانه ﴿قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها﴾[1] الآية، بأن موافقتهم والسكوت عنهم هو خلاف العدل وطريق الأدب التي أمر الله بها لأن الدليل حكم بضلالتهم ، ثم جعل نفسه في ذلك من الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وحمد الله تعالى على ذلك، وحق لمن يتجاسر هذا التجاسر العظيم أن يعميه الله عن طريق الحق حتى يخربط في كلامه بما لا يخفى قبحه على الصبيان في المكاتب والنسوان في المراتب ويفضحه بأيدي أضعف من أتى من نار آثارهم بقبس أو جذوة بإلقاء عصا تلقف ما يأفكون من حبال الأوهام هو وكل من حذا حذوه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وبأمر الله أن هذا الرجل وأشباهه ممن تقدم أو تأخر عنه لفي جهل عريض عن تصور معنى المعاد فكيف بالتصديق به فإنك إذا نظرت في كلماتهم وسمعت لحن مقالاتهم وجدتهم يزعمون أن معنى المعاد استحالة هذه الدار دار الدنيا وما فيها من الأجسام البسيطة

---

(١) الأعراف ٨٩.

والمركبة بدار الآخرة، والمساكين لم يعلموا أن هذا مستلزم لعدم كون دار الآخرة بعد مخلوقة خلق تكوين، والضرورة من ديننا قائمة على خلافه فإن دار الآخرة إنما هي جنة أو نار كما قال أمير المؤمنين عليه السلام (ليس وراء دنياكم هذه بمستعتب ولا دار إلا جنة أو نار)[1] وقد قامت الضرورة ودلت الأخبار من السنة القطعية على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن وكيف لا وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج الجنة وكشف عن النار فرآها وما كان محض تصور وتخيل كمعراج بعض الملاحدة الذي يدعونه بل كان دخولا ورؤية عن وجود لا عن وجدان وكذا لم يعلموا أن كلا من الدنيا والآخرة عالمان مغايران مستقلان وما هذا حاله يمتنع فيه الاستحالة والانقلاب حكمة، وكذا انتقال أحدهما إلى الآخر بمعنى أن تنتقل الدنيا بما هي عليه من السماوات والأرضين والأوضاع والأحوال إلى دار الآخرة لأنه موجب لتداخل العالمين وتزاحمهما وهوغير معقول فإن الله تعالى حين خلق ملكه وجعله مشتملا على عوالم متعددة لم يجعل في شيء منها ولا فيما بين واحد منها وبين الآخرة خلاء بل ملأ كلا من العوالم مكانه الذي شقه الله بقدرته ووضعه فيه من غير فصل بينهما، فإذا فرض تحرك عالم من مكانه الذي خلق فيه وانتقاله إلى عالم آخر يليه لم يمكن ذلك إلا بأن يتحرك العالم الذي يليه أيضا من مكانه وهكذا إلى أن يصل إلى منتهى العوالم أو يفني الله تعالى أحد العوالم وينقل العالم الآخر إلى مكانه وكلا الأمرين مع عدم تحقق الانتقال المفروض بعد على فرض التسليم غير معقول، أما الأول فلأنه إنما يمكن إذا كان

(١) ما وجدناه هو: (من خطبة الرسول) (فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا بمستعتب وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار) الكافي ج٢ ص٧٠.

فيما وراء مجموع عالم الإمكان محل خال يمكن أن ينتقل آخر العوالم إليه حتى يمكن تبدل أمكنة سائر العوالم بحسبه وليس وراء مجموع عالم الوجود الذي خلقه الله شيء لا مكان ولا زمان ولا غيرهما بل لا وراء له أصلا إذ ليس وراء ما خلقه الله أمرا حتى يكون مجددا له ويكون هو منتهيا إليه، فأين ينتقل ذلك العالم إلى عالم الوجوب، فلا طريق إليه إلى عالم خارج عما خلقه الله تعالى فليس لنا عالم كذائي لأن الأمر المحقق الموجود منحصر فيما خلقه الله فافهم هذا البيان المردد بالفهم المسدد.

هذا مع ما تقرر في محله من كون الأمكنة الذاتية من مقومات ماهية الشيء فإذا فرض انتقال شيء عن مكانه الذاتي يلزم فناؤه وعدم بقائه ، وأما الثاني فلأن الفناء في مخلوق الحق بمعنى انقلابه ليسا محضا غير معقول لما ذكرنا من عدم وجود عالم وراء مجموع العالم الذي خلقه الله والعالم المخلوق وجود كله لأنه معنى المخلوق فأين العدم الذي تتوهمونه وأين مكانه من ملك الله ؟ فلا معنى للعدم في ملك الله سوى الكسر والصوغ وإبطان ما ظهر وإظهار ما بطن على تفصيل يطول به الكلام.

فليس المراد بالمعاد انتقال عالم من مكانه المخصوص به من الوجود إلى عالم آخر يليه وإنما المراد به انتقال أهل عالم إلى عالم وراءه، بمعنى أن المعادين أصلهم خلق من عالم يسمى هو في العود عالم الآخرة بقول مطلق كما يسمى هو في النزول عالم الذر والتكليف الأول فافهم وتأمل، ثم نزلهم الله تعالى من عالمهم ذلك وكورهم في عوالم متعددة إلى أن وصلوا إلى عالم الدنيا التي نحن فيها الآن وهي

آخر العوالم في قوس النزول ، وليس حين نزلوا بقي عالمهم الذي نزلوا منه خاليا منهم وإنما نزلوا نزول اللب إلى القشر بأن تلبسوا بلباس عالم آخر حصلوا بذلك اللباس في ذلك العالم وهكذا إلى آخر العوالم، ألا ترى أنك حين نزلت من عالم الإنسانية وحصلت في عالم النبات وصرت به ذا نفس نامية تنمو بها وتكبر في الأبعاد لم تخرج من إنسانيتك وكونك ذا نفس ناطقة فأنت موجود في عالم إنسانيتك حين أنت حاصل في عالم النبات مشارك لها في الجسم والنفس النباتيين فكذلك ما نحن فيه نعم كلما نزل النازلون من عالم بطن عالمهم الأول وظهر بالنسبة إليهم العالم الذي نزلوا إليه وهكذا حتى وصلوا إلى أغلظ العوالم وأكثفها وهو العالم الدنيوي دار التكليف والابتلاء والاختبار واستنطاق الطبائع، وإنما نزلهم إلى هذا العالم ليظهر كل منهم من الأعمال الباطنة القلبية والظاهرة الجسمانية ما جبل عليه في عالم الذر بالاختيار فيأخذوا من تلك الأعمال أجنحة يقدرون أن يطيروا بها ويصلوا إلى ما خلقوا منه خلقا ثانيا لمقتضى نتائج أعمالهم فإما إلى عليين وإما إلى سجين ، ومن له غور في العلم المكتوم الطبيعي عرف ما نقول فإن الله عز وجل خلقه من لطفه لعباده مرآة لمعرفة هذه الأمور ولا فرق في ذلك النزول بين الأجسام البسيطة كالسماوات والنجوم والعناصر المركبة كالمواليد فإن لكل منها أصل من سنخ عالم آخر ولباسا وقشرا من سنخ الدنيا، فإذا أخذ النازلون في الصعود إلى عالمهم الأصلي من طريق النزول بعدما أخذوا أهبتهم من هذه الدار ألقوا ما أخذوا منها فيها ولم يصحبوه معهم لأن ذلك المأخوذ لباس إنما أصل مبدئه هو

العالم الذي أخذ منه هو ولا يتجاوز مبدؤه ولا يتعدى إلى عالم آخر بل يبقى فيه ويلحق بأصله لحوق ممازجة وهو معاد ذلك المأخوذ أيضا فينقلون هؤلاء إلى منزل آخر ويحصلون فيه بلباس ذلك العالم واللباس الذي كان لهم في باطن هذا اللباس الدنيوي وقد تلبسوا به في نزولهم ومرورهم إلى ذلك العالم وهو عالم البرزخ في الصعود الذي هو عالم المثال في النزول يعني مقابله لأنه في النزول كالبذر المزروع وفي الصعود كالحبة النابتة منه وكذلك كل عالم من عوالم النزول بالنسبة إلى مقابله في عالم الصعود فافهم وتبصر، فهكذا يصعدون وينتقلون من منزل إلى منزل آخر إلى أن يصلوا إلى عالم الآخرة الذي هو آخر المنازل والمقصد الأصلي والعالم الجامع لأن العوالم النزولية كالحروف الصعودية كالكلمة الجامعة فافهم وتبصر مرة أخرى فإنا لا يسعنا توضيح كل ما نشير إليه في أثناء الكلام لأنه يخرجه عن النسق والضبط، فالعوالم النزولية والصعودية كلها باقية على ما هي عليه في مكانه الذي وضعه الله فيه ولا يحصل في شيء منها تغيير بانتقال من ينتقل منه كما أنك إذا أخذت من بلدك طريقا إلى مكة مثلا وطويت في ذهابك وإيابك المنازل التي في أثناء الطريق لم يحصل بدخولك فيها أو خروجك منها تغير في ماهية ذلك المنزل ولا في مكانه الذي هو واقع فيه وإنما يحصل لك بدخولك لباس من أوضاع ذلك المنزل وهو وضع كونك فيه ونزولك به فإذا ارتحلت عنه خلعت ذلك اللباس وتلبست بلباس حصولك في منزل آخر وبقي ذلك اللباس المخلوع وهو الهيأة الوضعية المخصوصة به في ذلك المنزل الأول ولم تصحبه أنت معك إلى مقصدك لأن مبدأه الأصلي إنما هو من نفس

ذلك المنزل فيكون منتهاه أيضا إليه .

والحاصل أن الله تعالى يقول ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [(١)] ويقول ﴿كما بدأكم تعودون﴾ [(٢)] فأخبر أن للشيء خزائن متعددة قد نزل منها وشبه العود بالبدء فانظر إن كانت العوالم والخزائن التي طواها المخلوقون في نزولهم الذي هو البدء فنيت أو تبدلت بعالم آخر بانتقال المخلوق عنها فقل بمثله في العود وإلا فلا معنى للتوهم المذكور، فعالم الدنيا بجميع ما فيه ظاهر عالم الآخرة والآخرة باطنه ولا ينقلب الظاهر باطنا ولا الباطن ظاهرا بمعنى أن يفنى المنقلب من حيث هو هو ويستحيل بالمنقلب إليه بل الدنيا دنيا أبدا والآخرة آخرة أبدا وكلاهما موجودان حال وجود الآخرة كما أن عالم البرزخ موجود الآن وقد أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [(٣)] فالأموات ينتقلون إليه مع أن الدنيا باقية على حالها فكذلك الآخرة التي هي باطن البرزخ، فاستحالة الدنيا إليها حصول للحاصل وهو محال، فالذي في الآيات والأخبار من تبديل الأرض غير الأرض وكشط السماء وطمس النجوم ونسف الجبال وأشباه ذلك ليس المراد بها ما يفهمه القاصرون ، وإنما المراد بها تفكيك التركيب لتخليص الباطن من الظاهر كما في أجسام المواليد وبعد ذلك يجددها الله تعالى عالما جديدا ويخلق فيها مخلوقا على ما يشاء كما ورد في الأخبار ، ففناء هذا العالم إنما هو بالنسبة إلى أهله المنتقلين عنه وإلا فما دخل في ملك الله لا

(١) الحجر ٢١
(٢) الأعراف ٢٩ .
(٣) المؤمنون ١٠٠

يخرج عنه إذ لا خارج له ولكل العوالم مقام معلوم لا يتعداه إلى غيره لأن ما وراءه ليس بفارغ بل هو مشغول بعالم آخر فافهم.

روى الصدوق في آخر الخصال بسنده عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾ فقال: (يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عز وجل عالما غير هذا العالم وجدد عالما من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد وترى أن الله عز وجل لم يخلق بشرا غيركم بل والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الأدميين)[1].

والمراد بالغير المذكور في الحديث الشريف ما أشرنا إليه من تجديدهما بعد بطلان التركيب الأول وكذا المراد بالإفناء ما قررناه لما عرفت من البراهين على بطلان ما زعمه من القاصرين فأين انتقال ما مبدؤه هذه الدنيا إلى الآخرة حتى يصح اعتراض السيد المذكور على هؤلاء الأساطين الأعلام فتدبر ولا تكونن من الإمعة ولا من الذين جعلوا عقولهم القاصرة إماما يقتدى به من غير هدى ولا كتاب منير.

واعلم أن مفتاح هذه العلوم العلم الطبيعي المكتوم، فإنهم يدبرون الأرض بتدبيرهم الخاص ويستخرجون منها الروح والنفس والصبغ

---

(١) الخصال ج ٢ ص ٦٥٢، بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٧٤، التوحيد ٢٧٧.

ويصعدونها فيتميز به اللطيف الذي هو أصلها من الكثيف الغريب فيعيدون الأرواح والنفوس إلى ذلك اللطيف ويحيونه بها، وأما الكثيف فيلقونه خارج العالم وهو مثال الأجزاء الفضلية المختلطة بأصل الجسد الباقية في الدنيا فإذا ركبوها بعد ذلك التركيب المعتدل لم يأت عليها الموت والفناء وإن تسلطت عليها جميع نيران الدنيا، وإنما وقع من وقع في الضلال في أمثال هذه المقامات من عدم غوره في هذا العلم الإلهي النبوي اللاهوتي الذي هو أخت النبوة وعصمة المروءة وقرة عين العلماء وسرور أفئدة الحكماء والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والسلام على من اتبع الهدى والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا والصلاة على أشرف الأنبياء وآله البررة الأصفياء .

مجلس الإمام الصادق عليه السلام مع أبي حنيفة في الكوفة

عن كتاب الشيخ عيسى المصري ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الفتاح الطهطاني ، عن أبي النجا سالم بن محمد السنهوري ، عن الشمس محمد بن عبد الرحمن العلقمي ، عن الحافظ أبي الفضل السيوطي بسنده إلى الحافظ بن محمد الحارثي ، قال : حدثنا قبيصة بن الفضل ، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : سمعت سعد بن الصلت يقول: (قدم أبو عبد الله عليه السلام الكوفة يعني جعفر الصادق لحاجة عرضت له فحضره أبو حنيفة وأصحابه واستأذنوها عليه فأذن لهم فدخلوا عليه وسلموا وأخذوا مجالسهم وقعد أبو حنيفة كالمستوقر معظما له فلما رأى أصحابه جلوسه على تلك الحال جلسوا كجلوسه ورأى أبو عبد الله عليه السلام أصحاب أبي حنيفة يوقرونه ويلاحظونه بالتعظيم ولا يبادرونه بالكلام فقال لهم : من هذا الذي تعظمونه .

فقالوا : هذا أبو حنيفة الذي لا يوجد مثله فقها ودينا وصيانة .

فقال لهم : قد سمعت به ولكني لم أره ، يا أبا حنيفة هات ما عندك.

قال : جعلت فداك أخبرني بأي شيء فضلتم على الناس ولا تكثر علينا فننسى .

فقال له أبو عبد الله عليه السلام : لأن جميع الأمة تتمنى أنها منا ولا نتمنى أن نكون منهم .

فقال أبو حنيفة : كلام مفهوم موجز .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : هات ما عندك أيضا .

قال له أبو حنيفة : جعلت فداك أخبرني عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم .

فقال له يا أبا حنيفة : ما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندك.

فقال له أبو حنيفة : جعلني الله فداك هو عندنا أن يرى الرجل آخر يعمل بما لا يرضاه الله فينهاه عنه ويأمره بطاعته والكف عن معصيته .

قال : ليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما ذكرت .

فقال : ما هو جعلني الله فداك .

قال المعروف يا أبا حنيفة المعروف في أهل السماء المعروف في أهل الأرض ذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسكت أبو حنيفة ، فقال له يا أبا حنيفة أسكوت رضا أم سكوت إنكار .

فقال أبو حنيفة : ومن يقدر أن ينكر هذا القول جعلني الله فداك.

فقال له : هات أخرى .

فقال: أخبرني عن قول الله تعالى ﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ ما النعيم الذي يسأل عنه؟ .

قال : ما هو عندك يا أبا حنفية .

قال : الأمن في السرب وصحة البدن والقوت الحاضر .

فقال : يا أبا حنيفة لئن سألك الله عن كل أكلة أكلتها وشربة شربتها ليطولن عليك ذلك .

قال : فما هو جعلني الله فداك .

قال : نحن النعيم فبنا أنقذ الله الناس من الضلالة وبصرهم من العمى.

فقال أبو حنيفة : حكمة محكمة وقول مقبول .

قال : هات أخرى .

فقال له : أخبرني جعلني الله فداك ما بال سليمان تفقد الهدهد من بين الطير .

فقال له : إن الهدهد كان يرى الماء في بطن الأرض كما يرى الدهن في القارورة .

فقال له : جعلني الله فداك من أين يرى الهدهد الماء في بطن الأرض وهو لا يرى الفخ حتى يأخذ عنقه .

قال : يا أبا حنيفة إذا نزل القدر عمي البصر .

فقال : السلام عليك فقد أكثرنا ، فقام أبو حنيفة وأصحابه

وخرجوا .

قال أبو عبد الله عليه السلام : أرى عنده علما ظاهرا وعندنا علم حقيقي.

تحقيق لطيف في إبطال بعض الأقوال الباطلة :

يقول مصنف الكتاب عفا الله عنه قد اشتهر بين الناس أن أبا حنيفة كان من تلامذة أبي عبد الله عليه السلام ولم أجد له إلى الآن مأخذا صحيحا بل هذا الخبر وما في سوقه من سائر أخبار العامة والخاصة يعطي أن ذلك من الشهرات التي لا أصل لها يظهر ذلك لمن تتبع السير والأخبار نعم ذكر بعض العامة منهم الشيخ عبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج في ذكر بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام أن جل العلوم تنتهي إليه وتبتدئ منه ثم ذكر علم الكلام وقال في وجه انتهائه إليه عليه السلام (إن كبيرهم واصل بن عطاء المعتزلي وهو تلميذ أبي هشام عبد الله بن محمد بن الحنفية وأبو هشام تلميذ أبيه وأبوه تلميذ علي عليه السلام) ثم قال (وأما الأشعرية فإنهم ينتسبون إلى أبي الحسن علي بن أبي البشر الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة فالأشعرية بآخره ينتهون إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم وهو على بن أبي طالب) ثم ذكر علم الفقه. وقال في وجه انتهائه إليه (أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي ويرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد وقرء جعفر على أبيه ومنتهى الأمر إلى علي عليه السلام) ثم قال (وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس وقرأ عبد الله بن

عباس على علي عليه السلام وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي لقراءته على مالك كان ذلك لك فهؤلاء الفقهاء الأربعة وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر) إلى أن قال (ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يقفون وقد صرح بذلك الشنبلي والجنيد وسرى وأبو يزيد بسطامي وأبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم إلى اليوم وكونهم يسندونها بإسناد متصل إليه عليه السلام)[1] انتهى ما أردنا نقله من كلامه.

وهو كما ترى صريح في تلمذ أبي حنيفة على الصادق عليه السلام والذي يتلجلج في خاطري أن هذا الشيخ وإخوانه من العامه قصدوا بذكر هذا التفصيل تصحيح طريقتهم بانتهائها إلى باب مدينة العلم الذي لم يختلف أحد من أهل الإسلام في حقية طريقته لانتهائها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بغير نكير وإنما أخرجوه في صورة إثبات الفضل لأمير المؤمنين عليه السلام ليغتر به الشيعة فيتلقوه بالقبول فإذا نالوا من ذلك ما يريدون اعترضوا عليهم في رد مذاهب العامة وإبطالها كما اغتر بذلك بعض علمائنا عقله عن حقيقة الحال فذكروا ما يقرب من هذا التفصيل من كتبهم وزعموا أنهم أقاموا به الحجة على العامة ولم يعرفوا أنه لو صح ذلك فالحجة للعامة عليهم لا العكس.

فنقول أما كون أمير المؤمنين عليه السلام مبدأ جميع العلوم الحقة ومنتهاها فهو مما لا يجاوزه بر ولا فاجر وناهيك في تصديق ذلك قول النبي المجمع عليه بين الخاصة والعامة (أنا مدينة العلم وعلي بابها) وأما

(١) شرح نهج البلاغة ج١ ص١٧.

انتهاء علوم المذكورين إليه فحاشا وكلا فإن الله ورسوله وأمير المؤمنين وعترته الطاهرين براء من طريقة هؤلاء أصولا وفروعا وقد فرغ علماء الشيعة شكر الله مساعيهم الجميلة عن إثبات ذلك في كتبهم الموضوعة لهذا الشأن ولم يدعوا شكا في مخالفة أصحاب هذه الطرق لله ورسوله وأوصياء رسوله لاسيما أبو حنيفة فإن فقهه كان بين قدماء العامة من أشنع المذاهب فكيف الخاصة وقد بلغ من سخافة آرائه في الفقه أن الأصمعي سأله يوما توضأت فقال أبو حنيفة نعم وصلأت (بالهمزة الساكنة بعد اللام) فقال الأصمعي أفسدت الفقه فلا تفسد اللغة .

وبالجملة لا فضل لأمير المؤمنين عليه السلام في انتهاء أمور باطلة إليه حتى تكون الشيعة يشكرون العامة في ذكرهم هذه الفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام مع كون مرادهم في الباطن بترويج متاعهم الكاسد وتحقيق مذاهبهم الفاسدة والشيعة تصالحهم في ذلك على أن لا ينكرونهم الأخبار الصحيحة الواردة بلسانهم وطرقهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضائله عليه السلام ويذهبوا بهذه الفضيلة الواحدة ويسندونها إلى أئمتهم الثلاثة دون أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم أحق وأولى بذلك لأن تلك الطرق من كلامها وفقهها وتصوفها كلها من فروع أعمالهم ونتائج أقوالهم فإن أمير المؤمنين ما كان جبريا فينسب إليه الأشاعرة، ولا قدريا فينسب إليه المعتزلة، ولا مجوزا للزنا بلف الخرقة والسجود على خرء الكلب والوضوء بالنبيذ فينسب إليه أبو حنيفة، ولا مجوزا نكاح البنت من الزنا ولا الصلاة خلف الخوارج ولا عدم فساد الحج باللواط أو إتيان البهيمة فينسب إليه الشافعي،

ولا مطهرا للعاب الكلب ولا مكرها للتسمية في الصلاة ولا قائلا بأن أكثر الحمل سبع سنين فينسب إليه مالك، ولا مجسما ولا قائلا بقدم القرآن ولا مانعا عن الصلاة على الشهيد ولا مجوزا للمسح على العمامة فينسب إليه ابن حنبل، ولا مجوزا للغناء والرقص واستعمال الدفوف والمزامير عند ذكر الله تعالى أو مجوزا للتفكه بالمردان لأنهم مظاهر الله أو مرخصا في ارتكاب معاصي الله وترك أوامره لأنها قيود خلين الطالب عن السلوك فينسب إليه أصحاب التصوف الملحدون، نعوذ بالله من نزعات الشياطين.

فنسبة أبي حنيفة إلى صحبة الصادق عليه السلام لعله من فلتات هؤلاء وإنما تبعهم بعض أصحابنا من غير تبين وإلا فالأخبار التي وردت من طرقنا في محاورات الرجل للصادق عليه السلام ومجالسته معه كثير منها صريح في تكذيب هذه النسبة وإنه ما كان معروفا عند الصادق عليه السلام في الظاهر وهو في ذلك الوقت مفتي بالعراق طاعن في السن ولو أغمضنا عن جميع ذلك فهو ممن عق معلمه لأنه كان يقول في فتياه بالرأي والقياس وأهل البيت عليهم السلام براء من ذلك فلا ينفعه انتسابه إليه شيئا.

بنا أضاءت الأبصار وسمعت الآذان ووعت القلوب الإيمان

عن دلائل الطبري رحمه الله عن محمد بن هارون بن موسى، عن أبيه ، عن محمد بن همام ، وعن أحمد بن الحسين المعروف بابن أبي القاسم ، عن أبيه ، عن بعض رجاله ، عن الحسن بن شعيب ، عن محمد بن سنان ، عن يونس بن ظبيان ، قال : (استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فخرج إلي معتب فأذن لي فدخلت ولم يدخل معي كما كان يدخل فلما أن صرت في الدار نظرت إلى رجل على صورة أبي عبد الله فسلمت

عليه كما كنت أفعل قال من أنت يا هذا لقد وردت على كفر أو إيمان وكان بين يديه رجلان كأن على رؤوسهما الطير فقال ادخل فدخلت الدار الثانية فإذا رجل على صورته عليه السلام وإذا بين يديه خلق كثير كلهم صورهم واحدة فقال من تريد قلت أريد أبا عبد الله عليه السلام فقال قد وردت على أمر عظيم إما كفر أو إيمان ثم خرج من البيت رجل حين بدا به الشيب فأخذ بيدي وأوقفني على الباب وغشى بصري من النور فقلت السلام عليك يا بيت الله ونوره وحجابه فقال وعليك السلام يا يونس فدخلت البيت فإذا بين يديه طائران يحكيان فكنت أفهم كلام أبي عبد الله ولا أفهم كلامهما فلما خرجا قال يا يونس سل نحن محل (١) النور في الظلمات ونحن البيت المعمور الذي من دخله كان آمنا نحن عترة الله وكبرياؤه قال قلت جعلت فداك رأيت شيئا عجيبا رأيت رجلا على صورتك قال يا يونس إنا لا نوصف ذلك صاحب السماء الثالثة يسأل أن أستأذن الله له أن يصير مع أخ له في السماء الرابعة قال قلت فهؤلاء الذين في الدار قال أصحاب القائم من الملائكة قال قلت فهذان قال جبرئيل وميكائيل نزلا إلى الأرض فلن يصعدا حتى يكون هذا الأمر إن شاء الله وهم خمسة آلاف يا يونس بنا أضاءت الأبصار وسمعت الآذان ووعت القلوب الإيمان)[١] هي.

بيان موجز لبعض فقرات الحديث

أقول: قوله (على كفر أو إيمان) يعني إن أنكرت ما رأيت كفرت وإن قبلت كنت مؤمنا وقوله (نحن محل النور في الظلمات) كذا

---

(١) بحار الأنوار ج٥٦ ص١٩٦، دلائل الإمامة ٢٧٠، مدينة المعاجز ج٥ ص٤٤٣.

في النسخة ويحتمل أن يكون مجلى النور اسم فاعل من التجلية بالجيم، قوله (نزلا إلى الأرض فلن يصعدا.. إلخ) الضمير راجع إلى جبرئيل وميكائيل ويجول في خاطري أن يكون الصحيح نزلوا فلن يصعدوا بصيغة الجمع بأن يكون راجعا إلى الملائكة ويكون السؤال والجواب بينهما جملة معترضة ويؤيد ذلك قوله ﷺ بعد ذلك (وهم خمسة آلاف) فإنه يعطي أن القول السابق أيضا وصف لحالهم والله أعلم وحججه عليهم السلام.

أسماء أصحاب الكساء عليهم السلام

الحادي والعشرون وفيه حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان ، قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب ، قال : حدثنا أبو محمد تميم بن بهلول ، عن أبيه عن عبد الله بن الفضل الهاشمي ، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : (كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال والذي بعثني بالحق بشيرا ما على وجه الأرض خلق أحب إلى الله عز وجل ولا أكرم عليه منا إن الله تبارك وتعالى شق لي اسما من أسمائه فهو محمود وأنا محمد وشق لك يا علي اسما من أسمائه فهو العلي الأعلى وأنت علي وشق لك يا حسن اسما من أسمائه فهو المحسن وأنت حسن وشق لك يا حسين اسما من أسمائه فهو ذو الإحسان وأنت حسين وشق لك يا فاطمة اسما من أسمائه فهو الفاطر وأنت فاطمة ثم قال ﷺ اللهم إني أشهدك أني سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم ومحب لمن أحبهم ومبغض لمن أبغضهم وعدو لمن عاداهم وولي لمن والاهم

لأنهم مني وأنا منهم)[1].

تحقيق لطيف في معنى اشتقاق أسمائهم من أسماء الله

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب ليس المراد بالاشتقاق الاشتراك في حروف الألفاظ فقط إذ ليس فيه ما يوجب الشرف والفخر وإنما المراد به ظهور معاني تلك الأسماء فيهم وبذلك صاروا مظاهر صفات الله العظمى وأمثاله العليا فافهم وتبصر.

قوله تعالى أ إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون

عن كنز الفوائد للكراجكي ﷺ عن علي بن أسباط، عن إبراهيم الجعفري ، عن أبي الجارود عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى﴿أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ قال : (أي إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد)[2].

تحقيق لطيف في كون الشرك بولاية أمير المؤمنين شرك بالله.

أقول وأنا الضعيف محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب كأني بالضعفاء يستعظمون هذين الحديثين ولا يقبلونهما بل ينسبون رواتهما إلى الارتفاع والغلو وهم في غفلة عن الحقائق الإلهية، فإن الأخبار قريبة من حد التواتر في أن الشرك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام شرك بالله والكفر به كفر بالله وأن من اتخذ من دونه إماما فقد اتخذ مع الله إلها، ووجه المشاركة والمشابهة بين الأمرين أن النبي والإمام لا سيما رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وأولاده الطاهرون عليهم السلام خلفاء الله في أرضه وظاهره في بريته أقامهم مقامه في الأداء إذ كان لا تدركه

---

(١) معاني الأخبار ٥٥ ، بحار الأنوار ج٣٧ ص٤٧ .
(٢) بحار الأنوار ج٢٣ ص٣٦١، تأويل الآيات الظاهرة ٣٩٧(كنز جامع الفوائد ٢٠٧/ عن هامش المعجم)

الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار ولذا جعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ طاعته حيث قال﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[1] ويجري لأوصيائه من الطاعة ما جرى له.

وكذا جعل معرفتهم معرفته ومعصيتهم معصيته وحكمهم حكمه وأمرهم أمره وهكذا لأنهم ظهوره تعالى بهم للخلق والظاهر في ظهوره أظهر من نفس الظهور، أما ترى إلى لفظ الجلالة فإنه نقش من النقوش المكتوبة وليس بذات الله القديم تعالى ومع ذلك فمن أهانه فقد أهان الله ومن توجه به فقد توجه إلى الله ومن عرف معناه فقد عرف الله لأنه حامل المعنى من الله تعالى ليس ذلك المعنى موجودا في أسماء الخلق فمن اتخذ مع لفظ الجلالة اسما آخر من أسماء سائر الخلق كزيد وعمرو وبكر ودعا الله عز وجل به فقد أشرك بالله لأن تلك الأسماء ليست أسماء الله تعالى وإنما هي أسماء لغير الله، وقد قال تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ وقال﴿وذروا الذين يلحدون في أسمآئه﴾[2] فإذا كان هذا حكم النقوش المكتوبة بالمداد والأسماء الملفوظة باللسان فما ظنك بأسماء الله الحسنى الكونية وكلماته التامات المكتوبة بمداد النور المأخوذ من الدواة الأولى في صفائح الآفاق والألواح العينية فارجع البصر هل ترى من فطور ولكن من لم يجعل الله له نورا فما له من نور، ولعمري إن من هجم على حقيقة ما كشفناه من السر المكنون لم يبق عنده خبر من أخبار فضائل آل الله إلا وينكشف عنده معناه فيخرج عن حدي الإفراط والتفريط

(١) النساء ٨٠.
(٢) الأعراف ١٨٠

ويلزم الطريق الوسط في كل ما يرد عليه ولا يذري الروايات ذرو الريح الهشيم ولا ينسب أعاظم الأصحاب من حملة الأخبار إلى الغلو والارتفاع بمجرد سماع رواية عنهم ثقيلة على الضعفاء لقصور عقولهم عن إدراك وجه التأويل فيها والله ولي التوفيق.

تفسير قوله تعالى كنتم خير أمة

عن كتاب رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسي بحذف الإسناد ما رواه جابر بن عبد الله في تفسير قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ قال : قال رسول الله ﷺ : (أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة ثم سجد لله تعظيما ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطا بالعظمة ونور علي محيطا بالقدرة ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري ونوري مشتق من نوره فنحن الأولون ونحن الآخرون ونحن السابقون ونحن المسبحون ونحن الشافعون ونحن كلمة الله ونحن خاصة الله ونحن أحباء الله ونحن وجه الله ونحن جنب الله ونحن عين الله ونحن أمناء الله ونحن خزنة وحي الله وسدنة غيب الله ونحن معدن التنزيل ومعنى التأويل وفي أبياتنا هبط جبرئيل ونحن محال قدس الله ونحن مصابيح الحكمة ونحن مفاتيح الرحمة ونحن ينابيع النعمة ونحن شرف الأمة ونحن سادة الأئمة ونحن نواميس العصر وأخيار الدهر ونحن سادة العباد ونحن ساسة البلاد ونحن الكفاة والولاة والحماة والسقاة والرعاة

وطريق النجاة ونحن السبيل والسلسبيل ونحن النهج القويم والصراط المستقيم من آمن بنا آمن بالله ومن رد علينا رد على الله ومن شك فينا شك في الله ومن عرفنا عرف الله ومن تولى عنا تولى عن الله ومن أطاعنا أطاع الله ونحن الوسيلة إلى الله والوصلة إلى رضوان الله ولنا العصمة والخلافة والهداية وفينا النبوة والولاية والإمامة ونحن معدن الحكمة وباب الرحمة وشجرة العصمة ونحن كلمة التقوى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى التي من تمسك بها نجا)[1].

تحقيق لطيف في أول ما خلق الله

أقول الأخبار في أول ما خلق الله مختلفة ظاهرا فمنها أنه نور رسول الله ﷺ ومنها أنه العقل ومنها أنه القلم ومنها أنه الماء إلى غير ذلك، ووجه الجمع في الظاهر أن المراد بالأولية في بعضها الإضافية فلا تناقض وفي الحقيقة المراد بكلها نور رسول الله ﷺ قد عبر عنه بعبارات مختلفة باعتبارات متعددة فإن له ﷺ بالنسبة إلى كل شأن من الشؤون اسما خاصا يناسب ذلك الشأن وعلى كل تقدير ليس المراد بالقلم القضيب المعروف ولا بالماء الماء العنصري المشروب، فإن المراد بالأول على الاحتمال الأول العقل الذي به ابتدأ الله سائر الوجودات المفيدة لأنه النور الأبيض الذي هو ركن العرش الأعلى الأيمن وهو الذي أمره الله فكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة،

(١) بحار الأنوار ج٢٥ ص٢٢

وبالثاني الوجود الذي هو نور الأنوار وعنصر العناصر واستقس الاستقسات ومنه جعل الله كل شيء حي وهو مفتاح العمل كما بين في الطبيعي المكتوم، وقد ترك بعض محدثينا هذه الأمور على ظاهر ما يفهمه العوام فوقع في تكلفات لا يليق بأهل العلم أن ينطق بمثلها ولم يعرف أنه ليس المراد بجميع الأخبار هذا القشر الظاهر فإن فيها رموز أخرجوها لأهلها وحظ العوام منها تركها في سنبلها ليأتي أهلها فيستنبطها منها بالنظر الثاقب.

ما عرض في نفس النبي عند البيت المعمور

الثاني والثمانون وفيه أبي عن عمرو بن سعيد الراشدي ، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء وأوحى الله إليه في علي عليه السلام ما أوحى من شرفه ومن عظمته عند الله ورد إلى البيت المعمور وجمع له النبيين وصلوا خلفه عرض في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله من عظم ما أوحى إليه في علي عليه السلام فأنزل الله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك﴾ يعني الأنبياء فقد أنزلنا عليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا في كتابك ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين * ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ فقال الصادق عليه السلام فوالله ما شك وما سأل)[1].

تحقيق لطيف في بعض مراتب النبي صلى الله عليه وآله

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب هذا

---

(١) تفسير نور الثقلين ج٢ ص٣٢٠، تفسير القمي ج١ ص٣١٦، بحار الأنوار ج٣٦ ص٩٤ .

الحديث من الأحاديث المستصعبة التي لا يحتملها إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ووجه الصعوبة عروض شيء في نفس رسول الله ﷺ في حق ما أوحاه الله في أمير المؤمنين عليه السلام واستعظامه لذلك ولا بد لنا من الكشف عن حقيقة .ذلك فأقول معتصما بالله عز وجل من شر الأوهام المعوجة. اعلم أن الله سبحانه خلق وجود نبينا ﷺ قبل جميع المخلوقات ذاتا ورتبة، وأقامه في مقام القرب حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا حس ولا محسوس، ثم اشتق من نوره نور وصيه الذي هو بمنزلة نفسه كالضوء من الضوء ومن نوره أنوار سائر المعصومين الأربعة عشر كذلك كما هو مدلول أخبار متواترة بمعنى بل ولفظا ثم أنه تعالى خلق من شعاع نورهم سائر الخلق على ترتيب الأشرف فالأشرف كأنوار الأنبياء عليهم السلام فإنها أشرف من سائر الخلق، فكان قبولهم للوجود أسبق من حيث الذات والرتبة، ثم أن الله تعالى أنزل نور نبينا ﷺ إلى رتبة الأنبياء بأن أعطاه لباسا من سنخ رتبتهم فصار أحد الأنبياء وأخا لهم، ولذا تراه ﷺ يعبر عن الأنبياء بالأخوة فيقول أخي موسى وأخي عيسى وأخي سليمان وهكذا، ثم منه إلى رتبة البشر والملائكة وغيرهم، فكان في ذلك المقام يقول أخي جبرائيل وهكذا وأمثال هذه الخطابات من لوازم رتبة التنزل، وإلا فهو في رتبة ذاته لا ذكر فيها لشيء من هؤلاء المذكورين حتى يتحقق هناك معنى الأخوة والمجالسة فافهم. وكلما نزل إلى مقام من تلك المقامات النازلة اصطفى من سنخ ذلك المقام أشرف الألبسة وأكملها ليسع ذلك اللباس لتحمل أعباء إشراقات حقيقته المقدسة ولا يندك عند الظهور ولا كذلك سائر

الأنبياء فإنهم لا يحتملون ظهور حقيقته المقدسة على التمام لكون حقائقهم جزئية بالنسبة إلى سيد الرسل ﷺ وإنما يرشح عليهم ما يطفح منه على حسب درجاتهم في تلك المرتبة فإن أولي العزم منهم يحتملون من ذلك الظهور ما لا يحتمله غيرهم ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾ أي ترك ﴿ولم نجد له عزما﴾[1] فالله تعالى يرقبهم في مقامات ظهور الولاية الأحمدية المطلقة بالسير الجوهري، فربما لا يكادون يحتملون ما ظهر في الابتداء لصعوبة المسلك، ثم يقبلونه على التسليم ثم على طريق اليقين ثم على طريق المعرفة والشهود كما سمعت من قصة أيوب وعدم تحمله في بدو الأمر لذلك ثم تسليمه وإنابته إلى الله تعالى، افهم ما أقول فإنه من مكنون العلم ومخزونه، ألا ترى كليم الله موسى على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام لما تجلى له حقيقته التي هي جذوة من نور الخلق الأول الذي هو نور الله المشرق من صبح الأزل أعني أنوار محمد وآله الطاهرين جعل جبل طبيعته دكا وخر موسى صعقا. فقس على ذلك حال جميع الأنبياء. فكل سافل لولا معونة من الله وحفظ له يكاد يتلاشى ويفنى عند ظهور نور المرتبة الأعلى له، ومثال ذلك مشاهد في العلم المكتوم الذي هو أصح العلوم، فإن الأرواح في بدو العمل لا تكاد تستقر في الأجساد إذا وصل إليها نار التدبير إلا بصعوبة شديدة ولطف في العمل وقص أجنحتها بالتدريج وكثرة التكرار في النزول والصعود، ولذا قال بعض الحكماء (عود حجرك على النار وذلك لا يحصل إلا بالتكرار).

(١) طه ١١٥

ولباس نبينا ﷺ لما كان أكمل الألبسة في مقام النزول احتمل نور الولاية الكلية التي هي نور حقيقته وحقيقة أوصيائه المخلوقين من طينته وهي الولاية الإلهية على ما ينبغي، ولم يشك ولم يتوقف بل أدى لوازمها على طور لا يمكن في الإمكان طور أكمل منه وكذا أوصياؤه المعصومون القائمون مقامه، ولذا قالوا عليهم السلام (إن في الصراط عقبات كؤودا لا يقطعها بسهولة إلا محمد وآله)، فافهم.

ولكن مع ذلك كله الرتبة الأدنى وإن بلغ ما بلغ لا ينفك عن استثقال أعباء المرتبة الأعلى في ابتداء التجلي واستعظامها في أول النظر ثم يتعودها شيئا فشيئا، ومثال ذلك حال من يصب عليه ماء بارد فإن حرارة بدنه لا تلائم برودة الماء فيقشعر بدنه من ذلك في ابتداء الانصباب ثم يتعوده بعد هنيئة فيلتذ من برودة الماء، ومن هنا كان رسول الله ﷺ إذا أراد استنزال الوحي بغير توسط الأسباب والروابط العادية كجبرئيل وغيره كان يعرق جبينه ويقول زملوني دثروني وربما كان تعرضه غشية كما روي الصدوق رحمه الله في كمال الدين عن الحسن بن أحمد بن أدريس ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد بن مالك ، عن محمد بن الحسين بن زيد ، عن الحسين بن علوان ، عن عمرو بن ثابت ، عن مولانا الصادق عليه السلام أنه سئل عن الغشية التي كانت تأخذ النبي ﷺ أكانت تكون عند هبوط جبرئيل عليه السلام فقال : (لا إن جبرئيل كان إذا أتى النبي ﷺ لم يدخل عليه حتى يستأذنه وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد وإنما ذلك عند مخاطبة الله عز وجل إياه بغير ترجمان وواسطة)[1].

وفي التوحيد عن أبيه رحمه الله عن سعد بن عبد الله ، عن إبراهيم

بن هاشم، عن ابن أبي نجران ، عن محمد بن سنان ، عن إبراهيم والفضل ابني محمد الأشعريين ، عن عبيد بن زرارة ، عن أبيه ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : (جعلت فداك الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أنزل عليه الوحي فقال ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد ذاك إذا تجلى الله له قال ثم قال تلك النبوة يا زرارة وأقبل بتخشع)[2] انتهى.

وذلك كله لعظم التجليات العلوية القدسية وعدم تحمل اللباس الذي تلبسه لتلك التجليات في ابتداء الظهور إلا بتعب وكد شديد فلما صعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مقام أو أدنى الذي هو مقامه الأصلي ورأى من آيات ربه الكبرى وهو تجلي الولاية العلوية له بغير حجاب ثم أخذ في النزول إلى أن وصل إلى مقام الأنبياء وهو مقام إمامة لهم في البيت المعمور وإقامة للصلاة التي هي الولاية في الباطن فيهم عرض في نفسه المجانسة من سنخ الأنبياء التي هي أول مقام من مقامات تنزله شيء مما أوحي إليه في أمر الولاية لعظم ما تجلى له منها في العالم الأول كعروض القشعريرة لمن يصب عليه الماء البارد في ابتداء الورود فقواه الله سبحانه بقوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا﴾[3] رفعا لتلك القشعريرة التي هي من لوازم المرتبة فما شك وما سأل لأنه كان مجرد استثقال عرض له فارتفع ولم يستقر إلا كمثل وميض البرق كما كان يعرض لبشريته عند استنزال الوحي من حقيقته فالعارض الذي عرضه في الرتبة التنزيلية ما

---

(١) كمال الدين ج١ ص٨٥، بحار الأنوار ج١٨ ص٢٦٠

(٢) بحار الأنوار ج١٨ ص٢٥٦، التوحيد ١١٥.

(٣) يونس ٩٤

كان شكا ولا ريبا في أمر الولاية كما يتوهمه من لا أنس له بلحن كلمات أمناء الوحي فإن درجة النبوة المحمدية أعلى من ذلك وأرفع وكيف يشك الأعلى في شأن من هو دونه رتبة وقوله تعالى على طريق الفرض﴿فإن كنت في شك﴾ الآية إنما هو كقوله تعالى﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾[1]، فافهم وتبصر أمرك فإن المقام لا يسع تفصيلا أزيد من ذلك، وإنما ذكرنا ما سمعت دفعا لوساوس الأوهام المعوجة ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة﴾[2] وإلا فالكتاب ليس بموضوع لكشف أمثال هذه الأسرار ولنذكر خبرا واحدا في المقام رفعا لغبار الأوهام في قوله تعالى﴿فإن كنت في شك﴾ وإيضاحا لأن أمثال هذه الفروض لا ينافي جلالة شأن المخاطب وفيه إيماء إلى رفعة مقام سيدة نساء العالمين صلوات الله عليها بما يحيي قلوب أهل الولاية. ففي البحار عن مناقب ابن شهر آشوب عن صحيح الدارقطني (أن رسول الله ﷺ أمر بقطع لص فقال اللص يا رسول الله قدمته في الإسلام وتأمره بالقطع فقال لو كانت ابنتي فاطمة فسمعت فاطمة فحزنت فنزل جبرئيل بقوله﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ فحزن رسول الله ﷺ فنزل﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ فتعجب النبي من ذلك فنزل جبرئيل فقال كانت فاطمة حزنت من قولك فهذه الآيات لموافقتها لترضى)[3]. وذكر أهل التحقيق في بيانه وهو المراد في الظاهر أن هذه الآيات نزلت إيذانا لفاطمة عليها السلام إن مثل هذا الكلام

(١) الزمر ٦٥.
(٢) آل عمران ٧.

المشروط لا ينافي جلالة المخاطب والمسند إليه وبراءته لوقوع مثل ذلك بالنسبة إلى الرسول ﷺ وإلى الله عز وجل هذا وكأني بالضعفة يحملون ما ذكرناه من تأويل الحديث على التكلف، وأنا أقول يا أخي ليس هذا بتكلف بل هو تلطف وغور وتصرف في وجوه كلمات آل الله يمن الله به على من يشاء من كثرة المزاولة والممارسة لتصفح كلماتهم وأخبارهم والتأمل في دقائق أقوالهم وآثارهم ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

علي نحت القوافي من مواضعها

وما علي إذا لم يفهم البقر

ومن لا يرتضي ذلك فليأت بأحسن من ذلك وأتقن.

تفسير قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا محمد ابن أحمد، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن النعمان ، عن علي بن أيوب، عن عمر بن يزيد بياع السابري، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله في كتابه ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾، قال: (ما كان له من ذنب ولا هم بذنب ولكن الله حمله ذنوب شيعته ثم غفرها له)[2].

تحقيق لطيف في تحميل النبي ذنوب الشيعة

يقول مصنف هذا الكتاب وورد في عدة أخبار أنه حمله ذنوب شيعة علي عليه السلام والمعنى واحد لأن المغفور له الذنب فرقة واحدة وهي الفرقة الناجية وهم التابعون لأهل بيته صلى الله عليه وعليهم

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٤٣، المناقب ج٣ ص ٣٢٤.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص٣١٤، بحار الأنوار ج١٧ ص٧٦.

أجمعين ثم أقول إن هذا الخبر وما في معناه من الأخبار لم يزل في حجاب الخفاء لم يكشف عن وجهه الغطاء فإني أرى الناس يروون ويسمعون أن الله حمل رسول الله ﷺ ذنوب شيعته أو شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ويكتفون بمجرد سماع ذلك ويسكتون عليه ولم أجد إلى الآن أحدا يسأل ما معنى تحمل ذنب الغير على الغير وكيف يتعقل هذا حتى يبلغ الأمر إلى أن ينسبه الله تعالى إلى رسوله المعصوم صريحا ويكون ذلك أحد أسباب تشنيع الملل الخارجة على الإسلام، فنقول في بيان هذه النكتة على وجه الاختصار والله ولي الهداية، لقد علم المستحفظون من حملة الآثار أن الله تعالى أول ما ابتدأ في خلق الوجود خلق نور نبيه ﷺ ثم خلق من أشعة نوره الشعشعاني وجودات سائر الخلق بمعنى أن من قبل منه خلقه في الخلق الثاني التكليفي من شعاع نوره ومن أنكر خلقه في الخلق المذكور من ظل نوره وذلك بعد ما كانوا في الخلق الأول الكوني متساوين في الخلق أمة واحدة كلهم من أثر نوره المشرق في العالم منحصر في وجود الصادر الأول ﷺ مع من خلق من سنخ نوره وحقيقته وهم المعصومون الثلاثة عشر وما صدر عنهم من الآثار إما على سبيل الإقبال وإما على نحو الإدبار. أما المدبرون فهم مطرودون عن بابه ومحجوبون عن جنابه لا نسب بينه وبينهم لأنهم منسوبون إلى قوله تعالى﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾[1].

وأما المقبلون وهم شيعته بالمعنى الأعم فهم منسوبون إليه قد وصلوا نسبهم بنسبه وسببهم بسببه فهم كشعاع الشمس بالنسبة

---

(١) هود ٤٦

إليها يدورون معه حيثما دار لأنهم آخذون بحجزة أهل بيته وأهل بيته آخذون بحجزته والحجزة النور وقد ورد أن كل نسب منقطع يوم القيامة إلا نسب رسول الله ﷺ فافهم، فالشيعة ليست بأجنبية عنه ﷺ بأن تكون بينهم وبينه بينونة عزلة كما أن الأشعة ليست بأجنبية من الشمس لأنها أشعتها صادرة عن إشراقها والشيعة إنما سميت شيعة لأنهم من شعاع نور أئمتهم صلوات الله عليهم وأصل ذلك النور رسول الله ﷺ ففي الحقيقة ما بالديار سواه لابس مغفر.

وإذا تبينت هذا فنقول إن الأمور المضافة إلى الشيء على قسمين قسم هو من آثاره بغير واسطة كالأفعال الصادرة منه نفسه ،و قسم هو من آثار آثاره وهو أيضا قد يضاف إليه في النسبة لأن الآثار واقعة في ملكه وليست بأجنبية عنه مثاله الأدران العارضة للشخص فإنها قد تعرض جسده فتنسب إليه بغير إشكال وقد تعرض ثوبه الذي هو ملكه ومع ذلك ينسب إليه فإنه قد يقال اغسل درنك وطهره بالماء ويراد به الدرن العارض لجسده، وقد يقال اغسل درنك ويراد به الدرن العارض لثوبه ومثل هذه النسبة شائع بين أهل العرف لا ينكره أحد وكلتاهما عند أهل الحقيقة حقيقة غير أن الأولى حقيقة أولية والثانية حقيقة ثانوية ووجه كون الثانية نسبة حقيقته هو أنها وأمثالها نسب عارضة للشخص في مقام ظهوره بالمالكية حقيقة وإن كان في مقام تجرده الذاتي منزها عنها فافهم. ولا أظنك تفهم لكن لكل إشارة أهل يفهمها والكلام معه والقوم حيث حرموا عن رحيق التحقيق جعلوا أمثال هذه النسب من النسب المجازية ولا وجه لذلك ما دام الحمل على الحقيقة ممكنا والمقام منه، ونظير ذلك

ما ينسب إلى الشخص من حيث هو هو وما ينسب إليه من حيث عروض إضافة له ككونه أبا لشخص أو ابنا له إلى غير ذلك من الإضافات وكلتا النسبتين حقيقة ليست من المجاز في شيء كما يقال زيد وارث عمرو فإنه إنما يقال عليه من حيث كونه ابنا له لا من حيث كونه زيدا من حيث هو زيد فافهم، ومع ذلك الحمل حمل حقيقي لا مجازي.

وإذا تقرر هذا فنقول إن نسبته الذنب في الآية إلى النبي ﷺ من القسم الثاني بمعنى أن الله تعالى نسب ذنوب شيعته إليه وحملها إياه لكونها صادرة عن أشعته من باب عروض الوسخ لثوبك الذي أنت لابسه ونسبته إليك في التعبير فإنك حامل لذلك الوسخ بواسطة الثوب وإن كنت في نفسك طيبا طاهرا لا وسخ فيك وإنما غفرها الله عز وجل لنبيه ﷺ لأنها ليست ناشئة من ذوات أشعته من حيث هي أشعة وإنما هي أعراض عارضة من لطخ طينة الأعداء ومجاورتها نظيره أيضا الثوب فإنه قد يكون نجس العين كالمنسوج من شعر خنزير مثلا وهذا لا يطهر بالغسل وقد يكون طاهر العين وتعرضه النجاسة من خارج كالأثواب المتنجسة وهذا يطهر بالغسل لا محالة، وذنوب الشيعة من القسم الثاني ولذا طهرها الله تعالى بفاضل نورانية نبيه ﷺ الذي هو بمنزلة الماء لها فافهم وتبصر وانتظر لمزيد البيان في اللطخ في حديث أبي إسحق الليثي إن شاء الله تعالى.

حديث أمير المؤمنين مع الدهقان

الاحتجاج عن سعيد بن جبير قال: (استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان

من دهاقين الفرس فقال له - بعد التهنئة -: يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات ، وتناحست السعود بالنحوس ، وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء ، ويومك هذا يوم صعب، قد انقلب فيه كوكبان ، وانقدح من برجك النيران ، وليس الحرب لك بمكان.

فقال أمير المؤمنين ﵇: ويحك يا دهقان المنبئ بالآثار ، المحذر من الأقدار، ما قصة صاحب الميزان ، وقصة صاحب السرطان ، وكم المطالع من الأسد والساعات من المحركات ، وكم بين السراري والدراري ؟

قال: سأنظر وأومأ بيده إلى كمه ، وأخرج منه إسطرلابا ينظر فيه.

فتبسم ﵇ فقال: أتدري ما حدث البارحة ؟ وقع بيت بالصين، وانفرج برج ماجين ، وسقط سور سرانديب ، وانهزم بطريق الروم بأرمينية ، وفقد ديان اليهود بإيلة، وهاج النمل بوادي النمل ، وهلك ملك إفريقية ، أكنت عالما بهذا ؟

قال: لا يا أمير المؤمنين.

فقال : البارحة سعد سبعون ألف عالم ، وولد في كل عالم سبعون ألفا ، والليلة يموت مثلهم ، وهذا منهم وأومأ بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي وكان جاسوسا للخوارج في عسكر أمير المؤمنين ﵇ فظن الملعون أنه يقول: خذوه، فأخذ بنفسه فمات، فخر الدهقان ساجدا.

فقال أمير المؤمنين ﵇: ألم أروك من عين التوفيق؟

قال: بلى يا أمير المؤمنين.

فقال أمير المؤمنين ﵇ : أنا وصاحبي لا شرقي ولا غربي، نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك ، أما قولك انقدح من برجك النيران

فكان الواجب أن تحكم به لي لا علي، أما نوره وضياؤه فعندي، وأما حريقه ولهبه فذهب عني، وهذه مسألة عميقة احسبها إن كنت حاسبا)[1].

تحقيق لطيف في علم أهل البيت عليهم السلام بالنجوم

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب : إن هذه القضية رويت بعبارات وأنحاء مختلفة ، وعسى أن نوردها بطريق آخر في قسم المعجزات إن شاء الله تعالى لاشتمالها على ما هو أغرب مما هاهنا من المعجزة، ثم إن هذا الحديث وما في معناه من الأخبار يعطي صحة علم النجوم ، وأن لأوضاعها أثرا في العالم السفلي غير أن ما عند الناس من ذلك ناقص لا يفي بجميع الأحكام ، وأما إنكار بعض أصحابنا لذلك من جهة بعض الأخبار الموهمة لذلك في بادئ النظر فهو ناش من قلة التدبر في معانيها، وأنها إنما وردت في إنكار من يجعلها مؤثرات من دون الله أو أنها إذا اقتضت أثرا فلا يمكن تغييره فإن كلا الاعتقادين فاسدان مؤديان إلى إنكار قدرة الله وتصرفه في ملكه كيف يشاء من محو ما يثبت وإثبات ما يمحو ؛ لأنه سبب من لا سبب له ومسبب الأسباب من غير سبب وأسبابه تعالى ليست منحصرة في الأوضاع النجومية وأما بعد الإقرار بذلك فلا وجه لإنكار تأثيرها بوجه وإلا لوجب إنكار تأثير جميع الأسباب العلوية والسفلية والغيبية والشهادية ، وهو مؤد إلى السفسطة واختيار مذهب الأشاعرة الذى عده الإمامية من جملة المطاعن عليهم فكيف يختاره من يدعي مذهب التشيع هذا مع ما ورد في إثبات التأثير لها من

(١) بحار الأنوار ج٥٥ ص٢٢١، الاحتجاج ج١ ص٣٥٥، تفسير نور الثقلين ج٤ ص٤٠٧، جواهر الكلام ج٢٢ ص٩٧

الأخبار المعصومية ما لا يحصى كثرة ، وطرحها أو تأويلها بما لا دلالة لها في الظاهر عليها تكلف مستغنى عنه ، ولولا أداء الكلام في ذلك إلى التطويل لأشبعنا فيه القول ولكنه خارج عن موضوع كتابنا ولذا اكتفينا بالإشارة والسلام.

في القبر نعيم وعذاب

الثامن والأربعون تفسير الإمام عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قيل له: (يا رسول الله ففي القبر نعيم وعذاب قال: إي والذي بعث محمدا صلى الله عليه وآله بالحق نبيا، وجعله زكيا، هاديا مهديا، وجعل أخاه عليا بالعهد وفيا، وبالحق مليا ولدى الله مرضيا، وإلى الجهاد سابقا، ولله في أحواله موافقا، وللمكارم حائزا، وبنصر الله على أعدائه فائزا، وللعلوم حاويا، ولأولياء الله مواليا، ولأعدائه مناويا وبالخيرات ناهضا، وللقبائح رافضا وللشيطان مخزيا، وللفسقة المردة مقصيا ولمحمد صلى الله عليه وآله نفسا، وبين يديه لدى المكاره ترسا وجنة، آمنت به أنا وأخي علي بن أبي طالب عليه السلام ، عبد رب الأرباب، المفضل على أولي الألباب الحاوي لعلوم الكتاب، زين من يوافي يوم القيامة في عرصات الحساب بعد محمد صلى الله عليه وآله ، صفي الكريم العزيز الوهاب إن في القبر نعيما يوفر الله به حظوظ أوليائه وإن في القبر عذابا يشدد الله به على أعدائه.

إن المؤمن الموالي لمحمد وآله الطيبين، المتخذ لعلي بعد محمد صلى الله عليه وآله إمامه الذي يحتذي مثاله، وسيده الذي يصدق أقواله ، ويصوب أفعاله، ويطيعه بطاعة من يندبه من أطائب ذريته لأمور الدين وسياسته، إذا حضره من أمر الله تعالى ما لا يرد، ونزل به من قضائه ما لا يصد، وحضره ملك الموت وأعوانه، وجد عند رأسه محمدا صلى الله عليه وآله رسول

الله سيد النبيين من جانب ، ومن جانب آخر عليا عليه السلام سيد الوصيين، وعند رجليه من جانب الحسن عليه السلام سبط سيد النبيين، ومن جانب آخر الحسين عليه السلام سيد الشهداء أجمعين، وحواليه بعدهم خيار خواصهم ومحبيهم الذين هم سادة هذه الأمة بعد ساداتهم من آل محمد، فينظر إليهم العليل المؤمن، فيخاطبهم بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصنا عن عيونهم، ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثوابا لشدة المحنة عليهم فيه. فيقول المؤمن بأبي أنت وأمي يا رسول رب العزة، بأبي أنت وأمي يا وصي رسول رب الرحمة، بأبي أنتما وأمي يا شبلي محمد وضرغاميه، ويا ولديه وسبطيه، ويا سيدي شباب أهل الجنة المقربين من الرحمة والرضوان. مرحبا بكم يا معاشر خيار أصحاب محمد وعلي وولديهما، ما كان أعظم شوقي إليكم ، وما أشد سروري الآن بلقائكم ، يا رسول الله هذا ملك الموت قد حضرني، ولا أشك في جلالتي في صدره لمكانك ومكان أخيك مني. فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله : كذلك هو. ثم يقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على ملك الموت فيقول : يا ملك الموت استوص بوصية الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبنا ومؤثرنا. فيقول له ملك الموت : يا رسول الله مره أن ينظر إلى ما قد أعد الله له في الجنان. فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله : انظر إلى العلو. فينظر إلى ما لا تحيط به الألباب ، ولا يأتي عليه العدد والحساب. فيقول ملك الموت : كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه، وهذا محمد وعترته زواره ، يا رسول الله لو لا أن الله جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلا من قطعها، لما تناولت روحه ، ولكن لخادمك ومحبك هذا أسوة بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الذين أذيقوا

الموت بحكم الله تعالى. ثم يقول محمد ﷺ : يا ملك الموت هاك أخانا قد سلمناه إليك فاستوص به خيرا. ثم يرتفع هو ومن معه إلى ربض الجنان، وقد كشف عن الغطاء والحجاب لعين ذلك المؤمن العليل، فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه. فيقول : يا ملك الموت الوحا، الوحا تناول روحي ولا تلبثني هاهنا، فلا صبر لي عن محمد وعترته وألحقني بهم. فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه فيسلها، كما يسل الشعرة من الدقيق، وإن كنتم ترون أنه في شدة فليس في شدة، بل هو في رخاء ولذة. فإذا أدخل قبره وجد جماعتنا هناك، فإذا جاء منكر ونكير قال أحدهما للآخر : هذا محمد وهذا علي والحسن والحسين وخيار صحابتهم بحضرة صاحبنا فلنتضع لهم. فيأتيان ويسلمان على محمد ﷺ سلاما تاما منفردا، ثم يسلمان على علي سلاما تاما منفردا، ثم يسلمان على الحسن والحسين سلاما يجمعانهما فيه، ثم يسلمان على سائر من معنا من أصحابنا. ثم يقولان : قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصتك لخادمك ومولاك، ولولا أن الله يريد إظهار فضله لمن بهذه الحضرة من أملاكه ومن يسمعنا من ملائكته بعدهم لما سألناه، ولكن أمر الله لا بد من امتثاله. ثم يسألانه فيقولان : من ربك وما دينك ومن نبيك ومن إمامك وما قبلتك ومن إخوانك؟ فيقول : الله ربي، ومحمد نبيي، وعلي وصي محمد إمامي، والكعبة قبلتي والمؤمنون الموالون لمحمد وعلي وآلهما وأوليائهما، والمعادون لأعدائهما إخواني. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأن أخاه عليا ولي الله، وأن من نصبهم للإمامة من أطائب عترته وخيار ذريته خلفاء الأمة وولاة الحق، والقوامون بالعدل فيقول: على هذا

حييت، وعلى هذا مت، وعلى هذا تبعث إن شاء الله تعالى، وتكون مع من تتولاه في دار كرامة الله ومستقر رحمته. قال رسول الله ﷺ : وإن كان لأوليائنا معاديا، ولأعدائنا مواليا، ولأضدادنا بألقابنا ملقبا، فإذا جاءه ملك الموت لنزع روحه مثل الله عز وجل لذلك الفاجر سادته الذين اتخذهم أربابا من دون الله، عليهم من أنواع العذاب ما يكاد نظره إليهم يهلكه، ولا يزال يصل إليه من حر عذابهم ما لا طاقة له به. فيقول له ملك الموت: يا أيها الفاجر الكافر تركت أولياء الله إلى أعدائه ، فاليوم لا يغنون عنك شيئا، ولا تجد إلى مناص سبيلا. فيرد عليه من العذاب ما لو قسم أدناه على أهل الدنيا لأهلكهم. ثم إذا أدلي في قبره رأى بابا من الجنة مفتوحا إلى قبره يرى منه خيراتها، فيقول له منكر ونكير: انظر إلى ما حرمته من تلك الخيرات. ثم يفتح له في قبره باب من النار يدخل عليه منه من عذابها. فيقول : يا رب لا تقم الساعة يا رب لا تقم الساعة)[1].

تحقيق في حضور المعصومين عليهم السلام عند الموتى

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب : إن أخبار حضور الأئمة عند الموتى قريبة من التواتر بل هي متواترة بل قد صار حضورهم الآن في الجملة من ضروريات مذهب الشيعة ، فالواجب على من لا يعرف كيفية حضورهم على التفصيل التسليم على سبيل الإجمال، هذا ولقد وقفت على كلامين غريبين في المقام أحدهما لشيخنا الحر العاملي والآخر لبعض أصحابنا السابقين.

(١) تفسير الإمام العسكري ٢١٠، بحار الأنوار ج٦ ص١٧٣ و ٢٣٦، تأويل الآيات ٦٢٢، مدينة ج٣ ص١٢١

أما الأول ، فقال الشيخ المذكور في كتابه الفصول المهمة بعد إيراد جملة وافية من أخبار الباب أقول: (والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى وقد تجاوزت حد التواتر ، ودلالتها قطعية كما ترى ، وإنكار بعض المتكلمين لها لا وجه له وما تخيل من معارضته لها من أن الجسم يمتنع حلوله في مكانين فصاعدا في وقت واحد ، ولا يمتنع موت جماعة كثيرين في وقت واحد لا يخفى جوابه بوجوه كثيرة على من تأمل هذه الأحاديث ، ولا أقل من تخصيصه بقدر الإمكان أو رؤية بعضهم من قريب وبعضهم من بعيد ، كما روي نحوه في ملك الموت : «أن الدنيا عنده بمنزلة القصعة بين يدي الإنسان» وقد تواترت الآيات والروايات في قلة عدد المؤمنين جدا وهو مؤيد لما قلنا والله الهادي)[1] ، انتهى كلامه ﷺ.

والغرابة في قوله : (ولا أقل من تخصيصه بقدر الإمكان) فإنه من غريب الكلام فإن فيه أولا خروجا عن منطوق الأخبار ؛ لأن منطوقها حضورهم عند جميع الأموات فالتخصيص مما لا معنى له. وثانيا : أن من ينكر حضورهم من جهة عدم إمكان حضور جسم واحد في أمكنة متعددة في آن واحد ينكر إمكانه ، ولو في مكانين فليت شعري ما قدر الإمكان من ذلك اللهم إلا أن يريد به حضورهم عند واحد من الميتين في آن واحد ، ثم عند واحد فمن بعدهم وهكذا وهو أقبح من إنكار ذلك رأسا ، ويظهر قبحه بعد ملاحظة الأخبار التي أوردنا وأعجب من ذلك قوله : (أو رؤية بعضهم من قريب وبعضهم من بعيد) فإنه كلام غريب وأعجب ، من ذلك كله استشهاده بما قال بحضور ملك

---

(١) الفصول المهمة ج١ ص٣٢٣

الموت فإنه يناقض مقصوده صريحا ويختم هذه الغرائب قوله : (وقد تواترت الآيات والروايات في قلة عدد المؤمنين جدا.. الخ). فإن كثيرا من الأخبار عامة للكافر والمؤمن ، ومع الغض عن ذلك هذا الكلام في نفسه كلام خال عن التحقيق ، مع أن هذا النحو الذي توهمه من كيفية الحضور من عدم تعدد أجسامهم وحضورهم عند آحاد الميتين على التدريج لو صح يوجب أن يكون رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام غائبين عن مكانهم الذي كانوا فيه ظاهرا في أكثر الأوقات إن لم يكن دائما لاشتغالهم بالحضور عند الأموات في مشارق الأرض ومغاربها وهو كما ترى، وأما كلام بعض السابقين فهو أنه بعد إيراد أخبار الحضور وروايته الشعر المشهور عن أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني:

يا حــار هــمـدان مـن يمت يرني
مـن مؤمن أو منــافق قبــلا
يـعـرفـني شـخـصـه وأعـرفـه
بـاسمه والـكـنى ومـا فعـلا
وأنــت يــا حـار إن تمت ترني
أسقيـك مـاء تـخـاله عـسـلا

أول الأخبار وقال : غير أني أقول فيه إن معنى رؤية المحتضر لهما عليهما السلام هو العلم بثمرة ولايتهما ، والشك فيهما والعداوة لهما ،والتقصير في حقهما على اليقين بعلامات يجدها في نفسه دون رؤية البصر لأعيانهما عليهما السلام، ومشاهدة النواظر لأجسادهما باتصال الشعاع ثم قال في كتابه القول في رؤية المحتضر الملائكة عليهم السلام : والقول عندي في ذلك كالقول في

رؤيته لرسول الله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما وجائز أن يراهم ببصره بأن يزيد الله في شعاعه ما يدرك به أجسامهم الشفافة الرقيقة ، ولا يجوز مثل ذلك في رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وسلامه لاختلاف ما بين أجسامهم وأجسام الملائكة في التركيبات)[1] انتهى.

أقول أصل هذه الشبهة نشأ مما صار مسلمة بين أهل الكلام من أن الجسم الواحد لا يوجد في أمكنة متعددة في آن واحد ، ولم يفقهوا أن أسرار أولياء الله لا تقدر بقدر عقول القاصرين ؛ لأنها مبنية على أصول غير تلك الأصول، وفصول غير تلك الفصول ، ووجه الخبط في هذه المسألة أنهم قاسوا أحكام الباطن بأحكام الظاهر ، وجوهر الجسم الأصلي بعرضه ، فحرموا شراب التحقيق مع أن الله تعالى بين هذه المسألة في أنفسهم بيانا لا يجهله إلا من اختلط عقله فإن نبيهم قد صرح بأن (من رآه في المنام فقد رآه والشيطان لا يتمثل به) وورد من طريق أهل بيته تعميم هذا الحكم للمؤمنين الخلصين أيضا.

ومن البيّن جواز رؤية جماعة كثيرين للنبي والأئمة عليه وعليهم السلام، بل وسائر المؤمنين بل والكافرين في المنام في آن واحد ، فليت شعري هذا المرئي المتعدد الذي يراه كل عنده من هو ، هل أمر موهوم لا أصل له فالحديث المروي المتفق عليه ، والوجدان الصحيح قد أبطلاه أو لأمر أصيل، فكيف اجتمع هذا مع استحالة وجود جسم واحد في أمكنة متعددة في آن واحد ، هذا وقد علم المستحفظون من أهل الحكمة الإلهية أن النوم أخ الموت، وأنه لا فرق بينه وبينه إلا في انقطاع علاقة الروح من الجسد بالكلية حال الموت دون حال النوم ومن البين

(١) المحتضر ١

أن هذا المقدار من التفاوت لا يوجب تغير الحكم المذكور ، ولإكمال المطابقة بين الحالين شبه صاحب الشريعة ﷺ هذا بذاك وقال : (كما تنامون تموتون ، وكما تستيقظون تبعثون) فإن المثال ممن ينطق عن الله لا يكون إلا على أكمل ما ينبغي بحيث لا يكون تمثيل أكمل منه ، فإذا ثبت جواز هذا في النوم يثبت جوازه في الموت بحكم المقدمات المذكورة حذو النعل بالنعل إن لم نقل بطريق أولى ، فالمنكر لجواز مثل هذا عند الموت يجب أن ينكر جوازه في المنام أيضا ؛ لأنهما من باب واحد إذ لا أقل من الاتحاد بين حالة الاحتضار وحالة النوم إن قلنا بالفرق بينه وبين الموت، وهو خلاف الوجدان والحس.

إن قيل كيف لا يكون فرق بين الحالين والحال أن رؤية النائم لغيره من غير قصد وشعور من المرئي بذلك بخلاف رؤية المحتضر والميت، فإنها على تقدير وقوعها يجب أن يكون بقصد وشعور منه لأنه المفروض.

قلنا : إن مبنى القياس على وجود شخص واحد في أمكنة متعددة، والقصد والشعور مما لا ربط له بالمقام فإن أبيت إلا البهت والمكابرة. فنقول : يا أخي إن هذا في حق النبي والأئمة ، بل والمؤمنين الكاملين غير معقول فإن كل من يراهم فهو عن قصد وشعور منهم عليهم السلام بذلك، فإنهم لا يأتون في المنام ولا يظهرون إلا لمن يريدون أن يظهروا له، وليس بالبخت والاتفاق، ومن أنكر هذا فنسأل الله أن يعرفه مقام ساداته ومواليه ، وأما غيرهم فالسبب لعدم شعورهم بذلك انغمارهم في العلائق الحسية الجسمانية وضعف قواهم ومشاعرهم بسبب ذلك، وإذا ماتوا وأكلت الأرض منهم الغرائب قوى شعورهم ، ورجع إلى

ما كان عليه قبل النزول إلى عالم الحس الدنيوي وقوى اختيارهم فلا يظهرون إلا بالقصد والشعور.

فالاعتراض ليس على ما ينبغي هذا ، ثم إن هذا الذي قدمناه من النظير إنما هو لكسر سورة المنكرين للمسألة ، وأما بيان حقيقة المسألة والكشف عن كيفية الحضور، فاعلم أن الأخبار قد تواترت في أن جميع ما سوى الله تعالى خلق من أشعة أنوار محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين، فهم سراج عالم الإمكان المنير ، وما سواهم أشعة مخلوقة من إشراقه الذي هو اللطيفة الزائدة على ذاته ، وقد تقرر في محله أن الممكن قائم دائما بفعل مؤثره قيام صدور ، بحيث لو انقطع منه المدد الجديد من مبدئه طرفة عين لم يبق له عين ولا أثر ؛ لأنه بالإيجاد في آن لا ينقلب واجبا بالذات ، بل هو باق على إمكانه الأول ، فالمنير الذي هو المؤثر لا ينفك عن الأثر ، ولا يغيب عنه طرفة عين أبدا بل يجب أن يكون معه حيثما كان ، لكن لا على طريق الحلول بل على طريق الإشراق والظهور ، مثاله الكاتب والحروف المكتوبة له ، فإن الحروف لو كانت ذوات عقل وشعور ، ونظرت وتوجهت إلى جهة مبدئها وجد كل منها مثال كاتبه الذي به توجه الكاتب إلى كتابته عنده ظاهرا بغير حجاب، ولذا كل من نظر إلى حرف من الحروف سبق إلى ذهنه مثال كاتب لا محالة، مع أن الكاتب شخص واحد لم يتجز ولا تعددت ذاته بتعدد الآثار ، وإنما ظهر عند كل منها بوجه من وجوهه ، وكل تلك الوجوه هو ذلك الكاتب الواحد عند كشف الحجب والسبحات ولنعم ما قال الشاعر:

وما الوجه إلا واحـــد غـيـــر أنه

إذا أنت عـــددت المرايا تـــعـــددا

فالحروف بمنزلة المرايا ، والكاتب الواحد بمنزلة الشاخص الذي ظهر على جميع المرايا ، فكل يجده عنده ، وهو لم يتحرك من مكانه ، ولا حل في المرايا فليس بينه وبين المرايا فصل ولا وصل ، وكل من المرايا يراه ويجده على حسب قابليته وإقباله ، فإن كانت المرآة معوجة رأته معوجة منكرة ، وإن كانت صافية مستقيمة رأتـه على ما هو عليه في الخارج، وعلى هذا المثال حال الخلق بالنسبة إلى محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين، فإنهم ﷺ ملئوا مرايا العالم بوجوههم الإشراقية المربية لوجودات الأشياء لكون كلها من أشعة أنوارهم ، وهو معنى الولاية المطلقة الكلية ، ومعنى قول الحجة ﷺ في دعاء رجب المعروف : (ومقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان) إلى قوله : (فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت) فكل من فتح عين بصيرته وجدهم حاضرين عند رأسه أو رجله أو عن يمينه أو عن يساره على حسب اختلاف الاعتبارات والظهورات التي لا إقبال لي إلى ذكرها الآن ، غير أن الكافر يجدهم على صورة الغضب لأنه مقتضى طبع مرآته، والمؤمن على صورة الرضا لأنه مقتضى طبع مرآته، وكل من القسمين أيضا يتفاوت بحسب تفاوت درجات الكفر والإيمان، وانفتاح هذه العين ربما يحصل في الدنيا لبعض المؤمنين الذين ماتوا قبل ان يموتوا، فهو لا يفقدهم في حال من النوم واليقظة ، أو في بعض الأحيان دون بعض لنقص في إقباله وتخليصه وصفاء مرآته ، أو في النوم خاصة لعين تلك العلة ، ولكن الظهور لعامة الناس لا يكون إلا حال الاحتضار وفي القبر لانكشاف حجب عالم الحس عن الأبصار

حينئذ لكل من المؤمن والكافر، فيجدهم المؤمن حينئذ حيث يحب والكافر حيث يكره ، وأما وجدان المعاينين لهم على صورة المجيء فهو لتدرج انكشاف الحجب فكلما قوى انكشاف الحجاب وجدهم أقرب إليه،فافهم .

وإذا عرفت هذا البيان لم تستوحش من حديث طلحة الذي يأتي إن شاء الله في قسم المعجزات وقوله : (قتلني علي) ، وكذا حديث يوم الأحزاب وكونه في عقب كل فرقة مع وقوفه على شفير الخندق هذا حال حضورهم عليهم السلام.

وأما حال حضور سائر المؤمنين فاعلم أن أجزاء العالم مرتبطة بعضها ببعض فكل جزء له طريق إلى الأجزاء الآخر ، ولو بوسائط غير أن بعض الأجزاء أقرب إلى بعض من الجزء الآخر ، بحيث إذا صفى مراتب ذلك الجزء ظهر الجزء الآخر بصورة من صوره عنده ، وكلما كان الائتلاف والقرابة والمناسبة أشد كان الظهور أولى ، أما ترى أنك إذا زاولت خيال شيء من الأمور بحيث كنت متذكرا له في كثير من الأوقات ؛ كنت كلما نمت رأيته في المنام وهو صورته المثالية التي ظهر لك بها ، وعلى هذا القياس حال الاحتضار والموت ، فافهم وتدبر.

هذا أحد وجوه حضورهم عليهم السلام في الأمكنة المتعددة وأما الوجه الآخر، فاعلم أن أجسام الأئمة عليهم السلام وأجسادهم خلقت من نور الله كما أن أرواحهم كذلك وذلك قبل خلق سائر الخلق بدهور كثيرة كما دلت عليه الأخبار، ونطقت به الآثار ،ومن جملة الخلق هذه الحدود والتعينات والتشخصات الحسية الظاهرية ؛ فإنها أيضا خلقت من أشعة أنوارهم وهم سابقون عليها سبق العلة على المعلول لأنهم أول

ما خلق الله ، وليس حيث خلقهم الله خلق بعض أجزاء وجودهم ومراتبه دون بعض بل خلقهم تامين بجميع أجزاء وجودهم الذاتية من الجسد إلى الفؤاد ، فأجسامهم بالحقيقة الأولية ليست محدودة بالذات بهذه الحدود المخلوقة من أشعتهم ، إذ لا يجري عليها ما هي أجرته فهي بالنسبة إلى محدودات هذا العالم لا حد لها ، لم تتلوث بتعيناتها وإن كان لها أيضا في حد ذاتها حدود وتعينات بنسبة عالمها ، غير أنها مع تلك الحدود لاحد لها بالنسبة إلى ما تحتها ، ولا تستغرب هذا فإن قطعة الخشب في حد نفسها أمر شخصي ذو حدود ، وبالنسبة إلى الباب والسرير وسائر ما يعمل منها بسيطة هيولائية لصلوحها لمادية كل من الأشياء المذكورة ، فافهم. فأجسامهم عليهم السلام إنما تعينت بالتعينات التي كان الناس يرونها بها حال ، تنزلهم إلى العوالم التي تحتهم لتكميل الخلق ، فهي بالنسبة إلى أصل جوهر جسمهم عرضية وليست تلك الأعراض حيث عرضتهم قهرتهم بحيث لا يقدرون على خلعها باختيارهم ، بل هو بيدهم إذا شاؤوا لبسوها وإذا شاؤوا خلعوها ولذا كانوا إذا مشوا في حر الشمس عرقت أبدانهم لثقل جسمهم العائق عن الحركة ، ومع ذلك إذا شاؤوا أن يقطعوا مسافة ما بين المشرق والمغرب في طرفة عين فعلوه ، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع بجسمه الشريف جميع أطباق السماوات في أسرع من لمح البصر ، ولا أقل في بعض الليل ؛ وذلك لأنهم كانوا يتبعون ثقل جسدهم الظاهري بخفة جسدهم الأصلي وروحانيته وربما كانوا يفعلون على العكس ، فكان يظهر لكل واحد حكمه عند المطبوعية ، فافهم.

وهذه المقدمات عند من له غور في حقائق الآثار المعصومية أظهر

من الشمس وأبين من الأمس ، وإذا تبين هذا فنقول لا ريب أن المانع للجسم الواحد من الكون في أمكنة متعددة في آن واحد ليس إلا اكتنافه بالحدود والتعينات الشخصية ، وهو لا يصلح للمانعية إلا إذا كانت تلك الحدود من مشخصات ذلك الجسم الذاتية ، بحيث إذا ارتفعت تلك الحدود زال ذلك الجسم أو كانت تلك الحدود مع عرضيتها بحيث قهرت الجسم فلا يقدر على رفعها باختياره، وأما إذا كان الجسم بالنسبة إلى تلك الحدود لا تعينا ، ولم يكن مقهورا تحتها فهو يظهر بأي صورة شاء فإن شاء بصورة واحدة ، وإن شاء بصور متعددة لأنه مهيمن على جميع الحدود والصور ، فلا يشغله شأن عن شأنٍ ولا حد عن حد ولا تعين عن تعين ، فيتقلب في الصور كيف يشاء فإن شاء لبس صورة النطفة واستقر في الأرحام والأصلاب ، وإن شاء تصور بصورة شخص تام الخلقة وظهر عند من يشاء بأي صورة شاء ، وإن شاء اتحد، وإن شاء تعدد ، وإن شاء نزل في الأرض ، وإن شاء صعد إلى السماء ، وإن شاء وقف في الهواء ، وإن شاء شرق ، وإن شاء غرب ، وإن شاء ظهر بصورة الإنسان ، وإن شاء ظهر بصورة الحيوانات الشريفة كالأسد وأمثاله، وإن شاء ظهر بصورة الملك ، وإن شاء احمر، وإن شاء اصفر ، وإن شاء ابيض، وإن شاء اخضر ، وإن شاء ظهر بالرجولية ، وإن شاء عاد إلى الطفولية ، وإن شاء مرض، وإن شاء صح ، وإن شاء مات ، وإن شاء حي ، وإن شاء شب ، وإن شاء هرم ، وإن شاء خفى، وإن شاء ظهر ، وإن شاء غاب ، وإن شاء حضر إلى غير ذلك من الحالات والأطوار الوجودية ، وبالجملة لا يمنعه حد عن حد ، وطور عن طور ، وقد عرفت أن أجسامهم عليهم السلام جسم مطلق

هيولاني غير مقيد بالذات بقيد من تلك القيود ، فيمكن أن يظهروا بجسمهم الشريف في آن واحد في أمكنة غير محصورة ، كما أفطر أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة واحدة في أربعين مكانا ، ومع ذلك كان عند الله تعالى في العرش هذا ، ولهم نحو آخر من الحضور أشرنا إليه في ذيل الحديث الرابع والتسعين من الجزء الأول، وهو غير هذين النحوين من أراده فليرجع إلى ما هنالك.

وأما سائر المؤمنين فلهم أيضا أن يظهروا بصورة متعددة إذا أخلصوا في اتباعهم عليهم السلام وتشبهوا بهم في الأعمال والأخلاق ؛ لأن أصل أجسامهم أيضا نظيفة روحانية مأخوذة من تراب الجنة ، وإنما عرضتهم عوارض هذا العالم بالعرض ، وعاقتهم عن ظهور آثار الربوبية منهم، فإذا اخلصوا لله العبودية باقتداء أوليائه علما وعملا ظهرت جوهرة الربوبية من كنه العبودية، وخلعوا أعنة الأضداد ، وملكوا أزمة الحدود والقيود ، فلا يشغلهم شأن عن شأن ، ولا مكان عن مكان فيظهرون في أي مكان شاؤوا بأي صورة شاؤوا ، غير أن هذا يحصل في الدنيا لقليل من المؤمنين وهم الخصيصون ، وإلى هذا المقام أومأ أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : (خلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم، فقد شابهت جواهر أوائل عللها ، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)[1] .

فتدبر في مطاويه تظهر لك أسرار خفية ، روي بعض المشايخ عن زاذان خادم سلمان قال : (لما جاء أمير المؤمنين عليه السلام ليغسل سلمان وجده قد مات، فرفع الشملة عن وجهه فتبسم وهم أن يقعد ، فقال له أمير

---

(١) المناقب ج٢ ص٤٩، بحار الأنوار ج٤٠ ص١٦٥، الصراط المستقيم ج١ ص٢٢٢.

المؤمنين عليه السلام : عد إلى موتك. وفي مناقب ابن شهر آشوب في حديث طويل يأتي إن شاء الله في ضمن المعجزات أنه لما كشف الرداء عن وجهه، تبسم سلمان إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : مرحبا يا أبا عبد الله إذا لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقل له ما مر على أخيك من قومك)[1] الخبر.

فانظر إلى من أطاع مولاه كيف صار الموت طوع يده يتبسم بعد الموت، ويهم أن يقعد ثم يعود إلى موته ، ويخاطبه أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن هذا كله من فروع ما قررناه فلا بعد في أن يحضر أمثال هؤلاء من المؤمنين أيضا عند الموتى مع مواليهم الكرام ، كما وقع التصريح به في بعض الأخبار المذكورة في الباب ، وإذا عرفت أن للجسم طورا وراء ما زعمه المتكلمة وغيرهم يمكن به حضوره في أمكنة متعددة ، عرفت أن تأويل الشيخ الذي نقلنا عنه تأويل مستغنى عنه ، وأنه على خلاف ما الواقع عليه ، على أنك لو كنت لم تعرف ما قررناه فالواجب عليك التسليم لمنطوق الأخبار حتى يثبت من الكتاب أو السنة ما ينافيه والمقام ليس منه.

وأما تفريقه بين أجسام الملائكة وأجسام الأئمة عليهم السلام بما سمعت نقله عنه فمما لم أعرف له وجها محصلا هذا. واعلم أن الشيخ المدقق الجليل الحسن بن سليمان الحلي ، وهو من أرشد تلاميذ الشهيد الأول رحمهما

---

(١) عن زاذان خادم سلمان قال لما جاء أمير المؤمنين ليغسل سلمان وجده قد مات فرفع الشملة عن وجهه فتبسم وهم أن يقعد فقال له أمير المؤمنين عليه السلام عد إلى موتك فعاد قال زاذان فلما أدرك سلمان الوفاة فقلت له من المغسل لك قال من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت إنك في المدائن وهو بالمدينة فقال يا زاذان إذا شددت لحيتي تسمع الوجبة فلما شددت لحيته سمعت الوجبة وأدركت الباب فإذا بأمير المؤمنين عليه السلام فقال يا زاذان قضى أبو عبد الله سلمان قلت نعم يا سيدي فدخل وكشف الرداء عن وجهه فتبسم سلمان إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له مرحبا يا أبا عبد الله إذا لقيت رسول الله فقل له ما مر على أخيك من قومك ثم أخذ في تجهيزه فلما صلى عليه كنا نسمع من أمير المؤمنين تكبيرا شديدا وكنت رأيت معه رجلين فقال أحدهما جعفر أخي والآخر الخضر عليه السلام ومع كل واحد منها سبعون صفا من الملائكة في كل صف ألف ألف ملك.(بحار الأنوار ج٢٢ ص٣٨٤،المناقب ج٢ ص٣٠١).

الله ، قد صنف كتابا في خصوص رد هذا القول ، وإثبات حضور الأئمة عليهم السلام عند الموتى بأعيانهم ، وسماه كتاب المحتضر -بالحاء المهملة ثم الضاد المعجمة ثم الراء أخيرا- وبالغ في إثبات ذلك بالأدلة العقلية والنقلية ، والكتاب مشهور ينقل عنه كثير ممن تأخر عنه سيما المجلسي في البحار ، وتلميذه في العوالم ولقد أجاد في كلما أفاد، غير أن الفائدة من كتابه ذلك لا تتم إلا بما قررناه هنا من التحقيق ؛ لأنه مستدرك لما فاته رحمه الله من يتفتح مناط هذه المسألة، فالكتاب المذكور بعد انضمام ما حررناه هنا من البيان كاف في هذا الشأن لمن له عينان.

ثم اعلم أنا قد خرجنا في إيراد أخبار الحضور عما جرينا في كتابنا هذا عليه من الاكتفاء في كل منقبة بإيراد حديث أو حديثين لما رأيت من الشبهات الواردة على القلوب في ذلك فرأيت إيراد الأخبار وتعقيبها ببيان حقيقة الحال كالواجب علي تصحيحا لعقائد الطالبين للحق وهدما لبنيان شبه من تكلم على خلاف الواقع في ذلك والله ولي التوفيق.

الدنيا والآخرة للإمام

وفيه محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن أبي عبد الله الرازي عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:(قلت له : أما على الإمام زكاة ، فقال: أحلت يا أبا محمد ، أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام ؛ يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء ، جائز له ذلك من الله ، إن الإمام يا أبا محمد لا يبيت ليلة أبدا ولله في عنقه حق يسأله عنه)[2] .

تحقيق لطيف في تسمية أمير المؤمنين بأبي تراب

يقول مصنف هذا الكتاب : قد أفادنا هذان الخبران وما في معناهما

(١) الكافي ج١ ص٤٠٨، من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٩٣،جواهر الكلام ج١٦ ص٤، الحدائق الناضرة ج١٢ ص٤٣٦

من الأخبار التي تركنا ذكرها؛ أن الأرض وما يخرج منها للإمام عليه السلام ومما خرج منها آدم وذريته ؛ لأنهم كلهم خلقوا من تراب ، وذلك أحد وجوه تسمية أمير المؤمنين عليه السلام بأبي تراب ، ولقد أجاد عبد الباقي الموصلي العمري العامي المعاصري في قصيدة له في مدح أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول:

خلق الله آدما من تراب

فهو ابن له وأنت أبوه[1]

البائع جبرئيل والمشتري ميكائيل والناقة من الجنة

إرشاد الديلمي رحمه الله بحذف الإسناد أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل مكة وهو في بعض حوائجه فوجد أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان ولا يكفه مكان ارزق الأعرابي أربعة آلاف درهم.

قال : فتقدم إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال : ما تقول يا أعرابي.

فقال الأعرابي : من أنت ؟

فقال : أنا علي بن أبي طالب .

قال : أنت والله حاجتي .

قال عليه السلام : سل يا أعرابي .

قال : أريد ألف درهم للصداق وألف درهم أقضي بها ديني وألف درهم أشتري بها دارا وألف درهم أتعيش بها .

قال له عليه السلام : أنصفت يا أعرابي ، إذا خرجت من مكة فسل عن داري بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله .

فأقام الأعرابي أسبوعا بمكة وخرج في طلب أمير المؤمنين عليه السلام إلى

المدينة ونادى من يدلني على دار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلقيه الحسين عليه السلام فقال : أنا أدلك على دار أمير المؤمنين .

فقال الأعرابي : من أبوك؟ .

قال : أمير المؤمنين عليه السلام .

قال : من أمك ؟ .

قال : فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين .

قال : من جدك ؟.

قال : رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

قال : من جدتك ؟

قال : خديجة بنت خويلد .

قال : من أخوك ؟

قال : الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال : لقد أخذت الدنيا بطرفيها امش إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقل له إن الأعرابي صاحب الضمان بمكة على الباب .

فدخل : الحسين عليه السلام وقال يا أبت إن أعرابيا بالباب يزعم أنه صاحب ضمان بمكة .

قال فخرج إليه عليه السلام وطلب سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال له : يا سلمان اعرض الحديقة التي غرسها لي رسول الله صلى الله عليه وآله على التجار .

فدخل سلمان إلى السوق وعرض الحديقة فباعها باثني عشر ألف درهم وأحضر المال وأحضر الأعرابي فأعطاه أربعة آلاف درهم وأربعين درهما للنفقة فرفع الخبر إلى فقراء المدينة فاجتمعوا إليه والدراهم مصبوبة بين يديه فجعل عليه السلام يقبض قبضة قبضة ويعطي

رجلا رجلا حتى لم يبق له درهم واحد منها ودخل منزله فقالت له فاطمة عليها السلام : يا ابن عم بعت الحديقة التي غرسها لك رسول الله والدي .

فقال : نعم بخير منها عاجلا وآجلا .

قالت له : جزاك الله خيرا في ممشاك ، ثم قالت له : أنا جائعة وابناي جائعان ولا شك أنك مثلنا .

فخرج عليه السلام ليقترض شيئا ليصرفه على عياله فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : يا فاطمة أين ابن عمي .

فقالت له : خرج يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وآله : هاك هذه الدراهم فإذا جاء ابن عمي فقولي له يبتاع لكم بها طعاما .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء علي عليه السلام وقال : جاء ابن عمي فإني أجد رائحة طيبة .

قالت : نعم وناولته الدراهم وكانت سبعة دراهم سود هجرية وذكرت له ما قال صلى الله عليه وآله لها .

فقال : يا حسن قم معي فأتيا السوق وإذا هما برجل واقف وهو يقول : من يقرض الله الوفي الملي.

فقال لابنه الحسن: يا بني نعطيه الدراهم .

قال : بلى والله يا أبة ، فأعطاه عليه السلام الدراهم ومضى إلى باب رجل ليقترض منه شيئا فلقيه أعرابي ومعه ناقة فقال : اشتر مني هذه الناقة .

قال : ليس معي ثمنها .

قال : فإني أنظرك به .

قال : بكم يا أعرابي ؟

قال : بمائة درهم .

قال عليه السلام : خذها يا حسن، ومضيا عليهما السلام فلقيهما أعرابي آخر.

فقال : يا علي أتبيع الناقة ؟

قال له عليه السلام : وما تصنع بها ؟

قال : أغزو عليها أول غزوة يغزوها ابن عمك صلى الله عليه وآله .

قال عليه السلام : إن قبلتها فهي لك بلا ثمن .

قال : معي ثمنها فبكم اشتريتها .

قال : بمائة درهم .

فقال : الأعرابي فلك سبعون ومائة درهم .

فقال عليه السلام : خذها يا حسن وسلم الناقة إليه والمائة للأعرابي الذي باعنا الناقة والسبعون لنا نأخذ بها شيئا ، فأخذ الحسن عليه السلام الدراهم وسلم الناقة.

قال عليه السلام : فمضيت أطلب الأعرابي الذي ابتعت منه الناقة لأعطيه الثمن فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في مكان لم أره فيه قبل ذلك على قارعة الطريق فلما نظر إلي رسول الله تبسم وقال : يا أبا الحسن أتطلب الأعرابي الذي باعك الناقة لتوفيه ثمنها .

فقلت : إي والله فداك أبي وأمي .

فقال : يا أبا الحسن الذي باعك الناقة جبرائيل والذي اشتراها منك ميكائيل والناقة من نوق الجنة والدراهم من عند رب العالمين الملي الوفي)[1] .

---

(١) إرشادالقلوب ج ٢ ص٢٢١.

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب وروى هذا الخبر شيخنا الصدوق محمد بن بابويه في أماليه في المجلس الحادي والسبعين عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني عن عمر بن سهل بن إسماعيل الدينوري عن زيد بن إسماعيل الصائغ عن معاوية بن هشيم عن سفيان عن عبد الملك بن عمر عن خالد بن ربعي على نحو السبط مما ذكر غير أن فيه ما لا يلائم مذهب الإمامية وهو ما رواه أن أمير المؤمنين عليه السلام لما دخل على فاطمة عليها السلام قالت أنا جائعة وابناي جائعان ولا أشك إلا وأنك مثلنا في الجوع ولم يكن لنا منه درهم وأخذت بطرف ثوب علي عليه السلام فقال علي يا فاطمة خليني فقالت لا والله أو يحكم بيني وبينك أبي فهبط جبرئيل على رسول الله فقال يا محمد يقرئك ربك السلام ويقول اقرأ عليا مني السلام وقل لفاطمة ليس لك أن تضربي على يديه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله منزل علي عليه السلام وجد فاطمة ملازمة لعلي فقال يا بنية مالك ملازمة لعلي قالت يا أبه باع الحائط الذي غرسته له باثني عشر ألف درهم ولم يحبس لنا منه درهما نشتري به طعاما فقال يا بنيه إن جبرئيل يقرئني من ربي السلام ويقول اقرأ عليا مني السلام وأمرني أن أقول لك ليس لك أن تضربي على يديه قالت فاطمة فإني أستغفر الله ولا أعود أبدا)[1]، ثم ساق الحديث على نحو ما رويناه عن الديلمي.

وهو من الأمور التي يجب أن تضرب عرض الحائط فإن ساحة عصمة البتول أنزه من مثل هذا العمل الشنيع لأنه صنع امرأة بذية

(١) أمالي الصدوق ٤٦٧، بحار الأنوار ج ٤١ ص ٤٤، روضة الواعظين ج ١ ص ١٢٤.

سليطة لئيمة ابتلعت الناموس ووضعت الحياء تحت قدميها لا تبالي بإيذاء زوجها وهتك ناموسه بين الناس مع ما فيه من دناءة الطبع ومتابعة شهوة البطن وعدم الصبر على نوائب الدهر والرضا بقضاء الله والتعرض بسخط الرب.

وبالجملة ما أدري أين هذا الصنع من إنفاقها الطعام للمسكين واليتيم والأسير ومبيتها مع ابنيها وبعلها وجاريتهم ثلاثة أيام بلياليها جائعين لا يفطرون إلا على الماء أترى من يصدر عنه مثل هذا الفعل يقدم على مثل هذا العمل الشنيع الذي لا يصدر إلا عن أراذل الناس إن هذا إلا من تخليطات الناصبة الذين كانوا يضعون الأخبار الكاذبة في قدح أهل بيت النبوة كحديث تزويج علي عليه السلام لبنت أبي جهل ونظائره كل ذلك حسدا وبغضا ليستروا بأمثال هذه الخرافات مناقبهم وفضائلهم التي طبقت الخافقين وملأت ما بين المشرقين ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[1] والعجب من مثل الصدوق رحمه الله حيث روى هذه الرواية من غير تعرض لردها وتزييفها ولعله اغتر فيه بنزول جبرائيل وتبليغه ما ذكر في حق علي عليه السلام ولم يفقه أن المخلط لهذا الخبر إنما خلط القدح بالمدح لمجرد هذه الغاية وهو ارتضاء مثل هذا الشيخ به وروايته له لتلاميذه ليبقى على مر الدهور حجة على الشيعة الإمامية القائلين بعصمة فاطمة الزهراء عليها السلام وعدم جواز صدور صغيرة أو كبيرة منها فضلا عن أن تعارض مثل أمير المؤمنين الذي الراد عليه الراد على الله وطاعته واجبه كطاعة الله وطاعة رسول الله والتسليم له فرض كالتسليم لأمر الله وأمر رسوله لأنه أمام مفترض الطاعة من

---

(١) التوبة ٣٢.

الله لا يقول غير الحق ولا يفعل غير الصواب فيلزم أن تكون فاطمة عليها السلام والعياذ بالله غير قائلة بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته حتى يجوز لها التعرض له فيما يفعله من الأمور الإلهية نعوذ بالله مما يقوله المشركون ويفتريه الملحدون على أنه إنما يغتر بأمثال هذه الفضائل من لا يجد لإمامه فضيلة يرويها فيتشبث كالغريق بكل حشيش يراه كما هو حال مخالفينا في حق أئمتهم وأما الشيعة ففي غنى بحمد الله وسعته من ذلك لأن فضائل أئمتهم عليهم السلام قد ملأت السماوات والأرض حتى ظهر أن لا إله إلا الله فأي حاجة لهم إلى أمثال هذه المزخرفات والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

علم آل محمد عليهم السلام

السادس عشر بصائر الصفار حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد الجمال، عن أحمد بن عمر، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: له إني أسألك جعلت فداك عن مسألة ليس هاهنا أحد يسمع كلامي.

فرفع أبو عبد الله عليه السلام سترا بيني وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك.

قال: قلت جعلت فداك إن الشيعة يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام بابا يفتح منه ألف باب.

قال فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد علم والله رسول الله عليا ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب.

قال قلت له: والله هذا العلم.

فنكت ساعة في الأرض ثم قال: إنه لعلم وما هو بذلك، ثم قال:

يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة ؟

قال : قلت جعلت فداك وما الجامعة ؟

قال : صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش ، وضرب بيده إلي فقال : أأذن لي يا أبا محمد .

قال : قلت جعلت فداك إنما أنا لك اصنع ما شئت .

قال : فغمزني بيده ، فقال : حتى أرش هذا كأنه مغضب .

قال : قلت جعلت فداك هذا والله العلم

قال : إنه لعلم وليس بذلك ، ثم سكت ساعة ثم قال : إن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر مسك شاة أو جلد بعير .

قال : قلت جعلت فداك ما الجفر؟ .

قال : وعاء أحمر أو أدم أحمر فيه علم النبيين والوصيين .

قلت : هذا والله هو العلم .

قال : إنه لعلم وما هو بذلك ، ثم سكت ساعة ثم قال : وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة .

قال : قلت وما مصحف فاطمة ؟

قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إنما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها .

قال : قلت هذا والله هو العلم .

قال : إنه لعلم وليس بذاك ، قال ثم سكت ساعة ثم قال : إن عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

قال : قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم .

قال : إنه لعلم وما هو بذاك .

قال : قلت جعلت فداك فأي شيء هو العلم.

قال : ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة)[1] .

تحقيق لطيف في علم أهل العصمة عليهم السلام

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب إن الله تعالى لما خلق محمد وآل محمد من نور عظمته وهم أول من صدر عن مشيته تشعشع نورهم فخلق من شعاعه سائر الخلق وأنهى علم ذلك كله إليهم لأن الشعاع لا يغيب عن المنير. وكان مما خلق أمور كلية تشتمل على أفراد جزئية وأحكام شخصية تظهر في الكون على التدريج وتسمى هذه الكليات باعتبار طبعها ولونها ووضعها وأشباه ذلك من مشخصاتها بأسماء مختلفة فبعض منها يسمى الجفر الأحمر وبعض منها الجفر الأبيض وبعض مصحف فاطمة وبعضها الناموس وبعضها كتاب علي عليه السلام وهكذا. وينسب كتابة بعض ذلك أو إملاؤه إلى جبرئيل وبعضها إلى ملك آخر وبعضها إلى إملاء رسول الله وخط علي عليه السلام وعلى هذا القياس، لأن هؤلاء أياديه وأسبابه تعالى في إجراء تلك الأمور ووضع كل منها في موضعها اللائق بها والله تعالى جعل محمدا وآله عليه وعليهم السلام خزان تلك الكتب وحفظتها فهي كلها بعين منهم دائما فإذا أرادوا عليهم السلام الإخبار عن حكم أو وقوع أمر في العالم أو لا وقوعه أخبروا عن كتابه الجامع الذي ذلك الحكم أو الأمر مذكور فيه

(١) بصائر الدرجات ١٥١، بحار الأنوار ج٢٦ ص٣٨، الكافي ج١ ص٢٣٨، تأويل الآيات ١٠٨، بيت الأحزان٣٣، المحتضر ١١٣.

بما هو عليه لأنه هو محل بيان ذلك الشيء المخبر، عنه فيقولون الحكم الفلاني في الجفر كذا أو في الجامعة كذا وهكذا، وربما يظهرون بعض تلك الكتب الكونية لبعض الناس في صورة الكتاب التدويني إذا شاؤوا ذلك من باب ظهور جبرئيل في صورة البشر ومشاهدة بعض الناس له مع عدم تخليته لمقامه الذي هو فيه وعدم خروجه عن صورته الأصلية فإن للشيء الواحد مراتب ومقامات يظهر في كل منها بلباس ذلك المقام وتلك المرتبة. ألا ترى الشيء الواحد كيف يوجد في عالم التعقلات بكسوة المعاني وفي عالم النفوس بكسوة الصور النفسانية وفي عالم القوى الباطنية بكسوة الصور المثالية الشبحية وفي عالم الظاهر بكسوة الأجسام والجسمانيات وهو حقيقة واحدة في حد نفسه فعلى هذا القياس تلك الكتب المذكورة فإن كونها في صورة الأعيان لا ينافي كونها في صورة الألفاظ والنقوش المكتوبة فافهم.

وبالجملة كليات العالم كتب جامعة مملوءة علما والأئمة عليهم السلام حفظتها يخبرون عنها بما شاؤوا كما كانوا يخبرون عن الكتاب التدويني أعني القرآن وينسبون علمهم إليه، ومثال ذلك إنك تكون لك دراهم ودنانير وجواهر مختلفة تضعها في خزائنها اللائقة بها فإذا أردت استعمال شيء منها مددت يدك وأخذتها من تلك الخزينة وأنفقتها في الوجه الذي تريد.

وأنت إن أتقنت هذه القاعدة عرفت وجه نزول جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وإتيانه بالأخبار فإن من تلك الخزائن ما جعل الله خازنه جبرئيل الذي هو أحد خدام النبي صلى الله عليه وآله فإذا أراد الإخبار عما في تلك الخزينة أمر الله جبرئيل بواسطة حقيقة النبي صلى الله عليه وآله بفتح باب تلك الخزينة وإتيان ما فيها

وإنزاله إلى مقام الإخبار والإعلام وإبطائه أحيانا إنما هو لعدم وقوع وقت الإظهار والإخبار وحزن النبي ﷺ بذلك لخوف وقوع البداء من الله تعالى فخذه قصيرة من طويلة، فقد والله كشفت لك في هذه الكلمات القلائل بابا ينفتح منه ألف باب هذا وإلى هذا الذي ذكرنا أشاروا عليهم السلام بقولهم (ما يتقلب جناح طائر في الهواء إلا ولنا فيه علم)[1] وذلك بأنه ما من شيء في الوجود إلا هو دليل لشيء ومدلول عليه لشيء وأصل لشيء وفرع عن شيء وسبب لشيء ومسبب عن شيء وهكذا. فما من شيء إلا ويدل على شيء وهو العلم المودوع فيه فافهم أسرار أئمتك وحكمتهم إن شاء الله تعالى تكن من الحكماء السابقين والعلماء الراسخين.

وأما قوله عليه السلام في مصحف فاطمة أنه (ما فيه من قرآنكم حرف واحد) مع كون القرآن فيه تبيان كل شيء فقد قيل فيه توجيهات ركيكة والذي يليق بلحن كلماتهم عليهم السلام هو أن المراد به أنه ليس فيه من القرآن من حيث إنه قرآن حرف واحد بمعنى أنه ليس من الكلمات القرآنية وإنما هي كلمات أملاها جبرئيل لفاطمة عليها السلام كما في الحديث. ومثال ذلك أنك تقول لصاحبك في كتاب لك إن كتابي هذا ليس فيه من كتابك حرف واحد وتريد به أنه ليس بمنقول ومكتسب وملتقط من كتابك وإنما هو من إملائي، وهذا لا ينافي كون معنى ما في الكتابين متحدا بل ولفظه كذلك، وله توجيهات أخر عدلنا عن ذكرها لأدائه إلى التطويل.

وأما قوله عليه السلام (العلم ما يحدث بالليل والنهار) فقد أشرنا إلى بيانه

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما يتقلب جناح طائر في الهواء إلا وعندنا علم فيه) بحار الأنوار ج٢٦ ص١٩، صحيفة الرضا ٦٢، عيون أخبار الرضا -عليه السلام- ج٢ ص٣٢.

في الجزء الأول من الكتاب في تلو الحديث الخامس والستين ولنشير هنا إلى بيانه على سبيل الإجمال وهو أن الله تعالى حيث أنهى علم جميع الأشياء مما كان ومما سيكون إلى الأئمة عليهم السلام لم يكونوا ليستغنوا بذلك عن الله بل هم مع ذلك محتاجون دائما إلى إمداد جديد من مبدأ الفيض بحيث لو لم يصل إليهم هذا المدد لم يبق لأنفسهم ذكر في الوجود فضلا عن علمهم المفاض إليهم فعلومهم محتاجة في البقاء دائما إلى إحداث من الله جديد وهو معنى الزيادة التي وردت في الأخبار وليست زيادة عن نقصان وإنما هو بقاء كمال على ما هو عليه فهم عليهم السلام كاملون في كل حين وإن كمالا لا يتناهى ولا يمكن في الإمكان كمال فوق ذلك لكن بإحداث جديد منه تعالى له في كل آن وهو معنى (العلم الذي يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء) ولا ينافي ذلك علمهم بما كان وبما يكون فافهم ثم فافهم ومن تأمل في شأن هذا العلم الجديد عرف أنه هو الذي ينبغي أن يعد علما ويعتنى بشأنه كما قال عليه السلام للراوي.

فاضل سيف علي عليه السلام أثقل على جبرئيل من مدائن لوط

اللوامع للحافظ البرسي في يوم خيبر (لما جاءت صفية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت من أحسن الناس وجها فرأى في وجهها شجة فقال ما هذه وأنت ابنة الملوك فقالت إن عليا لما قدم الحصن هز الباب فاهتز الحصن وسقط من كان عليه من النظارة وارتجف بي السرير فسقطت لوجهي فشجني جانب السرير فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله يا صفية إن عليا عظيم عند الله وإنه لما هز الباب اهتز الحصن فاهتزت السماوات السبع والأرضون السبع واهتز عرش الرحمن غضبا لعلي وفي ذلك اليوم لما

سأله عمر فقال يا أبا الحسن لقد اقتلعت منيعا ولك ثلاثة أيام خميصا فهل قلعتها بقوة بشرية فقال ما قلعتها بقوة بشرية ولكن قلعتها بقوة إلهية ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية. ثم قال وفي ذلك اليوم لما شطر مرحبا شطرين وألقاه مجدلا جاء جبرئيل من السماء متعجبا فقال له النبي ﷺ مم تتعجب فقال إن الملائكة تنادي في مواضع جوامع السماوات لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار وأما إعجابي فإني لما أمرني ربي أن أدمر قوم لوط حملت مدائنهم وهي سبع مدائن من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا على ريشة من جناحي ورفعتها حتى سمع حملة العرش صياح ديكتهم وبكاء أطفالهم ووقفت بها إلى الصبح أنتظر الأمر ولم أثقل بها واليوم لما ضرب علي عليه السلام مرحبا ضربته الهاشمية أمرت أن أقبض فاضل سيفه حتى لا يشق الأرض وتصل إلى الثور الحامل لها فيشطره شطرين فتنقلب الأرض بأهلها فتلقيته فكان فاضل سيفه علي أثقل من مدائن لوط هذا وإسرافيل وميكائيل قد قبضا عضده في الهواء)"[1].

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب: ومن عجائب هذه الواقعة ما سمعت من والدي العلام رحمه الله مذاكرة ثم وجدته في غير موضع، منها كتاب الصراط المستقيم لعلي بن يونس رحمه الله أن بعض الصحابة قال (يا رسول الله ما عجبنا من قوته وحمله ورميه بل من وضع إحدى يديه تحت طرفه) وذلك أنه عليه السلام وضع جانبا من الباب على شفير الخندق وضبط الجانب الآخر بيده لكون الباب أقصر من عرض الخندق فعبر الجيش وهم ثمانية آلاف وسبعمائة رجل فلما

(٦) مدينة المعاجز ج١ ص٤٢٥، بحار الأنوار ج٢١ ص٤٠، حلية الأبرار ج٢ ص١٦١، مشارق أنوار اليقين ١١٠.

قالوا ذلك، فقال ﷺ (انظروا إلى رجليه قال فنظرت الصحابة إليها فرأينها معلقتين فقلن هذا أعجب رجلاه على الهواء قال ﷺ لا بل على جناحي جبرائيل)[1].

ومن عجائبها أيضا ما سمعته ﷺ يروي أن باب خيبر كان من ذهب فجعل علي ﷺ يضع يده عليه وهو كالخمير في يده فيقبض منه قبضة قبضة ويقسمها على العسكر ولما فرغ وزنوا جميع الحصص ووجدوها على وزن واحد بالسواء لا يزيد شيء منها على الأخرى قدر حبة.

علة حبس يونس في بطن الحوت

البصائر حدثنا العباس بن معروف عن سعدان بن مسلم ، عن صباح المزني ، عن الحرث بن حصيرة ، عن حبة العرني قال : قال أمير المؤمنين ﷺ (إن الله عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض أقر بها من أقر وأنكرها من أنكر أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقر بها)[2].

تحقيق لطيف في تقصير الأنبياء في ولاية علي عليه السلام

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب لا ريب أن إنكار ولاية أمير المؤمنين ﷺ كفر وشرك كما دلت عليه صريحا النقول المعصومية المتواترة وساحة عصمة يونس وسائر الأنبياء على محمد وآله وعليهم السلام بريئة من ذلك بدلالة الآثار النقلية والشواهد العقلية ومن قال به فهو خارج عن ربقة الإسلام فليس المراد بالإنكار

(١) الصراط المستقيم ج٢ ص٦ ، بحار الأنوار ج٤١ ص٢٨١، المناقب ج٢ ص٢٩٥.
(٢) بصائر الدرجات ٧٥، بحار الأنوار ج١٤ ص٣٩١ وج٢٦ ص٢٨٢، مدينة المعاجز ج٤ ص٣٠١

كما في هذا الحديث والتوقف كما في سائر الأخبار في حقه وحق جملة من الأنبياء الإنكار الاعتقادي المخرج للشخص عن حد الإيمان وإنما المراد به ما نتلوه عليك ولا ينبئك مثل خبير. وهو أن لولاية أمير المؤمنين عليه السلام حدودا وهي جميع ما أمر الله به وأحبه من الأخلاق المرضية والأعمال الشرعية لأن مقتضى الإقرار بولايته اتباع سبيله والتشبه به في جميع الأحوال وسبيله سبيل الله الأعظم الذي لا يفوته شيء مما لله فيه رضى فاحتمال ولايته على كمال ما ينبغي عبارة عن التأسي به في جميع الأمور علما وعملا وهي منحصرة في امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه بحيث لا يجده الله حيث يكره ولا يفقده حيث يحب.

والإنكار على قسمين إنكار علمي بلسان الاعتقاد بأن ينكر الشخص أصل ذلك الشيء ويحكم بأنه باطل وإنكار عملي بلسان الفعل مع بقاء أصل الاعتقاد بحاله ولا ريب أن الأول موجب للكفر إذا أنكر أمرا حقا. وأما الثاني فهو غير موجب للكفر وإنما هو عصيان فقط كما في العاصين من أهل الإيمان فإن ما يصدر عنهم من المعاصي مع بقاء أصل اعتقادهم لا يخرجهم عن ربقة الإيمان، وحديث (لا يزني الزاني وهو مؤمن)[1] مأول بمفارقة روح الإيمان العملي فيؤول إلى ما ذكرناه ولكن يطلق على من عمل بشيء من تلك المعاصي أنه توقف في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأنكرها لأنه لم يحتملها على كمال ما ينبغي ولم يتشبه به من جميع الوجوه بل خرج عن بعض حدود ولايته المطلقة بخطو العمل.

ثم إن المعاصي العملية على قسمين، قسم ينشأ من هوى النفس

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٢، من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٢٢.

ومتابعة الشيطان وهو المعاصي التي تنافي العصمة وقسم ينشأ من هوى الرب ومحبته وهو المسمى بترك الأولى لكون خلافه أرجح وهو لا ينافي العصمة في حق غير الخلق الأول أعني محمدا وآله الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين لأنه لم ينشأ من جهة الإدبار وإنما نشأ من جهة الإقبال ولكنه نقص ينافي كمال الفناء في حق المعبود والتسليم لأمره.

وإن أردت نظيرا لهذا القسم فقدر إنسانا تحبه شديدا ويحبك بمحبتك إياه فاتفق أنه أمرك بمفارقته أياما لمصلحة رآها في ذلك ففارقته ثم بعثك شدة المحبة للقائه على خلاف أمره ذلك فعدت إليه ولم تكمل ما عهد إليك في ذلك فإن ذلك يعد معصية لكونه خلاف ما أمرك به لكنه لا يقاس بسائر المعاصي الناشئة عن هوى النفس لأنه نشأ من جهة المحبة فالمحبوب يعاتبك في ذلك لا من جهة الغضب عليك لعلمه بأنك لم تخالفه من باب المشاقة بل من جهة تكميلك في المحبة والتسليم والفناء من باب العناية فعتابه ذلك في الحقيقة لطف وعناية في حقك ليرقيك بذلك إلى درجات الكمال ويصعدك إلى رتبة كمال الاتصال.

ومن هذا القسم المخالفات الصادرة عن بعض الأنبياء والخصيصين أحيانا كآدم أبي البشر فإنه إنما خالف نهي الله تعالى في أكل الشجرة حبا للخلود في جوار الله سبحانه وهو ناش عن محبة الله تعالى وما كان النهي عن الأكل نهي تحريم بل نهي أرجحية نظير الصلاة في الحمام بالنسبة إلى الصلاة في المسجد فافهم لكنه حيث كان منافيا لمقام التسليم الصرف الذي هو مقتضى قبول ولاية أمير المؤمنين عليه السلام على كمال ما ينبغي لأن مقتضى كمال التسليم الارتضاء بكل ما يرضاه الحبيب من غير تعرض له في ذلك كما قال الشاعر:

اعــدم وجــودك لا تشهد له أثرا
وذره يهــدمه طــورا ويبنـيــه

عاتبه الله في ذلك ليثمر له الندم والاستغفار فينال بذلك أعلى درجات المحبة بنسبة مقامه، وسماه الله عصيانا لأنه قسم منه بيد أنه ليس بعصيان مخرج عن حد العصمة بل من قبيل ما للأولى تركه، فإنه وإن كان ناشئا من حب الله ولكن التسليم المحض وعدم الاعتبار والالتفات حتى إلى نفس المحبة أولى منه، وهو معنى ما ورد أن المحبة حجاب بين المحب والمحبوب لأن النظر إليها نوع التفات إلى جهة الإنية فافهم. وكذلك يونس النبي فإنه إنما غضب على قومه واستنزل العذاب لأنه لم يطق أن يرى الله تعالى يعصى في أرضه فكان غضبه لله ولكنه كان منافيا لمقام الفناء في الله الذي هو معنى الاستغراق في ولاية أمير المؤمنين ﷺ وطاعته لكونه وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء وبابه الذي منه يؤتى إذ كان مقتضى الأدب والتسليم أن يصبر ويتأنى حيث أمره الله سبحانه بذلك ولا يستعجل في استنزال العذاب فكان بذلك مستحقا للعتاب فحبسه الله تعالى في بطن الحوت إلى أن استشعر بذلك ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[1] فأقر بالتوحيد الصرف ونفي جهة الإنية بالكلية وأنه ظلم جهة الفطرة الإلهية في عدم إعطائها ما تقتضيه من الفناء الصرف والعبودية المحضة لولي الله على الإطلاق فلما أقر بذلك وهو توسله بمحمد وآله ﷺ كما ورد في الأخبار استجاب الله له ونجاه من الغم بأن أظهر له وليه الذي أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه وجعله

---

(١) الأنبياء ٨٧.

مع كل الأنبياء سرا فأخذ بيده وألقاه إلى ساحل البحر وتاب عليه لأنه هو التواب الرحيم لا يخيب سائله ولا يرد عائله.

ومن هذا القول جميع ما صدر عن الأنبياء من ترك الأولى الذي عبر عنه في أخبار بالتوقف في ولاية أمير المؤمنين أو القائم الحق عجل الله فرجه أو آل محمد صلى الله عليه وآله عموما فخذه قليلا من كثير وكثيرا من الناس لما خفيت عليهم هذه الدقائق لم يتيسر لهم حل هذه الإشكالات فصاروا بين صامت عن جهل وناطق بما لا يفهم، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

عظمة يوم الغدير

إقبال الأعمال رضي الدين بن طاووس رحمه الله عن كتاب النشر والطي بإسناده عن الرضا عليه السلام قال: (إذا كان يوم القيامة زفت أربعة أيام إلى الله كما تزف العروس إلى خدرها، قيل: ما هذه الأيام؟، قال: يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة ويوم الغدير، وإن يوم الغدير بين الأضحى والفطر والجمعة كالقمر بين الكواكب، وهو اليوم الذي نجا فيه إبراهيم الخليل من النار فصامه شكرا لله، وهو اليوم الذي أكمل الله به الدين في إقامة النبي صلى الله عليه وآله عليا أمير المؤمنين علما وأبان فضيلته ووصايته فصام ذلك اليوم، وإنه ليوم الكمال ويوم مرغمة الشيطان، ويوم تقبل أعمال الشيعة ومحبي آل محمد، وهو اليوم الذي يعمد الله فيه إلى ما عمله المخالفون فيجعله هباء منثورا، وهو اليوم الذي يأمر جبرئيل عليه السلام أن ينصب كرسي كرامة الله بإزاء بيت المعمور ويصعده جبرئيل عليه السلام وتجتمع إليه الملائكة من جميع السماوات ويثنون على محمد

ويستغفرون لشيعة أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ومحبيهم من ولد آدم عليه السلام، وهو اليوم الذي يأمر الله فيه الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن محبي أهل البيت وشيعتهم ثلاثة أيام من يوم الغدير ولا يكتبون عليهم شيئا من خطاياهم كرامة لمحمد وعلي والأئمة، وهو اليوم الذي جعله الله لمحمد وآله وذوي رحمته، وهو اليوم الذي يزيد الله في حال من عبد فيه ووسع على عياله ونفسه وإخوانه ويعتقه الله من النار، وهو اليوم الذي يجعل الله فيه سعي الشيعة مشكورا وذنبهم مغفورا وعملهم مقبولا، وهو يوم تنفيس الكرب ويوم تحطيط الوزر ويوم الحباء والعطية ويوم نشر العلم ويوم البشارة والعيد الأكبر ويوم يستجاب فيه الدعاء ويوم الموقف العظيم ويوم لبس الثياب ونزع السواد ويوم الشرط المشروط ويوم نفي الهموم ويوم الصفح عن مذنبي شيعة أمير المؤمنين، وهو يوم السبقة ويوم إكثار الصلاة على محمد وآل محمد ويوم الرضا ويوم عيد أهل بيت محمد ويوم قبول الأعمال ويوم طلب الزيادة ويوم استراحة المؤمنين ويوم المتاجرة ويوم التودد ويوم الوصول إلى رحمة الله ويوم التزكية ويوم ترك الكبائر والذنوب ويوم العبادة ويوم تفطير الصائمين فمن فطر فيه صائما مؤمنا كان كمن أطعم فئاما وفئاما إلى أن عد عشرا ثم قال أوتدري ما الفئام قال لا قال مائة ألف، وهو يوم التهنية يهني بعضكم بعضا فإذا لقي المؤمن أخاه يقول الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، وهو يوم التبسم في وجوه الناس من أهل الإيمان فمن تبسم في وجه أخيه يوم الغدير نظر الله إليه يوم القيامة بالرحمة وقضى له ألف حاجة وبنى له قصرا في الجنة من درة بيضاء ونضر وجهه، وهو يوم الزينة فمن تزين

ليوم الغدير غفر الله له كل خطيئة عملها صغيرة أو كبيرة وبعث الله إليه ملائكة يكتبون له الحسنات ويرفعون له الدرجات إلى قابل مثل ذلك اليوم فإن مات مات شهيدا وإن عاش عاش سعيدا ومن أطعم مؤمنا كان كمن أطعم جميع الأنبياء والصديقين ومن زار فيه مؤمنا أدخل الله قبره سبعين نورا ووسع في قبره ويزور قبره كل يوم سبعون ألف ملك ويبشرونه بالجنة، وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السماوات السبع فسبق إليها أهل السماء السابعة فزينها بالعرش[1] ثم سبق إليها أهل السماء الرابعة فزينها بالبيت المعمور ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا فزينها بالكواكب، ثم عرضها على الأرضين فسبقت مكة فزينها بالكعبة ثم سبقت إليها المدينة فزينها بالمصطفى محمد ﷺ ثم سبقت إليها الكوفة فزينها بأمير المؤمنين عليه السلام، وعرضها على الجبال فأول جبل أقر بذلك ثلاثة جبال جبل العقيق وجبل الفيروزج وجبل الياقوت فصارت هذه الجبال جباهن وأفضل الجواهر، ثم سبقت إليها جبال أخر فصارت معادن الذهب والفضة، وما لم يقر بذلك ولم يقبل صارت لا تنبت شيئا، وعرضت في ذلك اليوم على المياه فما قبل منها صار عذبا وما أنكر صار ملحا أجاجا، وعرضها في ذلك اليوم على النبات فما قبله صار حلوا طيبا وما لم يقبل صار مرا، ثم عرضها في ذلك اليوم على الطير فما قبلها صار فصيحا مصوتا وما أنكرها صار أخرس مثل اللكن، ومثل المؤمنين في قبولهم ولاء أمير المؤمنين في يوم غدير خم كمثل الملائكة في سجودهم لآدم، ومثل من أبى ولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير مثل إبليس وفي هذا اليوم أنزلت هذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ وما بعث الله نبيا إلا وكان يوم بعثه

مثل يوم الغدير عنده وعرف حرمته إذ نصب لأمته وصيا وخليفة من بعده في ذلك اليوم)[1].

تحقيق لطيف في رفع القلم عن المحبين

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب قوله ﷺ (يأمر الله الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن محبي أهل البيت..ألخ) قد صارت هذه الفقرة مطرحا بين الناس فأولها بعضهم بتأويلات عنيفة من قبل استبعادهم لظاهرها وأنا لم أعرف إلى الآن وجه الإشكال فيها أنه ما ضرورة أنه لا فرق بين عدم كتابة الخطايا رأسا وبين العفو عنها بعد الكتابة مع أن الشق الثاني مما لم يستوحش منه أحد فإنهم يمرون على الآيات والأخبار الواردة متواترة في هذا المعنى كقوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[2] وقوله ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾[3] وقد عرفت من مداليل الأخبار أن المراد بذلك ذنوب الشيعة وحديث (من بكى على الحسين ﷺ حتى خرج من عينيه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر) وأمثال ذلك من الأخبار في خصوص أعمال مخصوصة من أعمال البر فإنها أكثر من أن تحصى كثرة فإنهم يمرون عليها ولا يستشكلون في شيء منها أبدا مع أن الشقين يسقيان بماء واحد. نعم ربما يتوهم أن مؤدى الحديث الترخيص في ارتكاب المعاصي وليس كما توهم لأنه ﷺ إنما قال الخطايا ولا

---

(١) إقبال الأعمال ج٢ ص٢٦٠، مسند الإمام الرضا -عليه السلام- ج٢ ص١٧.

(٢) النساء ٤٨.

(٣) الفتح ٢

ريب إن الخطيئة ما يشوبه نوع ذهول أو تساهل في حفظ النفس عنها وليست كالعصيان الصادر عن التعمد المحض وإن كان المكلف غير معذور في ذلك الذهول والتساهل فليس هذا ترخيصا في ارتكاب المناهي كما فهمه الجهال فصار منشأ لاستشكالهم وتمسك به أصحاب الترخص وعبيد الأعذار فجعلوا يتعمدون الملاهي فيه اتكالا على الحديث المذكور وزاد في علة خبطهم في ذلك ترجمة مولانا المجلسي ﷺ للحديث في كتابه زاد المعاد بما هو خارج عن لفظ الخبر فإنه قال فيه بما هذا لفظه (وإين روزي أست كه أمر ميكند حق تعالى ملائكة نويسند كان أعمال راكه قلم بردارند أزمحبان أهل بيت وشيعيان إيشان تاسه روز أز رو غدير وننويسند هيج خطا وكناه إيشان را) إلى آخر كلامه فإنه لم يقتصر في الترجمة على لفظ الخطأ كما هو لفظ الحديث الشريف بل زاد عليه لفظ (كناه) توضيحا وهو أعم من الخطأ فزعم من لم يراجع أصل متن الخبر أنه مذكور فيه فزاد في خطئهم في ذلك وبالجملة الخطيئة لا تقاس لسائر المعاصي الناشئة عن التعمد والمشاقة.

وإن أردت معرفة الفرق بين الأمرين فانظر في قول سيد الساجدين روحي له الفداء في دعاء سحر رمضان الطويل فإنه ﷺ قال فيه (إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخف، ولا لعقوبتك متعرض، ولا لوعيدك متهاون، ولكن خطيئة عرضت وسولت لي نفسي وغلبني هواي، وأعانني عليها شقوتي، وغرني سترك المرخى علي)[1] الدعاء، فانظر كيف اعتذر ﷺ عن المعصية بكونها خطيئة صدرت لا عن استخفاف بأمر الله أو لتعرض لعقوبته أو تهاون لوعيده.

---

(١) إقبال الأعمال ج ١ ص ١٦٦

وبالجملة إن الخطيئة في الحقيقة بمعنى العثرة ولذا ربما يؤتى في العفو عنها بلفظ الإقالة كما في الدعاء المذكور أيضا حيث قال ﷺ (أنا الصغير الذي ربيته.. إلى أن قال: والخاطئ الذي أقلته)[1] الدعاء، فظهر أن مؤدى الحديث ليس ترخيصا في المناهي والتعمد على المعصية كما فهمه القاصرون فهو على ظاهره من غير إشكال وإنما الإشكال في أفهام الناظرين فيه بغير تأمل حيث زعموا أن المراد به رفع القلم عن العباد والإذن لهم فيما يشاؤون من المعاصي الموبقة - تعالى الله عن ذلك - فدعا هذا الزعم بعضهم إلى تأويله بوجوه بعيدة وآخرين بالتجرئ على ارتكاب الموبقات عن تجاسر وتعمد وكلا الفريقين بمعزل عن فهم مراد المعصوم عصمنا الله وإخواننا من الخطأ والخطل في القول والعمل.

تحقيق آخر في عرض ولايتهم على الجبال و... إلخ.

ثم إن بعض الناس استشكلوا في هذا الحديث وما في معناه من الأخبار من جهة أخرى وهي عرض الولاية على الأرضين والجبال والمياه والنبات والحيوان وقبول بعض منها لها وإنكار بعض آخر من قبيل أنها فاقدة للعقل والشعور والتكليف فرع ذلك، ومن الواجب نقل كلام لبعض الأعلام في هذا الباب ثم التعرض للجواب عنه بما يقتضيه سبيل الصواب وإن كان مؤديا إلى التطويل والإطناب فإنه مفيد فوائد غير محصورة في فهم حقائق الأخبار وليس كسائر الكلمات الزائدة المذيل بها الأخبار المؤدية إلى ملال الطباع.

فنقول: قال بعض الأعلام السابقين في جواب من سأله فقال: ما

---

(١) إقبال الأعمال ج ١ ص ١٦٥

القول في الأخبار الواردة في عدة كتب من الأصول والفروع بمدح أجناس من الطير والبهائم والمأكولات والأرضين وذم أجناس منها كمدح الحمام والبلبل والقبرة والحجل والدراج وما شاكل ذلك من فصيحات الطير وذم الفواخت والرخم، وما يحكى من أن كل جنس من هذه الأجناس المحمودة تنطق بثناء على الله تعالى وعلى أوليائه ودعاء لهم ودعاء على أعدائهم، وأن كل جنس من هذه الأجناس المذمومة تنطق بضد ذلك من ذم الأولياء عليهم السلام، وكذم الجري وما شاكله من السمك وما نطق به الجري من أنه مسخ بجحده الولاية، وورود الآثار بتحريمه لذلك وكذم الدب والقرد والفيل وسائر المسوخ المحرمة وكذم البطيخة التي كسرها أمير المؤمنين عليه السلام فصادفها مرة فقال من النار وإلى النار ورمى بها من يده عليه السلام فصار من الموضع الذي سقطت فيه دخان وكذم الأرضين السبخة والقول بأنها جحدت الولاية أيضا وقد جاء في هذا المعنى ما يطول شرحه وظاهره مناف لما تدل العقول عليه من كون هذه الأجناس مفارقة لقبيل ما يجوز تكليفه ويسوغ أمره ونهيه، وفي هذه الأخبار التي أشرنا إليها أن بعض هذه الأجناس يعتقد الحق ويدين به وبعضها يخالفه وهذا كله مناف لظاهر ما العقلاء عليه ومنها ما يشهد أن لهذه الأجناس منطقا مفهوما وألفاظا تفيد أغراضا وأنها بمنزلة الأعجمي والعربي الذين لا يفهم أحدهما لغة صاحبه وإن شاهد ذلك من قول الله سبحانه فيما حكاه عن سليمان عليه السلام ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾[1] الآية وكلام النملة أيضا مما حكاه الله تعالى وكلام الهدهد

(١) النمل ١٦

واحتجاجه وفهمه وجوابه فليقم بذكر ما عنده مثابا إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق.

هذا صورة السؤال فأجاب ذلك العالم المسؤول عن ذلك بما هذا لفظه: اعلم أن المعول فيما يعتقد على ما تدل الأدلة عليه من نفي وإثبات فإذا دلت الأدلة على أمر من الأمور وجب أن يبنى كل وارد من الأخبار إذا كان ظاهره بخلافه عليه ونسوقه إليه ونطابق بينه وبينه ونخلي ظاهرا إن كان له ونشرطه إن كان مطلقا ونخصه إن كان عاما ونفصله إن كان مجملا ونوفق بينه وبين الأدلة من كل طريق اقتضى الموافقة وآل إلى المطابقة، وإذا كنا نفعل ذلك ولا نحتشمه في ظواهر القرآن المقطوع على صحته المعلوم وروده فكيف نتوقف عن ذلك في أخبار آحاد لا توجب علما ولا تثمر يقينا فمتى وردت عليك أخبار فاعرضها على هذه الجملة وابنها عليها وافعل فيها ما حكمت به الأدلة وأوجبته الحجج العقلية، وإن تعذر فبها بناء تأويل وتخريج وتنزيل فليس غير الإطراح لها وترك التصريح عليها ولو اقتصرنا على هذه الجملة لاكتفينا فيمن يتدبر ويتفكر.

وقد يجوز أن يكون المراد بذم هذه الأجناس من الطير أنها ناطقة بضد الثناء على الله وبذم أوليائه وبغض أصفيائه متخذيها ومرتبطيها وأن هؤلاء المقرين بمحبة هذه الأجناس واتخاذها هم الذين ينطقون بضد الثناء على الله تبارك وتعالى ويذمون أولياءه وأحباءه فأضاف النطق إلى هذه الأجناس وهو لمتخذيها أو مرتبطيها للتجاوز والتقارب على سبيل التجوز والاستعارة، كما أضاف الله تبارك وتعالى السؤال في القرآن إلى القرية وإنما هو لأهل القرية وكما قال تعالى ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها

عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا﴾[1] وفي هذا كله حذوف وقد أضيف في الظاهر الفعل إلى من هو في الحقيقة متعلق بغيره، والقول في مدح أجناس من الطير والوصف لها بأنها تنطق بالثناء على الله والمدح لأوليائه يجري على هذا المنهج الذي نهجناه.

فإن قيل : كيف يستحق مرتبط هذه الأجناس مدحا بارتباطها ومرتبط بعض آخر ذما بارتباطه حتى علقهم المدح والذم بذلك.

قلنا : ما جعلنا لارتباط هذه الأجناس حظا في استحقاق مرتبطها مدحا ولا ذما، وإنما قلنا إنه غير ممتنع أن تجري عادة المؤمنين الموالين لأولياء الله تعالى والمعادين لأعدائه بأن يألفوا ارتباط أجناس من الطير، وكذلك تجري عادة بعض أعداء الله تعالى باتخاذ بعض أجناس الطير فيكون متخذ بعضها ممدوحا لا من أجل اتخاذه لكن لما هو عليه من الاتخاذ الصحيح فيضاف المدح إلى هذه الأجناس وهو لمرتبطها والنطق بالتسبيح والدعاء الصحيح إليها وهو لمتخذها تجوزا واتساعا وكذلك القول في الذم المقابل للمدح.

فإن قيل فلم ينهى عن اتخاذ بعض هذه الأجناس إذا كان الذم لا يتعلق باتخاذها وإنما يتعلق ببعض متخذيها لكفرهم وضلالتهم؟ .

قلنا : يجوز أن يكون في اتخاذ هذه البهائم المنهي عن اتخاذها وارتباطها مفسدة وليس يقبح خلقها في الأصل لهذا الوجه لأنها خلقت لينتفع بها من سائر وجوه الانتفاع سوى الارتباط والاتخاذ الذي لا يمتنع تعلق المفسدة به، ويجوز أيضا أن يكون في اتخاذ هذه الأجناس المنهي عنها شؤم وطيرة فللعرب في ذلك مذهب معروف ويصح هذا النهي أيضا

---

(١) الطلاق ٨ - ٩

على مذهب من نفى الطيرة على التحقيق لأن الطيرة والتشؤم وإن كان لا تأثير لهما على التحقيق فإن النفوس تستشعر ذلك ويسبق إليها ما يجب على كل حال تجنبه والتوقي منه وعلى هذا يحتمل معنى قوله عليه السلام (لا يورد ذو عاهة على مصح) فأما تحريم السمك الجري وما أشبهه فغير ممتنع لشيء يتعلق بالمفسدة في تناوله كما نقول في سائر المحرمات.

فأما القول بأن الجري نطق بأنه مسخ لجحده الولاية فهو مما يضحك منه ويتعجب من قائله والملتفت إلى مثله فأما تحريم الدب والقرد والفيل فكتحريم كل محرم في الشريعة والوجه في التحريم لا يختلف. والقول بأنها ممسوخة إذا تكلفنا حملناها على أنها كانت على خلق حميدة ثم جعلت على هذه الصور الشينة على سبيل التغير عنها والزيادة عن الضد في الانتفاع بها لأن بعض الأحياء لا يجوز أن يكون غيره على الحقيقة والفرق بين كل حين معلوم ضرورة فكيف يجوز أن يكون حي حيا آخر غيره وإذا أريد بالمسخ هذا فهو باطل وإن أريد غيره نظرنا فيه، وأما البطيخة فقد يجوز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام لما ذاقها ونفر عن طعمها وزادت كراهة له قال (من النار إلى النار) أي هذا من طعام أهل النار وما يليق بعذاب أهل النار كما يقول أحدنا ذلك فيما يسوءه ويكرهه ويجوز أن يكون فوران الدخان عند الإلقاء لها على سبيل التصديق لقوله عليه السلام (من النار إلى النار) وإظهار معجز له.

وأما ذم الأرضين السبخة والقول بأنها جحدت الولاية فمتى لم يكن محمولا معناه على ما قدمناه من جحد أهل هذه الأرض وسكانها الولاية لم يكن معقولا ولا يجري ذلك مجرى قوله تعالى ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله﴾[1].

(١) الطلاق ٨.

وأما إضافة اعتقاد الحق إلى بعض البهائم واعتقاد الباطل والكفر إلى بعض آخر فما يخالفه العقول والضرورات لأن هذه البهائم غير عاقلة ولا كاملة ولا مكلفة فكيف تعتقد حقا أو باطلا وإذا ورد أثر في ظاهره شيء من هذه المحالات قلنا فيه إما اطراح أو تأول على المعنى الصحيح وقد نهجنا طريق التأويل وبينا كيف التوسل إليه.

فأما حكايته تبارك وتعالى عن سليمان ﷺ ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾[1]، الآية. فالمراد به أنه علم ما يفهم به ما تنطق به الطير وتتداعى في أصواتها وأغراضها ومقاصدها بما يقع منها من صياح على سبيل المعجزة لسليمان ﷺ.

وأما الحكاية عن النملة بأنها ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان﴾[2] فقد يجوز أن يكون المراد به أنه ظهر منها دلالة القول على هذا المعنى وأشعرت ما في النمل وخوفتهم من الضرر بالمقام وأن النجاة في الهرب إلى مساكنها فيكون إضافة القول إليه مجازا واستعارة كما قال الشاعر:

وشكى إلي بعيره وتحمحم

وكما قال الآخر:

وقالت له العينان سمعا وطاعة

ويجوز أن يكون وقع من النملة كلام أو حروف منظومة كما يتكلم أحدنا بتضمن المعاني المذكورة ويكون ذلك معجزة لسليمان ﷺ لأن الله تعالى سخر له الطير وأفهمه معاني أصواتها على سبيل المعجز له، وليس هذا بمنكر فإن النطق بمثل هذا الكلام المسموع منا لا يمتنع

---

(١) النمل ١٦

(٢) النمل ١٨

وقوعه ممن ليس بمكلف ولا كامل العقل. ألا ترى أن المجنون ومن لم يبلغ الكمال من الصبيان قد يتكلفون للأغراض وإن كان التكليف والكمال عنهم زائلين والقول فيما حكي عن الهدهد يجري على الوجهين الذين ذكرناهما في النملة فلا حاجة بنا إلى إعادتهما وأما حكايته أنه قال ﴿لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾[1]. فكيف يجوز أن يكون ذلك في الهدهد وهو غير مكلف ولا يستحق مثله العذاب؟

والجواب عنه: أن العذاب اسم الضرر الواقع وإن لم يكن مستحقا فليس يجري مجرى العقاب الذي لا يكون إلا جزاء على أمر تقدم فليس يمتنع أن يكون معنى ﴿لأعذبنه﴾ أي لأولمنه ويكون الله تعالى قد أباح الإيلام له كما أباحه الذبح له لضرب من المصلحة كما سخر له الطير يصرفها في منافعه وأغراضه وكل هذا لا ينكر في نبي مرسل تخرق له العادات وتظهر على يده المعجزات وإنما يشتبه على قوم يظنون أن هذه الحكايات يقتضي كون النملة والهدهد مكلفين وقد بينا أن الأمر بخلاف ذلك انتهى كلامه ﵀ تعالى.

أقول ومن الله الإعانة والتوفيق: قد عرفت في مقدمات الكتاب حال حجية العقول الناقصة وأنها ليست بحاكمة على الكتاب والسنة وإنما الكتاب والسنة هما الحاكمان عليها، فكلما حكم به الكتاب والسنة يجب على العقول اتباعه والتصديق به وإن لم تعرف وجهه وحقيقته على التحقيق إذ ليس كل أمر حق مما تدركه عقولنا الضعيفة، إذ كم من خبايا في زوايا قد قصرت عن معرفتها أحلام الحكماء البالغين فضلا

---

(١) النمل ٢١

عن غيرهم من القاصرين، نعم إذا حكمت جميع العقول على سبيل الاتفاق على إثبات شيء أو نفيه فهو حق ولا يكون مثل ذلك الأمر مما يكون فيه الكتاب والسنة مخالفين للعقول وإن ورد فيهما ما ظاهره المخالفة فلا بد أن يكون فيهما ما ينفيه ويشير إلى وجه التأويل فيه لأن الكتاب والسنة إنما نصبا للهداية لا للإضلال والإغراء بالجهل وهما معصومان من الخطأ والسهو والغفلة.

وأما الأمور النظرية التي ربما تختلف فيها العقول باختلاف أنظارها وترتيبها للقياسات النظرية فالواجب فيها الرجوع إلى محكمات الكتاب والسنة وجعلهما حاكمين بين العقول ليميزا بين المصيب منها والمخطئ ببيان لائح لا يحتمل التأويل والاشتباه فقول الفاضل المذكور أن المعول فيما يعتقد على الأدلة العقلية إن أراد بها ما اتفقت العقول عليه بحيث قد صار ضروريا عندها فهو حق ولكن لا بد حينئذ من موافقة محكم الكتاب والسنة لها فحينئذ يرد متشابهها إلى ذلك المحكم المجمع على تأويله وإن أراد بها الأدلة النظرية أيضا فهو على إطلاقه غير سديد بجواز وقوع الخطأ في المقدمات أو ترتب التسامح عليها فلابد حينئذ من ميزان يعرف به الصحيح من السقيم وليس إلا كلام الله وكلام حججه المبعوثين من عنده فما وافقهما فهو الحق وما خالفهما فهو الباطل وبالجملة إذا خالف الدليل محكم الكتاب والسنة فهو يكشف عن وقوع خلل فيه فيسقط عن الحقيقة فجعل حكم العقل هو الميزان في تمييز الحق من الباطل خروج عن قانون الصواب، بل الكتاب والسنة هما الميزانان القويان في ذلك على الإطلاق وكيف لا وقد أخبر النبي المبعوث من عند الله أنه ترك فينا ثقلين من تمسك بهما لن يضل أبدا

كتاب الله وعترته ولو كان للعقول الناقصة صلاحية ذلك لصرح به في مقام الإرشاد وتسهيل الأمر على المكلفين وحيث لم يصرح بذلك في مقام الحاجة بل صرح أهل بيته المخبرون عنه بخلافه حيث قالوا (إن دين الله لا يصاب بالعقول) عرفنا أنه لا يصلح للحجية بنفسه بل يجب لها اتباع الكتاب والعترة والاستناد فيما تريد معرفته من الأمور العلمية والعملية إليهما والذي يشذ عن ذلك فليس على شيء لأنا ربما نجد في الكتاب والسنة ما لا تقبله العقول الناقصة بل تحكم على خلافه لعدم قدرتها على العثور على سره ومأخذه ومثل ذلك كثير فيهما جدا، منها وجوب الدية على العاقلة في قتل الخطأ فلو كان المدار على حكم العقول الناقصة لوجب علينا طرح تلك الأحكام أو تأويلها بما لا يخالف حكم العقول وهو كما ترى.

إن قيل : إن الأحكام العملية مبنية على حكم ومصالح خفية ولا طريق للعقول إلى معرفة كثير منها فيجب لها قبولها على طريق التعبد ولا كلام لنا في ذلك وإنما الكلام في الأمور الاعتقادية.

قلنا : أي فرق بين الأمور العملية والاعتقادية وما وجه التخصيص في ذلك فإنا لم نجد إلى الآن من يدعي هذا الفرق دليلا يصلح للتخصيص سوى أمور زيفناها في أوائل الكتاب على إنا إنما ذكرنا ما ذكرنا على طريق التمثيل وإلا ففي الأمور الاعتقادية أيضا ما يجري هذا المجرى بل فيها أكثر ، منها وجوب عود الأجسام في المعاد فقد حكم الكتاب والسنة بذلك وصرح القوم بأن العقل حاكم على عدم الوجوب لعدم كونها ذوات شعور وإحساس.

فإن قيل : إنما حكم العقل بذلك لأنه لم يعثر على علته ومأخذه وإلا

لحكم به كما حكم الشرع.

قلنا : الآن جئت بالحق فاثبت عليه ولكن بعد إبطال جميع ما أتعبت فيه نفسك من نصب الميزان وذلك لأنا إذا جوزنا أن يكون في الكتاب والسنة ما لا يهتدي إلى سره ومأخذه عقول الناس فتحكم في بادي النظر على خلافه وهي مخطئة في ذلك الحكم فقد بطل مرجعية العقل وتحكيمه في مداليل الآيات والأخبار وإذا ثبت ذلك فمن الجائز أن يكون ما عنونت من المسألة من جملة تلك الأمور كما هو كذلك. فبطل قولك إنه متى ما وردت عليك أخبار فاعرضها على هذه الجملة وابنها عليها وافعل ما فيها ما حكمت به الأدلة وأوجبته الحجج العقلية وإن تعذر فيها بناء تأويل وتخريج وتنزيل فليس غير الاطراح لها وترك التصريح عليها،هي. فإن ما لا يقدر على معرفة حقائق الأشياء كما هي ويجوز له الخطأ فيما يحكم به لنقصه وقصوره وعدم عثوره على كثير من الدقائق الخفية التي لا يعثر عليها إلا الله وحججه العالمون بالله بما دخل في حيز أمر كن لا يصلح أن يكون حكما يرجع إليه في تحقيق مداليل الكتاب وسنن الأطياب هذا وما البعد بين هذا القول وقول النبي ﷺ (إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه)،هي. فإنه ﷺ أمرنا برد جميع الأمور إلى كتاب الله وجعل ميزان الحق والباطل موافقة الكتاب ومخالفته وهذا الفاضل يأمرنا برد الكتاب والأخبار إلى عقولنا الناقصة والعمل فيها بما حكمت به من تخصيص عامها وتقييد مطلقها وتفصيل مجملها والطرح لها إذا لم يكن التوفيق بينها وبين ما دلت عليه الحكم لله العلي الكبير.

ثم إن هذا على تقدير تسليم مخالفة ما نحن فيه من المسألة لحكم العقول الناقصة فكيف وهو في حيز المنع فإن لقائل أن يقول يا هذا أخبرنا أي دليل عقلي قام على امتناع تكليف الحيوان والنبات والجماد.

فإن قلت : الدليل فقد هذه الأجناس للشعور والإدراك ، والتكليف فرع ذلك.

قلنا : إن أردت بالشعور والإدراك شعور الإنسان وإدراكه فليس مناط التكليف ذلك وإلا لكانت الجن أيضا غير مكلفين لأنهم أدنى رتبة من الإنسان وعقولهم أضعف من عقول الإنس ، على أنا إذا قسنا مداركنا إلى مدارك الأنبياء والأوصياء كانت مداركنا أنقص من مدارك الحيوان العجم بالقياس إلينا فيجب أن يكون التكليف مخصوصا للأنبياء والأوصياء دون سائر الخلق. وإن أردت به مطلق الشعور الذي هو مناط التكليف في كل شيء بحسبه، فنقول أخبرنا من أخبرك بأنها فاقدة لذلك فإن الحكم على العدم الواقعي يحتاج إلى الدليل .

فإن قلت : أي دليل أعظم من الحس فإنا نجد تلك الأجناس لا شعور لها ولا إحساس أما الجماد والنبات فغنيان عن الإثبات وأما الحيوان فلفقدانها للنطق والتعقل للأمور الكلية كما ثبت في الحكمة النظرية.

قلنا : أما قولك في الحيوان أنها فاقدة للنطق والتعقل للأمور الكلية ففيه.

أولا: أن الآثار الصادرة من الحيوانات العجم والطيور وحيلهم في أمور معاشهم ومعاشراتهم تخبر من له عينان أن الواقع على خلاف ما زعمت بل تأمل في الغرائب الصادرة عن بعض الأجناس تجدها أبصر ببعض الدقائق من هؤلاء الأناسي المتعارفة ومن أنكر ما ذكرنا فهو

غير قابل للخطاب فإذا وجدنا منها ذلك ورجعنا إلى الكتاب والسنة فوجدناهما مصدقين لما أدى إليه وجداننا من قوله تعالى في الهدهد والنملة ومكالماتها العجيبة وتهديد سليمان للأول وأمره بالذهاب بالكتاب إلى بلقيس وكذا وسائر الطير في قوله تعالى ﴿والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾[1] وحكايته عن سليمان ﴿علمنا منطق الطير﴾[2] وقوله﴿وإذا الوحوش حشرت﴾[3]. ومن الأخبار الواردة في هذا المعنى المتواترة معنى من عرض الولاية عليهم والتجائهم إلى النبي وأمير المؤمنين وسائر الأئمة وإظهار بثهم وشكواهم لهم وإخبارهم عليهم السلام عن أذكارهم وأقوالهم وكون الطير لا تصاد إلا بتركها الذكر وحديث عفير حمار النبي ﷺ ونقله للحديث المعنعن عن أبائه عن نوح النبي عليه السلام وصياح ذي الجناح وقوله في صهيله لما قتل الحسين عليه السلام وروحي له الفداء (الظليمة الظليمة لأمة قتلت ابن بنت نبيها) وما يجري هذه المجاري من الأخبار المتجاوزة حد التواتر. فإذا كان الحال على ذلك فكيف يسع لنا ترك كل ذلك والرجوع إلى قول من لا يوجد لقوله دليل لا كثير ولا قليل ثم لا نكتفي بذلك حتى نقع في الآيات والأخبار ونأولها بتأويلات ركيكة تضحك منها الطيور في الأشجار والدواب في الأوكار فضلا عن أرباب العقول السليمة والطباع المستقيمة.

وثانيا : نتنزل عن ذلك ونسلم أنها فاقدة لإدراك الكليات ولكن نقول أي دليل دل على أن شرط تعلق التكليف على الإطلاق إدراك

---

(١) النور .٤١

(٢) النور ٤١

(٣) النمل ١٦

المكلف للكليات وأي عقل حكم بذلك فإن تكليف كل مدرك يكون بحسب إدراكه إن كان كليا فكلي وإن كان جزئيا فجزئي، فحينئذ أي امتناع في أن يكون الله تعالى قد وضع للحيوان تكاليف بقدر إحساسه وإدراكه الجزئي فإن من يقول بكونها مكلفة لا يقول أن تكاليفها من نوع تكاليف الإنسان حتى يقال إنها فاقدة لإدراك الأمور الكلية ولا يسع أحد أن يقول إن الحيوان فاقد لقوة الفاكرة والحافظة والمتخيلة والواهمة والحس المشترك فإن آثار تلك القوى محسوسة فيها لا ينكرها إلا من اختلط عقله وأما الجماد والنبات فنقول غاية ما يمكن لك أن تقول فيها هو أنك لا تحس لها شعورا وإحساسك ليس بشرط في وجود جميع الأشياء إذ كم من أمور خفية أنت لا تدركها بحسك ومع ذلك تصرفها فإنك لا ترى السماوات والجن ولا الملائكة ولا الحيوانات الصغار المنبثة في الجو ولا غير ذلك من كثير من الأمور الجسمانية التي سبيلها الحس مع أن الشعور والإدراك ليس من الأمور المحسوسة ولا يشترط في إدراك كل شيء الحركة الحيوانية أو الأذن والعين والأنف وأشباه تلك من الجوارح حتى إذا لم نجدها في شيء نحكم بفقدانه للشعور والإدراك ومع ذلك لم يقم دليل يدل على امتناع وجود الشعور فيها حتى نحكم بمقتضاه، فدعوى أن الأدلة العقلية قامت على فقدان تلك الأجناس للشعور الذي هو مناط التكليف كما زعم هذا الفاضل خراف محض فإنا لم نجد إلى الآن منها عينا ولا أثرا ومن يدعي وجود ذلك فليأتنا بواحد منها حتى ننظر فيه على أن الدليل المدعى إن كان من الضروريات العقلية فهو مفقود قطعا لأن سبيل الضروري أن تكون جميع العقول متفقة عليه كقبح الظلم

وحسن الإحسان فحينئذ يجب أن لا يخفى على أحد ولا يختلف فيه اثنان وأنى للمدعي بذلك.

وإن كان من الأدلة النظرية التي يتطرق إليها احتمال الخلل فقد عرفت أن الميزان في معرفة صحته وسقمه الكتاب والسنة وهما متفقان من غير معارض على ثبوت الشعور لتلك الأشياء فإن خالقها العالم بما خلق أخبر في كتابه المنزل على نبيه المرسل أن لها شعورا بقوله ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[1] وقوله ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾[2] وقوله ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان وقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾[3] وقوله ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾[4] مع قوله ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات الواردة على هذا السياق. وكذا نبيه المرسل وأوصياؤه القائمون مقامه فإنهم كلهم أخبروا عن ذلك بأنحاء متنوعة وطريق مؤدية إلى القطع من أذكار النبات والجماد والرياح والجدران وعرض التوحيد والنبوة والولاية عليها وقبول بعض وامتناع بعض وبكائها على الحسين عليه السلام وأشباه ذلك، فإنا لو أردنا إيراد كلما ورد في هذا المساق من الأخبار لاحتجنا إلى تأليف كتاب كبير في ذلك، والعجب من الفاضل المذكور أنه عد تلك الأخبار من الآحاد التي لا توجب علما ولا تثمر يقينا،

---

(١) الإسراء ٤٤

(٢) الحشر ١

(٣) فصلت ١١

(٤) الأنعام ٣٨

(٥) فاطر ٢٤

ولعله ﷺ اعتمد منها بما هو مشهور في الألسنة ولم يسترح بمزيد نظره في الباقي حين ورود السؤال ولا قبله ولذا قال ما قال.

وعلى أي حال فإذا دل الكتاب والسنة على أمر من الأمور ولم تقم ضرورة شرعية أو عقلية على خلافه فكيف يجوز لنا صرف كل ذلك عن الظاهر المتبادر منه وحملها على محامل بعيدة من غير استناد إلى دليل يدل عليها سوى الاستبعاد المحض هذا مع ما في وجوه التأويل من الحزازة والركاكة فإن قوله ﷺ أن المراد بنسبة هذه الأمور إلى أجناس الدواب والطيور حال متخذيها ومرتبطيها مضافا إلى ما فيه من استمجاج الطباع له خارج عن قانون العربية أو ليس كلها له علاقة التجاوز يجوز التجوز والاتساع فيه وإلا لجاز أن يقال إن ثوب زيد مثلا كافر ويراد به صاحبه واخبرني الفرس أو البعير بكذا ويراد به راكبها وجاءني رداء فلان أو عمامته ويراد به لابسها مع أن ذلك كله خارج عن قانون كلمات العرب ومحاوراتهم والوجه في ذلك أن المجازات أيضا لها قانون كلي ووضع نوعي أو صنفي يقتصر فيها بما سمع نوعه أو صنفه من أهل اللسان وقد سمع منهم نسبة أمر إلى القرية وما في معناها وإرادة حال أهلها منه على سبيل الاتساع ولكنه لا يفتح لنا سبيل الاتساع في الطيور والدواب وحال مرتبطيها لإشراك الأمرين في علاقة التجاوز أو غير ذلك من العلائق وإلا لكان باب التجوز مما لا يقف على حد إذ ما من شيء إلا وله بالنسبة إلى ما عداه علاقة من العلائق المجازية والالتزام بذلك يؤدي إلى أمور تضحك منها الثكلى. ومنها تأويله لحديث البطيخ بما سمعت فإنه يكشف عن عدم وقوف قائله على آخر الحديث من عرض الولاية على الأثمار وإلا

يعرف أن هذا التأويل لا يلائم ذلك التفصيل.

وأعجب من ذلك كله وأعجب قوله (فأما القول بأن الجري نطق بأنه مسخ لجحده الولاية) فهو مما يضحك منه ويتعجب من قائله والملتفت إلى مثله إلخ. فإن هذا القول (مما يضحك منه ويتعجب من قائله) فإن إنكاره هذا إن كان من جهة نطق الجري يتوهم أنه ممتنع فالواجب عليه حينئذ إنكار جميع المعجزات الصادرة عن أصحاب الوحي من نطق الحصى في كف النبي ﷺ ونطق الحيوانات من الذئب والبعير وغيرهما في عهده وشهادتها له بالنبوة إلى غير ذلك من المعجزات المتفق عليها بين أهل الإسلام فإن الجري إذا لم يمكن نطقه بأمر أمير المؤمنين عليه السلام لم يمكن نطق الحصى والحيوانات أيضا بأمر النبي ﷺ فعلى الإسلام سلام، وإن كان من جهة جحده الولاية بناء منه على ما قرر سابقا عن كون الحيوانات العجم خارجين عن حيز التكليف فقد عرفت ما فيه على أن هذا ليس من ذاك لأن مبنى خبر الجري على أنه كان آدميا فأنكر الولاية فمسخ بإنكاره جريا فليس هذا من باب تكليف الحيوان وإن كان من جهة امتناع المسخ كما يومي إليه كلامه فيما بعد ذلك فالحكم لله العلي الكبير وكأنه ﷺ لم يقرأ قول الله تعالى في أصحاب السبت ﴿فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾[1] وقوله فيهم أيضا ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾[2] وقوله في تهديد الكفار ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون﴾[3]

---

(١) الأعراف ١٦٦

(٢) البقرة ٦٥.

(٣) يس ٦٧.

أترى أن الله هدد الكفار بما لا يقدر عليه تعالى الله عن ذلك وكذا ما ورد من الأخبار في قضية أصحاب السبت وغيرهم من طوائف شتى عذبهم الله بالمسخ وكذا الأخبار المتواترة معنى الواردة في حشر المجرمين يوم القيامة بصور شتى من صور الحيوانات وكذا قول أمير المؤمنين عليه السلام للرجل اخسأ وانقلابه بذلك كلبا أو أنه قرأ كل ذلك وأولها بناء على أصله من كون ذلك غير معقول كما يشير إليه قوله فيما بعد لأن بعض الأحياء لا يجوز أن يكون غيره على الحقيقة والفرق بين كل حيين معلوم ضرورة فكيف يجوز أن يكون حي حيا آخر غيره وإذا أريد بالمسخ هذا فهو باطل ..إلخ.

وعليه فنقول: يا هذا إن الكتاب والسنة القطعية المتواترة معنى إذا صرحا بوقوع المسخ ولم يرد فيهما ما يوهم أنها على غير ظاهرها فضلا عن التصريح به ولم نجد من الأمة إلى الآن من أنكر نوع ذلك فكيف يسع أحدا أن يقابله بالإنكار أو يأوله بتأويل غير ظاهر بمجرد التمسك بما ذكرت من عدم جواز انقلاب حي حيا آخر أليس الله الذي خلق الحي لا من شيء بقادر على أن يقلبه ويجعله حيا آخر والله تعالى يقول ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾[1] أفليس هذا القلب من جملة الأشياء أم هو لاحق بعالم الوجود فلا يمكن تغيره عما هو عليه أم قدرة الله تعالى ليست قدرة مطلقة فاختر أيها شئت حتى نتكلم فيه على أنك قد اختلط عليك الأمر في فهم معنى المسخ الذي أثبتته الشريعة الحقة فزعمت كما يظهر من استدلالك أن المراد به نحو ما تقوله المسوخية من ذلك وهو خبط وغلط.

(١) البقرة ٢٠.

بيانه أن أصحاب التناسخ ذهبوا إلى أن الإنسان إذا مات وخلع البدن الذي كان فيه دخلت روحه في بدن آخر من أبدان الحيوانات ويعيش فيه مدة ثم يموت ويخلعه ويدخل في بدن آخر وهكذا تتقلب في الأبدان إلى أن تستكمل وتلحق بالوجود الحق وقد أبطل هذا المذهب الحكماء الناسكون والعلماء الراسخون بأدلة وبراهين عديدة منها أدلة المعاد وعود المكلفين بعد الموت إلى عالم آخر غير هذا العالم.

ومنها: إن روح كل شيء لا يصلح إلا لبدنه المخصوص به لما برهن عليه في محله من أن بدن كل شيء من تنزل روحه ويعتبر آخر النفس والبدن وجود واحد ممتد هو تمام ما به الشيء هو غايته أنه جمد منه ما بعد من المبدأ وهو طرفه الأسفل المسمى بالبدن وبقي الطرف الأعلى على حالة ظهوره من المبدأ من الذوبان وذلك هو النفس فزيد مثلا إنما هو زيد بنفسه وبدنه المخصوصين به والماهية لا تتبعض وإلا لبطل البقاء للشيء المتبعض فنفس زيد إنما كانت نفس زيد لا عمرو لارتباطها ببدن زيد لا ببدن عمرو كما أن بدن زيد إنما كان بدن زيد لا بدن عمرو لارتباط نفس زيد به لا نفس عمرو ولأن لكل من النفسين حدودا مميزة لا تنشأ من النفس المحدودة بتلك الحدود إلا ذلك البدن الذي هي مخصوصة به وكذا لكل من البدنين حدود لا يقتضي البدن المحدود بتلك الحدود إلا بتلك النفس المخصوصة به، فافهم وتدبر فإنه دقيق جدا ولعل إلى هذا المعنى أشار الفاضل المذكور بقوله أن الفرق بين كل حيين معلوم ضرورة فكيف يجوز أن يكون حي حيا آخر غيره وهو كلام صحيح لكن فيه شيء وهو أن هذا الامتناع امتناع حكمة لا امتناع قدرة فإن قدرة الله أعظم من ذلك وأعظم وهو

في نفسه بالنسبة إلى قدرة القادر شيء ممكن لكن حكمة الله لا تقتضي وقوع ذلك لمنافاته للنظام الحكمي فافهم.

ثانيا هذا مذهب المسوخية ودليل بطلانه وأما المسخ الذي ثبت من الشريعة فهو غير هذا النحو وهو أن بدن كل شيء بدنه الواحد على كل حال كما أن نفسه نفسه على كل حال فكما لا تتقلب نفس زيد بنفس عمرو فكذا لا ينقلب بدنه ببدنه ولكن من الممكن أن تنقلب صورة بدنه عما هو عليه بانقلاب صورة نفسه عما هي عليه كانت فينقل من الصورة الإنسانية مثلا إلى الصورة الحيوانية، والسر في ذلك أن الله الحكيم تعالى خلق نوع الإنسان على الصورة الإنسانية بظاهر إجابتهم وقبولهم لتلك الصورة عند سماع كلمة كن وحيث إنه تعالى إنما خلقهم ليوصلهم إلى غاية اجتهاد أدائها منهم وهو إيصالهم إلى السعادة الأبدية وذلك لا يمكن إلا بأخذهم لما يوصلهم إلى تلك الغاية من العقائد والأخلاق والأعمال وتركهم لما يعيقهم عن ذلك من أضداد ما ذكر ولا يتحقق ذلك منهم إلا بكونهم مختارين في الأخذ والترك لأن عمل المجبور كلا عمل ، جعل فيهم حيث خلقهم نفسا ناطقة إنسانية تبعثهم إلى الاعتقادات الحقة والمسلكات الحسنة والأفعال المرغوبة المستحسنة وجعل في مقابل تلك النفس نفسا أخرى تدعوهم إلى خلاف ما تدعو إليه النفس الناطقة من الأمور المذكورة وهي النفس الأمارة بالسوء وخلق لتلك النفسين مركبا هو النفس الحيوانية التي بها حياة البدن وحركته وإحساسه وجعل تلك النفس الحيوانية قابلة لاستعمال كلتا النفسين الأولين لها في حوائجهما على سبيل التعاقب وجعل لذلك المركب مستقرا هو مظهر آثاره وكرسي استقراره

بواسطة النفس النامية النباتية وهو البدن فالبدن كالمملكة للملك والقلب الصنوبري فيه بمنزلة السرير له والروح النباتية بمنزلة المعمار الباني للمملكة والحافظ لها من الخراب والحيوانية مركبه الذي به يسير في المملكة إما للإصلاح إن كان الراكب هو الناطقة وإما للإفساد إن كان الراكب هو الأمارة والناطقة.

والأمارة بمنزلة ملكين متنازعين في المملكة فلما خلق الله الإنسان على ما ذكر كلفه بلسان الداعين إليه بما فيه نجاته من العقائد والأخلاق والأعمال ونهاه عن أضدادها بعدما جعل كلتا النفسين مسخرتين للإنسان المكلف يبعث كلا منهما إلى ما يريد من حوائجه تحقيقا للاختيار فإن اختار الإنسان المختار جانب السعادة وقام يستعمل النفس الناطقة ويعمل بمقتضى أفعالها ودواعيها من الأمور المرضية أعانه الله تعالى بمقتضى سؤاله بلسان استعداده وعمله ووكل به ملائكة يعينونه على ما يريد وهو معنى التوفيق فتغلب النفس الناطقة باستعمال صاحبها لها ومعونة الملائكة الموكلين بإعانتها على النفس الأمارة ويعزلها عن التصرف في مملكة البدن والاستعمال للحيوانية وقواها في حوائجها فإذا ضعفت الأمارة أسلمت على يدي الناطقة وقبلت أحكامها بالتدريج فصارت في الابتداء لوامة ثم ملهمة ثم مطمئنة ثم راضية ثم مرضية ثم كاملة ووجه الترتيب يظهر بالتأمل فإذا بلغت هذه الدرجة صارت كالكلب المعلم ترسله الناطقة لصيد ما تغتذي به من الأغذية الروحانية فتستولي الناطقة على النفس الحيوانية وتركبها وتسير في إصلاح مملكتها وإخراج جنود الشياطين من أرواح العادات الخبيثة والأحوال المنكرة منها وتتفضل الحيوانية التي كانت في

الابتداء بمنزلة الهيولى الصالحة لقبول كل من فصلي الناطقة والأمارة بفصل الناطقة فعلا فاستقرت الصورة الإنسانية التي هي صورة الناطقة في الإنسان باطنا كما كان عليه ظاهرا لأنه قبل حينئذ دعوة الله التشريعية التي هي روح التكوينية كما قبل دعوته التكوينية التي هي ظاهر التشريعية فيكون إنسانا حقيقيا ظاهرا وباطنا وإذا مات ثم أراد الله إعادته صور أجزاء بدنه المتفككة في القبر بتلك الصورة ثانيا بعد تصفيتها من العوارض الدنيوية والبرزخية ودخلته الأرواح ويحشر يوم القيامة في أحسن تقويم فقلنا بالثناء على الحي القيوم.

وإن اختاروا العياذ بالله جانب الشقاوة وإنكار الدعوة وقام يستعمل النفس الأمارة ويعمل بمقتضى أفعالها ودواعيها من الأمور المبغوضة خذله الله بمقتضى سؤاله بلسان استعداده وأعماله فقيض له شياطين يعينونه على ما يريد وهو معنى الخذلان فتقلب الأمارة باستعمال صاحبها لها ومعونة الشياطين المقيضين لإعانتها النفس الناطقة وتعزلها عن مملكة البدن واستعمال الحيوانية وقواها في حوائجها فإذا ظهر الضعف في الناطقة لحقت بمركزها معزولة عن التصرف والأمر والنهي واستولت الأمارة بالمملكة وركبت الحيوانية وجعلت تسير في إفساد الملك وإخراج جنود الملائكة منه وتتفصل الحيوانية بفصلها من الصورة المنكرة بمعنى أن أي الملكات الخبيثة غلب عليه تفصلت بفصلها، مثلا إن كان الغالب على الإنسان شهوة النكاح تصور باطنه بصورة الفرس وإن كان الغالب عليه النميمة تصور بصورة العقرب وإن كان الغالب عليه الغضب تصور بصورة السبع وهكذا وربما يكون الغالب ملكات متعددة فتتركب صورته منها كالحيوان المتولد بين حيوانات مختلفة

النوع وربما يكون الغالب عليه الطباع الشيطانية فيتصور بصورهم وإذا مات على تلك الحالة وتفككت أجزاء بدنه وزالت عنه الصورة الإنسانية ثم أراد الله جمعها وإعادتها للجزاء صورها بصورة ما غلب عليه من الملكات الشيطانية والحيوانية ودخلته الأرواح الخبيثة التي كانت له في الدنيا فيحشر بتلك الصورة المنكرة مناديا بالويل والثبور كما وردت الشريعة الحقة من حشر غير المؤمنين بالصور المختلفة من صور الحيوانات من أراد ذلك فليطلبه من مظانه فإنا لا يسعنا إيراد الأخبار في ذلك لأدائه إلى التطويل وفي حق أمثال هذا الإنسان قال تعالى ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾[1] وإنما قال بل هم أضل لأنه خلقهم في الابتداء هيكلا صالحا لإشراق النفس الإنسانية عليهم فلم يقبلوها فهم في الضلالة أعلى رتبة من الأنعام فافهم هذا.

وربما يتمادى مثل ذلك الإنسان المنكوس في البغي والعصيان فيقتضي حاله اشتداد غضب الله عليه وسرعة أخذه له فيرجع عنه حجاب الصورة الإنسانية الظاهرة في الدنيا قبل الموت فيظهر باطنه الذي هو صورة بدنه الحقيقية من صورة كلب أو خنزير أو قرد أو غير ذلك للحس فيكون عبرة للناظرين كما انقلب المنافق الذي اعترض على أمير المؤمنين عليه السلام بقوله له اخسأ كلبا ونظائره كثيرة يظهر لمن تتبع السير والأخبار وهذا هو المراد بتماسخ طائفة بإنكارهم الولاية وانقلابهم جريا أو قردا أو دبا أو غير ذلك، لا ما فهمه الفاضل المذكور من المسخ من خروج أرواحهم من أبدانهم ودخولها في أبدان حيوانات أجنبية من أبدانهم فإنه كما عرفت فيما قبل ممتنع حكمة.

---

(١) الأعراف ١٧٩

وأما النوع الذي ذكرناه فهو ممكن وواقع كما أخبر الله تعالى عن ذلك في حق أصحاب السبت وأخبر أنبياؤه وأولياؤه في حق الكفار والمنافقين يوم الحشر وأظهروا آياته أحيانا في الدنيا عبرة للناظرين ويأتي إن شاء الله ذكر بعض منها في ضمن المعجزات.

ومما يكشف عن الفرق بينهما ونفيه بالمعنى الأول وإثباته بالمعنى الثاني ما رواه الصدوق في العيون بسنده عن الرضا عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال :فقال المأمون : يا أبا الحسن فما تقول في القائلين بالتناسخ ؟

فقال الرضا عليه السلام : من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم مكذب بالجنة والنار قال المأمون ما تقول في المسوخ قال الرضا عليه السلام أولئك قوم غضب الله عليهم فمسخهم فعاشوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا فما يوجد في الدنيا من القردة والخنازير وغير ذلك مما وقع عليهم اسم المسوخية فهو مثل ما لا يحل أكلها والانتفاع[1] الحديث.

وإذا عرفت هذا فلنرجع إلى أول البحث فنقول، قد عرفت من تواتر الآيات والأخبار كون الحيوانات والنبات والجماد مكلفين ببعض التكاليف وأنها ذوات عقل وشعور كل بحسب رتبته ولنشير إلى دليله الحكمي عسى أن ينفتح عليك باب العيان فيرقيك من درجة التسليم إلى درجة البرهان فنقول: إن الله تعالى خلق الوجود وهو بكله حياة وشعور لأنه أثر فعل الحي والأثر يشابه صفة مؤثره في جهة التأثير غير أنه لما كان ذا مراتب ودرجات كان كل ما قرب من المبدأ أقوى شعورا وإدراكا وإحساسا كالأنبياء عليهم السلام وكلما بعد وتوسطت الوسائط بينه وبين المبدء في الصدور كان أضعف شعورا وإدراكا وإحساسا إلى أن

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٠٢

انتهى إلى الجماد والأعراض حتى أن الموت له حياة بنسبة رتبته كما ورد في الخبر من أنه يؤتى يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار فينادي مناد يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت[1] الحديث.

فليس في الوجود ميت بل كل الأشياء حية وهي مكلفة بحسب حياتها وإنما لا تدرك حياة بعضها لضعفها فالله تعالى حي وفعله حي لأنه مؤثر في المفعولات والميت لا يصدر عنه التأثير والفعالية وآثار فعله التي هي مجموع ما سواه حية بفاضل حياة فعله وإلا لما شابهت فعله في جهة التأثير فإنكار الشعور في بعض الأشياء ناش من عدم الوقوف على سر الخليقة ولكن الواجب على من لم يقف على ذلك إذا سمع شيئا من ذلك أن لا يقابله بالإنكار بمجرد الاستبعاد من غير أن يقوم على نفيه دليل عقلي أو نقلي كما فعل هذا الفاضل فإنه مع تطويله في الكلام لم يزد على الدعوى شيئا وإنما قلد من قبله من الفلاسفة والمتكلمة حيث أنكروا ذلك بغير هدى ولا كتاب منير كما قلدهم في نفي كثير من الأمور الواردة في الأخبار غير ما ذكر أيضا واعلم أني لم أرد بما ذكرت من البيان إبداء نقص لصاحب هذه الكلمات وإنما أردت بيان حقيقة المسألة صونا لحق المسألة عن الضياع لأن كثيرا من الناس جبلوا على تقليد من قبلهم فإذا وقفوا على مثل هذا الكلام ممن انتهت إليه رئاسة العلم في زمانه ركز في أذهانهم وتجاسروا على طرح كثير من الأخبار المعصومية أو تأويلها بما لا يرضي صاحبها فأردت

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٥٠ (حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي ولاد الحناط عن أبي عبد الله عليه السلام قال سئل عن قوله « وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ » قال ينادي مناد من عند الله وذلك بعد ما صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور فيقولون لا فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم ينادون جميعا أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون ثم يأمر الله به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت أبدا يا أهل النار خلود فلا موت أبدا).

صرف الأذهان عن ذلك وتأديبها بأدب التثبت والتحقيق والله ولي التوفيق والسلام على من اتبع الهدى.

علم الكتاب كله عندهم عليهم السلام

حدثنا عباد بن سليمان ، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه، عن سدير قال : (كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير الرقي في مجلس أبي عبد الله ﷺ إذ خرج إلينا وهو مغضب فلما أخذ مجلسه قال : يا عجباه لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلا الله لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي .

قال سدير : فلما أن قام عن مجلسه صار في منزله وأعلمت ، دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له : جعلنا الله فداك سمعناك أنت تقول كذا وكذا في أمر خادمتك ونحن نزعم أنك تعلم علما كثيرا ولا ننسبك إلى علم الغيب .

قال : فقال لي : يا سدير ألم تقرأ القرآن .

قال : قلت بلى .

قال : فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾.

قال : قلت جعلت فداك قد قرأت .

قال : فهل عرفت الرجل ، وهل علمت ما كان عنده علم من الكتاب؟ .

قال : قلت فأخبرني أفهم .

قال : قدر قطرة الثلج في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم

الكتاب .

قال : قلت جعلت فداك ما أقل هذا .

قال فقال لي : يا سدير ما أكثر من هذا لمن ينسبه الله إلى العلم الذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾.

قال قلت : قد قرأته جعلت فداك .

قال : فمن عنده علم من الكتاب أفهم أم من عنده علم الكتاب .

قال : بل من عنده علم الكتاب كله .

قال : فأومى بيده إلى صدره قال وعلم الكتاب والله كله عندنا علم الكتاب والله كله عندنا)[1] .

تحقيق في علم أهل العصمة بالمغيبات

يقول مصنف هذا الكتاب: روى الصفار هذا الخبر في موضعين من الجزء الخامس من كتابه البصائر أحدهما هذا وبينهما بعض اختلاف في بعض الألفاظ منها أنه عد من جملة الداخلين عليه ميسر ولم يذكره في هذا الموضع وينبغي أن يذكر بقرينة قوله فيما بعد (دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له ... إلخ)[2] .

ومنها أنه قال فيه ما أكثر هذا إن لم تنسبه إلى العلم الذي أخبرك به مكان قوله لمن ينسبه الله وهو الأصح والذي هنا من تحريف النساخ ثم أن حاصل الخبر أنه عليه السلام أراد أن آصف بن برخيا الذي كان عنده علم من الكتاب قدر أن يأتي بعرش بلقيس من تلك المسافة البعيدة في طرفة عين فكيف لا يقدر من عنده علم الكتاب كله أن يأتي بخادمته

(١) بصائر الدرجات ٢٣٠، الكافي ج١ ص٢٥٧، بحار الأنوار ج٢٦ ص١٩٧.

(٢) بصائر الدرجات ٢١٣.

الهاربة منه وهي في بيته وهو إرشاد منه ﷺ إلى أن ما قاله في المجلس إنما خرج مخرج التقية من المخالفين أو من بعض ضعفاء الشيعة وليس على ظاهره. هذا ومما يحق أن يعتبر منه أولوا الألباب أني وجدت المقصرة من معاصرينا يحذفون آخر الحديث ويردون أوله إلى قوله (فما علمت في أي بيوت الدار هي) فيجعلونه حجة عند العوام على عدم علمهم عليهم السلام بالمغيبات عافانا الله من هذا المرض الفظيع وما أشبه حال هؤلاء بحال من كان تاركا للصلاة فكلمه صاحب له في ذلك فقال أما تقرأ قول الله تعالى في كتابه ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ فقال صاحبه ﴿وأنتم سكارى﴾[2] قال لا يجب علي أن أقرأ جميع القرآن يكفيني منه هذه الكلمة.

فضائل علي عليه السلام لا تحصى

عن مناقب الخوارزمي ، قال أخبرني السيد الإمام الأجل المرتضى شرف الدين عز الإسلام علم الهدى نقيب نقباء الشرق والغرب أبو الفضل محمد بن علي بن المطهر بن المرتضى الحسيني في كتابه إلي من مدينة الري جزاه الله عني خيرا قال : أخبرني السيد أبو الحسن علي بن أبي طالب الحسيني السيلقي بقراءتي عليه ، أخبرني الشيخ العالم أبو النجم محمد بن عبد الوهاب بن عيسى السمان الرازي ، أخبرني الشيخ العالم أبو سعيد محمد بن أحمد بن الحسين النيسابوري الخزاعي، أخبرني محمد بن علي بن جعفر الأديب بقراءتي عليه ، حدثني المعافى بن زكريا أبو الفرج ، عن محمد ابن أحمد بن أبي الثلج ، عن الحسن بن محمد بن بهرام ، عن يوسف بن موسى القطان ، عن جرير ، عن ليث عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : (قال رسول الله ﷺ لو أن الغياض

(١) النساء ٤٣

أقلام والبحر مداد والجن حساب والإنس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام)[1].

رد لكلام المبغضين والمنكرين

يقول محمد تقي مصنف هذا الكتاب: إن هذا الحديث قد حرك عرق العصبية من بعض النواصب فلم يملك إخفاء ما في قلبه المنكوس من الحقد الراسب حتى أظهر ما أضمره في باله وأثبته في كتابه المؤتى يوم القيامة بشماله وقال: إن هذا الحديث المروي عن أخطب خوارزم أثر النكر والوضع فيه ظاهر والتمسك في ذلك بوجهين.

أحدهما: إن هذه المبالغة التي نسبها إلى النبي صلى الله عليه وآله في فضائل علي عليه السلام بقوله (لو أن الغياض أقلام) إلى آخره لا يخفى على الماهر في فن الحديث أن هذا ليس من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: ولينصف المتدرب في معرفة الأخبار أمن شأن الرسول صلى الله عليه وآله أن يبالغ مثل هذه المبالغة في مدح أحد من المخلوقين وهذا من أوصاف الخالق ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾[2].

ثانيهما: إن لفظ الفضائل لا يوجد أصلا في كلام النبي صلى الله عليه وآله ومحال أن يحكم المحدث أن النبي صلى الله عليه وآله يتكلم بلفظ الفضائل فإن هذا من ألفاظ المحدثين المولدين وليس من كلام العرب والمحدث لا يخفى عليه شأن هذه الموضوعات ثم قال وأكثر ما ذكر في مناقب الخوارزمي موضوعات إلى آخر ما قاله.

وأقول: أما قوله أنه ليس من شأن الرسول صلى الله عليه وآله أن يبالغ هذه المبالغة

---

(١) مناقب الخوارزمي ٣١، الطرائف ج١ ص١٣٨، بحار الأنوار ج٤٠ ص٧٣، إرشاد القلوب ج٢ ص٢٠٩، بناء المقالة ٣٦٩، تأويل الآيات ٨٤٤، كشف اليقين ج١ ص٢، كنز الفوائد ج١ ص٢٨٠، كشف الغمة ج١ ص١١١.

(٢) الكهف ١٠٩

في شأن أحد من المخلوقين، فجوابه:

إن شأن النبوة أجل من المبالغة بل كلما يقوله فهو بيان لواقع الأمر وتوهم المبالغة في حقه كفر بالله العظيم وإنما صدر هذا القول منه اقتضاء بقول إمامه السابق عليه إن الرجل ليهجر لا يقال إنه لم يثبت مبالغة في حقه ﷺ بل منعه. لأنا نقول إن قوله (أمن شأن الرسول أن يبالغ هذه المبالغة) إنما يقال فيمن تصدر عنه المبالغة لكن لا بهذه المثابة كما هو ظاهر عند من له مسكة في أساليب الكلام.

وأما قوله إنه من صفات الخالق واستشهاده بذلك بالآية فكلام يناقض بعضه بعضا بغير فصل فهو لكلام المصروعين أشبه منه بكلام الفضلاء ضرورة أن الله تعالى إنما أثبت هذا الوصف لكلماته لا لنفسه حتى يكون من صفاته الخاصة به فشاهد هذا المدعي مكذب لمدعاه.

وبعد ما عرفت ذلك فنقول إذا كانت كلمات الله التي هي من جملة مخلوقاته توصف بمثل هذا الوصف فأي بعد في أن يكون الله تعالى قد خلق مخلوقا آخر أيضا يوصف بذلك الوصف على سبيل التحقيق دون المبالغة وهل يمنع هذا إلا ناصب عنيد أو حمار بليد بل وأي بعد في أن يكون أمير المؤمنين وإمام الموحدين عليه السلام من جملة كلمات الله التامات وقد قال الله في حق المسيح ﴿بكلمة منه اسمه المسيح﴾[1] ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾[2].

وروى الفريقان في حق أمير المؤمنين عليه السلام أن الله تعالى أوحى ليلة المعراج إلى نبيه في حقه عليه السلام أنه كلمتي التي ألزمتها المتقين وليس المراد بعدم نفاد كلمات الله كونها ذات عدد كثيرة من حيث اللفظ ليقال هب

(١) آل عمران ٤٥

(٢) النساء ١٧١.

أنه عليه السلام من جملة الكلمات ولكنه واحد منها فهو ينفد إذ لا مزية في كثرة الكلمات بهذا المعنى حتى ينزل فيه قرآن، وإنما المراد بذلك كون كلماته تعالى مشتملة على معان وأسرار لا يفي البحر بإحصائها وهو الذي يليق بشأن الحق تعالى. روى محمد بن علي الحكيم الترمذي وهو من أكابر علماء العامة عن ابن عباس أنه قال (كان علي بن أبي طالب عليه السلام يشرح لنا نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة فانفلق عمود الصبح وهو بعد لم يفرغ فرأيت نفسي في جنبه كالفوارة في جنب البحر المسعنجر)[1]. وعن أبي حامد الغزالي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث (لو أذن الله لي ورسوله لأشرع في شرح معاني الفاتحة حتى يبلغ أربعين حملا).

فهذا وأمثاله هو المراد بكون كلمات الله لا تنفد ومنه يعلم كون فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لا تحصى بطريق آخر وهو كون علم الكتاب بما فيه من هذه المعاني والأسرار غير المحصورة عنده عليه السلام بروايات الفريقين فكيف يمكن إحصاء ما اشتمل عليه هذا الوجود النوراني من المزايا والعلوم والمفاخر.

وأما قوله (إن لفظ الفضائل من الألفاظ المولدة) فهو دعوى بغير برهان قد تولدت من بغضه المركوز في جبلته الخبيثة لأهل بيت النبوة على أنه على تقدير التسليم لا يفي بمراده بجواز كون الخبر منقولا بالمعنى على أن كلا الأمرين الذين جعلهما هذا الناصب العنيد من علائم الوضع موجودان في حديث وضعه ابن حجرهم في صواعقه حيث قال أخرج أبو العلي عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) ينابيع المودة ج١ ص٢١٦

(أتاني جبرائيل آنفا فقلت يا جبرائيل حدثني بفضائل عمر قال لو حدثت بفضائل عمر منذ ما لبث نوح في قومه ما انفدت فضائل عمر وأن عمر حسنة من حسنات أبوبكر).

فما بال هذا الناصب وإخوانه لم يحكموا بموضوعية هذا الحديث المفترى مع ما فيه من المبالغة وورود لفظ الفضائل فيه مكررا ويحكمون بها إذا كان في حق أمير المؤمنين وسيد الوصيين قاتلهم الله أنى يؤفكون ولعلهم اعتمدوا في ذلك على ما اشتهر من شيخيهما من المناقب الفاخرة والفضائل الباهرة التي اختص بها دون أمير المؤمنين عليه السلام من قول أولهما على المنبر برواية الفريقين (إن لي شيطانا يعتريني فإذا رأيتموني مغضبا فاحذروني لا أقع في أشعاركم وأبشاركم)[1]. وقول ثانيهما على المنبر (كل الناس أفقه منك يا عمر حتى المخدرات في الحجال)[2].

وأين لأمير المؤمنين القائل على المنبر (يا أيها الناس اتبعوني أهدكم سواء السبيل أنا قلب الله الواعي وأذنه السامعة وعينه الناظرة ويده المبسوطة ولسانه سلوني عما دون العرش فإني أعلم بطرق السماء مني بطرق الأرض)[3] مثل هاتين الفضيلتين هذا مضافا إلى ما لهما من الأنساب المنيفة ذا القبائل الشريفة والأعراق الكريمة والخصائص العظيمة والسوابق القديمة والعلوم الزاهرة والمعجزات الباهرة

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٦ ص١٨

(٢) بحار الأنوار ج٤٨ ص٩٧.

(٣) الاختصاص ٢٤٨، بحار الأنوار ج١٠ ص١٢٨، سعد السعود ٢٠٩.(١) الاختصاص ٢٤٨، بحار الأنوار ج١٠ ص١٢٨، سعد السعود ٢٠٩ (خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال فيها يقول أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني أيها الناس أنا قلب الله الواعي ولسانه الناطق وأمينه على سره وحجته على خلقه وخليفته على عباده وعينه الناظرة في بريته ويده المبسوطة بالرأفة والرحمة ودينه الذي لا يصدقني إلا من محض الإيمان محضا ولا يكذبني إلا من محض الكفر محضا)

وغيرها من أمور لست أذكرها كأنها مودع أجواف عنقاء فبالحري أن يفتخر بهما هذا الناصب وإخوانه من ذوي الأذناب ويوردوا في حقهما أن جبرائيل لا يقدر على إحصاء فضائلهما وينكروا ما ورد من ذلك في حق من اصطفاه الله واختاره من بريته فجعله عيبة علمه ومعدن حكمته وترجمان مشيته وحامل كتابه ومهبط وحيه وخطابه وأما حكمه بموضوعية أكثر ما رواه الخوارزمي ففرية بلا مرية اتخذه سبيلا للهرب من الإلزامات الواردة عليه وعلى أقرانه مما رواه هذا الرجل في كتابه وهو متفرد في دعواه هذه بغير شاهد ودليل والله على ما نقول وكيل.

هذا واعلم أني تكلمت في هذا المقام على سبيل المداراة والتنزل مع الخصم وإلا فأين شأن ولي الله من هذه المقالات والمجادلات وما أنسب قول الشاعر بالفارسية بالمقام:

اي بـــرون أزوهـــم وقال وقيـل

مـــن خـــاك بر فرق من وتمثيل من

وكيف لا وأنت بعدما أمعنت النظر في مطاوي أخبار هذا الكتاب عرفت أن جميع ما خلق الله من العوالم الغيبية والشهودية من العوالم الألف ألف بجميع ما فيها من المكونات كلها رشحة من رشحات تيار جوده ولمعة من إشراقات نور وجوده فكل ذرة من ذرات الوجود لسان ناطق يخبر عن أوصافه الظاهر بها عليه ويهدي ما أودع فيه من الكمالات الظاهرة والباطنة إليه لأن منه البدء وإليه المنتهى (إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه)[1] فكيف يحصي

---

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة

مزايا ذاته العادون ويحد مجامع صفاته الحادون وهو القائل وقوله الحق (ظاهري إمامة ووصية وباطني غيب منيع لا يدرك)[1] والقائل (نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا فإن البحر لا ينزف وسر الله لا يوصف)[2]، نقلنا بعض معانيه، ولقد أحسن وأجاد بعض المقاربين من عهدنا من أهل العلم في وصفه ﷺ حيث قال:

أيا علة الإيجاد حـار بك الفكـر
وفي فهم معنى ذاتك التبس الأمـر
وقد قال قوم فيك والستـر دونهم
بأنك رب كيف لو كشف الستـر

(موالي لا أحصي ثنائكم ولا أبلغ من المدح كنهكم ومن الوصف قدركم وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار وحجج الجبار بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبكم ينفس الهم وبكم يكشف الضر وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته وإلى جدكم بعث الروح الأمين آتاكم الله ما لم يؤت أحد من العالمين)[3] الزيارة.

مقام الإمامة

أبو محمد القاسم بن العلاء ﷺ رفعه عن عبدالعزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا ﷺ بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على

---

(٢) مشارق أنوار اليقين ٧٠، اللمعة البيضاء ٦٤ (ظاهري ولاية ووصاية وباطني غيب لا يدرك)

(٣) مشارق أنوار اليقين ٦٩، اللمعة البيضاء ٦٤ (يا سلمان نزلونا عن الربوبية وارفعوا عنا حظوظ البشرية فإنا عنها مبعدون وعما يجوز عليكم منزهون فإن البحر لا ينزف وسر الغيب لا يعرف وكلمة الله لا توصف ومن قال هناك لم ومم فقد كفر).

(٣) الزيارة الجامعة الكبيرة

سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه فتبسم عليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم إن الله لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا فقال ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ وأمر الإمامة من تمام الدين ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم عليا عليه السلام علما وإماما وما ترك لهم شيئا تحتاج إليه الأمة إلا بينه فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله عز وجل ومن رد كتاب الله فهو كافر به هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم إن الإمامة أجل قدرا وأعظم شأنا وأعلى مكانا وأمنع جانبا وأبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم إن الإمامة خص الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال ﴿إني جاعلك للناس إماما﴾ فقال الخليل عليه السلام سرورا بها ﴿ومن ذريتي﴾ قال الله تبارك وتعالى ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله

فقال جل وتعالى ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ فكانت له خاصة فقلدها ﷺ عليا عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد ﷺ فمن أين يختار هؤلاء الجهال إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ﷺ ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف الإمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تناها الأيدي والأبصار الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار الإمام الماء العذب على الظمإ والدال على الهدى والمنجي من الردى الإمام النار على اليفاع الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك من فارقه فهالك الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم

البرة بالولد الصغير ومفزع العباد في الداهية النآد الإمام أمين الله في خلقه وحجته على عباده وخليفته في بلاده والداعي إلى الله والذاب عن حرم الله الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظام الدين وعز المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره هيهات هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وخسأت العيون وتصاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الألباء وكلت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله وأقرت بالعجز والتقصير وكيف يوصف بكله أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه لا كيف وأنى وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين فأين الاختيار من هذا وأين العقول عن هذا وأين يوجد مثل هذا أ تظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد ﷺ كذبتهم والله أنفسهم ومنتهم الأباطيل فارتقوا مرتقا صعبا دحضا تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلة فلم يزدادوا منه إلا بعدا ، وقال الصفواني في حديثه : قاتلهم الله أنى يؤفكون ، ثم اجتمعا في الحديث ولقد راموا صعبا وقالوا إفكا وضلوا ضلالا بعيدا ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا

مستبصرين رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ وقال ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ الآية وقال ﴿ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون إن لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ وقال ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها أم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون أم قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون أم قالوا سمعنا وعصينا بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ فكيف لهم باختيار الإمام والإمام عالم لا يجهل وراع لا ينكل معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة مخصوص بدعوة الرسول ﷺ ونسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب في البيت من قريش والذروة من هاشم والعترة من الرسول ﷺ والرضا من الله شرف الأشراف والفرع من عبد مناف نامي العلم كامل الحلم مضطلع بالإمامة عالم بالسياسة مفروض الطاعة قائم بأمر الله ناصح لعباد الله حافظ لدين الله إن الأنبياء والأئمة عليهم السلام يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم [1] في قوله تعالى ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ وقوله تبارك

وتعالى ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ وقوله في طالوت ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ وقال لنبيه ﷺ ﴿أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ وقال في الأئمة من أهل بيت نبيه وعترته وذريته عليهم السلام ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا﴾ وإن العبد إذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاما فلم يعي بعده بجواب ولا يحير فيه عن الصواب فهو معصوم مؤيد موفق مسدد قد أمن من الخطايا والزلل والعثار يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهده على خلقه ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه تعدوا وبيت الله الحق ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون وفي كتاب الله الهدى والشفاء فنبذوه واتبعوا أهواءهم فذمهم الله ومقتهم وأتعسهم فقال جل وتعالى ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ وقال ﴿فتعسا لهم وأضل أعمالهم وقال كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم تسليما كثيرا)[1].

يقول العبد الضعيف محمد تقي الشريف عفا الله عنه : وروى

(١) الكافي ج١ ص١٩٨، غيبة النعماني ٢١٦، بحار الأنوار ج٢٥ ص١٢٤، معاني الأخبار ٩٦، أمالي الصدوق ٦٧٤، كمال الدين ج٢ ص٦٧٥، الاحتجاج ج٢ ص٢٢٦.

الصدوق هذا الحديث في غير واحد من كتبه عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني عن القاسم بن محمد بن علي الهاروني عن عمران بن موسى عن الحسن بن القاسم الرقام عن قاسم بن المسلم عن أخيه عبد العزيز بن مسلم بأدنى مغايرة في بعض الألفاظ والمعنى واحد ثم قال في آخره (وحدثني بهذا الحديث محمد بن محمد بن عصام الكليني وعلي ابن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق وعلي بن عبد الله الوراق والحسن ابن أحمد بن المؤدب والحسين بن إبراهيم بن هشام المؤدب ﷺ قالوا حدثنا محمد بن يعقوب الكليني قال حدثنا أبو محمد القاسم بن علاء قال حدثنا قاسم بن مسلم عن أخيه عبد العزيز بن مسلم عن الرضا عليه السلام)[1].

ثم اعلم أن لفظ (وفي حديث الصفواني) ولفظ (ثم اجتمعا) في الرواية الواقعين في أثناء رواية الكافي هما من قول بعض رواة الكافي في الطبقة المتأخرة، وتوضيح ذلك أنه كان في زمان القدماء إذا ألف الشيخ كتابا استنسخه التلاميذ وغيرهم ثم يروونه عنه إما بالقراءة عليه وإما بالسماع عنه وإما بالإجازة وإما بالمناولة أو غيرها وربما كانوا يصدرون نسخهم بقولهم أخبرنا أو حدثنا فلان ويسمون صاحب الكتاب كما هو واقع في كثير من صدور كتب الكافي وربما يفعل ذلك بعض من يروي من صاحب الكتاب بوسائط كما وقع في صدر جملة من الكتب لا سيما كتب الأخبار. منها بصائر الصفار فإن في صدر كثير من أجزائه (حدثنا أبو القاسم قال حدثنا محمد بن يحيى العطار قال حدثنا محمد بن الحسن الصفار إلى آخر السند) والوجه فيه ما ذكرناه. هذا وربما

(١) عيون الأخبار ج٢ ص١٩٩

كان يقع بين نسخ الرواة في الطبقة الأولى أو المتأخرة عنها اختلاف من جهة السهو زيادة ونقيصة وتقديما وتأخيرا وإذا عرض من تأخر عنهم النسخ بعضها على بعض ووجد ذلك كتب في محل الاختلاف اسم صاحب النسخة الراوي لها وذكر ما هو متفرد به ثم ساق الحديث من موضع الاتفاق، وما نحن فيه من هذا القبيل فإن رواة الكافي جماعة من أجلة أصحابنا منهم الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه صاحب كامل الزيارات ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني صاحب التفسير وكتاب الغيبة ومنهم الشيخ أبو محمد هارون ابن موسى التلعكبري ومنهم أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني ومنهم محمد بن محمد بن عصام الكليني ومنهم أبو غالب أحمد ابن محمد الزراري كما صرح به في رسالته إلى ابن ابنه عند تعداده لمروياته فإنه قال فيه ما هذا لفظه (وجميع كتاب الكافي تصنيف أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني روايتي عنه بعضه قراءة وبعضه إجازة وقد نسخت منه كتاب الصلاة والصوم في نسخة وكتاب الحج في نسخة وكتاب الطهر والحيض في جزء والجميع مجلد وعزمي أن أنسخ بقية الكتاب إن شاء الله تعالى في جزء واحد ورق طلحي)[1].

وصرح به أيضا الشيخ في فهرسته وغيره في غيره ومنهم الصفواني وهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمال وجماعة غير هؤلاء مذكورون في كتب الفهارس والرجال فالصفواني هذا هو المراد بقولهم (وقال الصفواني في حديثه قاتلهم الله أنى يؤفكون) ومثله واقع في الكتاب المذكور في باب إثبات الإمامة في

(١) تاريخ آل زرارة ج٢ ص٧٧

الأعقاب فقد ذكر فيه بعد نقل حديث في ذلك وفي نسخة الصفواني ثم هكذا إبداء ومثله في باب النص على الحسن بن علي عليه السلام.

وأما قولهم (ثم اجتمعا في الرواية) فالمراد به الصفواني وواحد آخر من رواة الكافي ويمكن أن يكون هو النعماني بقرينة ما ذكر بعضهم إن في الكافي في كتاب العقيقة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني رحمه الله بهذا الكتاب في جملة كتب الكافي عن أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله ثم حكم هذا البعض من ذلك بأن ما أوردها فيه أخبرنا محمد بن يعقوب فالمتكلم به النعماني ولكنه استنباط ضعيف كما ترى مع أن كثيرا من نسخ الكافي خالية عما ذكره فمجرد ذلك لا يوجب القطع بما ذكرناه، ثم إن نظير هذه اللفظة قد وقع في موضع آخر من الكافي وهو باب مولد علي بن الحسين عليهما السلام عن كتاب الحجة فإنه روى فيه بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال (لما مات علي بن الحسين عليه السلام جاءت ناقة له من الرعي حتى ضربت بجرانها على القبر وتمرغت عليه فأمرت بها فردت إلى مرعاها وإن أبي عليه السلام كان يحج عليها ويعتمر ولم يقرعها قرعة قط)[1] ثم وقع فيه بغير فصل ابن بابويه الحسين بن محمد بن عامر عن أحمد بن إسحاق وساق سندا وذكر حديثا عن أبي عبد الله عليه السلام قريب المؤدى من الحديث المذكور مع زيادة، والمراد به على ما يقتضيه النظر الصحيح شيخنا الصدوق محمد بن علي بن بابويه الذي يروي عن الكليني بواسطة واحدة كما صرح بذلك في مشيخة الفقيه وغير ذلك من كتبه منها ما عرفت في ذيل الحديث الذي مر آنفا. فالمراد أن هذا الحديث المذكور بعده إنما هو في نسخة الصدوق رحمه الله دون باقي

(١) بحار الأنوار ج٦١ ص١٣٧، الكافي ج١ ص٤٦٧، الاختصاص ٣٠١

النسخ فالكلام كلام بعض من تأخر عن الصدوق وعرض بعض النسخ على بعض هذا وقد وقع في هذا المقام لجمع من الأعلام أغلاط منها ما ذكر بعضهم من أن المراد بذلك علي بن بابويه والد الصدوق يعني أن هذا الخبر واقع في نسخته دون سائر النسخ، وهو خبط فإن علي بن بابويه وإن كان معاصرا للكليني ولكنه ليس من رواة الكافي بل ولم نجد منه رواية عن الكليني أبدا كما تشهد بذلك كتب ابنه فإن روايته عن أبيه فيها أكثر من أن تحصر ولم يوجد في شيء منها الرواية عن الكليني وكذا سائر كتب أصحاب الحديث فإنا لم نجد فيها من ذلك عينا ولا أثرا وكيف لو كان الأمر على ما ذكروه فكان الصدوق ﷺ ذكره في مشيخة الفقيه عند ذكر طريقه إلى الكليني جدا مع أنه لم يأت منه بذكر أصلا فإنه قال فيه (وما كان فيه عن محمد بن يعقوب الكليني فقد رويته عن محمد بن محمد بن عصام الكليني وعلي بن أحمد بن موسى ومحمد بن أحمد السناني عن محمد بن يعقوب الكليني ثم قال وكذلك جميع كتاب الكافي فقد رويته عنهم عن رجاله)[1] ،هي. فإنه ﷺ وإن كان غير ملتزم فيه باستقصاء جميع طرقه إلى الأصحاب ولكن من البعيد أن يكون قد ترك الأقرب وخص الأباعد بالذكر مع وجود طريق منه إليه.

منها ما وجدته على حاشية نسختي من الكافي نقلا عن بعض أعلام المحدثين من كون المراد به الصدوق كما صححناه ولكنه علل ذلك بقوله فإنه يعني محمد بن بابويه من تلامذة الكليني ورواة الكافي كما هو مذكور في إجازات الأصحاب وهو من أقبح الغفلات لأنه

(١) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٥٣٤

وإن كان معاصرا للكليني إلا أنه يروي عن أبيه كثيرا وقد مات أبوه والكليني في سنة واحدة وهي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة غير أنه كما عرفت من تصريحه هو بذلك يروي عن الكليني بالواسطة ولم يعهد لقاءه الكليني فضلا عن روايته عنه.

منها ما وقع للمحدث الكاشاني في كتابه الوافي وهو أنه حسبه جزء من الحديث المقدم ثم قال ما هذا لفظه (ابن بابويه هكذا وجدت هذه اللفظة في النسخ التي رأيناها في آخر الحديث ومعناها غير ظاهر وربما يقال إنه متعلق بالحديث الآتي وإن المراد به شيخنا الصدوق ﵀ يعني أن الحديث الآتي إنما يوجد في نسخة ابن بابويه نظيره في هذا الكتاب ما صدر به بعض الأخبار بلفظه وفي نسخة الصفواني وعلى هذا يكون من كلام من تأخر عن المصنف وعن الصدوق فزيد في الأصل وهو بعيد جدا وربما يوجد في بعض النسخ متعلقا بالحديث الآتي هكذا ابن بابويه عن الحسين بن محمد بن عامر بإثبات عن، فإن صح فالمراد بابن بابويه علي بن الحسين والد الصدوق فإنه كان معاصرا لصاحب الكافي وعلى تقدير تعلقه بالحديث السابق يحتمل أن يكون أين بمعنى المكان وأبويه بمعنى والديه يعني إني لأجد بمثل أبويه فيكون المراد بها أنه لا يوجد مثل أبويه في الشرف ولهذا كان كذلك) انتهى كلامه زيد مقامه.

أقول: قد عرفت فيما سبق إن التوجيه الأول هو المراد وأما استبعاد الفاضل المذكور له فلم أعرف له وجها سيما بعد ذكره للنظير وأما قوله وربما يوجد في بعض النسخ إلى قوله (فإن صح) فالمراد به علي بن بابويه فهو معطوف على سائر الغفلات الواقعة لغيره فإن رواية الكليني عنه مما لم يجر له ذكر في شيء من الأخبار ولا كتب التراجم والفهارس ولا

غيرها من الكتب المعروفة على أنه لو كان اتفق لهما لقاء أو مفاوضة أو مكاتبة لكان رواية على عنه أولى من العكس كما لا يخفى وقد عرفت أنه لم يقع ذلك بقرائن لا محيص عنها ومجرد المعاصرية لا يوجب ذلك كما هو ظاهر وأما توجيهه الأخير فلقد أبكانا بعد ما أضحكنا فإن بعده وقبحه وحزازته أشد من أن يتكلم أحد عليه ويتعرض لبيان فساده ولو أني كنت معاصرا له ﷺ لصالحته على توجيهه السابق مع عدم استقامته بشرط عدم تعرضه لهذا التوجيه الركيك الذي كدر العيش على السامعين وحبب الموت إلى الأحياء ولو أنه ﷺ اكتفى بمجرد قوله (ومعناها غير ظاهر) لكان أولى له وأصلح والله المستعان.

ومنها ما نقل عن بعض أصحاب السليقة المعوجة من كونه جزء من الحديث السابق وأنه ابن بابويه أي ابن شهربانويه صار في الفضل إلى هذه المرتبة.

وأقول: إن هذا التوجيه قد بيض وجه توجيه المحدث الكاشاني ﷺ لأنه قد أتى بشنيعة تضيق الدفاتر عن شرحها وتفنى الأعمار في جرحها فإن هذا الفاضل المسكين لم يعرف أولا أن التقدير في كلام العرب له قاعدة كلية وليس بمجرد هوى النفس يقدر الإنسان فيه ما يشاء كما فعله هذا المسكين فإن مثل هذه اللفظة المقدرة فيها ما ذكر لو صدر عن أعجمي مثله لضحك على عقله الأموات وبكت على جهله الأرضون والسماوات فكيف بمثل باقر العلم الذي في بيوتهم تنبت عروق الفصاحة وفي دارهم اخضر عود البلاغة والبراعة مع قطع النظر عن كونهم أئمة مؤيدين من عند الله ناطقين عن لسان الله ثم بعد ذلك لم يعرف أن مثل هذا الكلام على فرض صحة التقدير المذكور إنما

يقال فيمن تكون أمه من أراذل النسوان وألأمها حسبا ونسبا وأصلا وأرومة فيكون إذا صدر عن ابنها عمل مقبول شريف صار موضعا للاستعجاب كما هو ظاهر على من له مسكة في أساليب الكلام نعوذ بالله من اعوجاج الأفهام وضلال الأوهام والكلام بغير تأمل والهذر من غير تعقل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بل لو تأمل متأمل وتدبر متدبر لوجد هذا التأويل إزراء في حق نفس الإمام عليه السلام لأن مثل الاستعجاب إنما يقع في حق من لا يتوقع منه مثل هذه الفضيلة النفسانية فيكون وقوعها منه مما يستحق التنبيه عليه في مقام الاستغراب كما كان الكفار يتعجبون من حال النبي صلى الله عليه وآله ويقولون فيما بينهم (ألا ترون إلى يتيم أبي طالب كيف ملك رقاب الناس) وإنما كانوا يقولون ذلك لأنه صلى الله عليه وآله كان في نظرهم حقيرا لا يتوقعون في حقه ذلك (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) فياله من كلام كلما ازداد الإنسان فيه تأملا ازداد قبحا وشناعة على أن مضمون الخبر ليس من الفضائل العظيمة العالية حتى يكون الإمام عليه السلام ينبه من يسمع ذلك منه بكون سيد الساجدين عليه السلام قد بلغ تلك المرتبة المنيعة ليعظم ذلك في نظر السامع فيكون التنبيه عاريا عن النكتة وبالجملة لو أردنا تعداد قبائح هذا الكلام لخرجنا عن طور المقام، وإنما أطلنا القول في ذلك لفوائد كثيرة أهمها تنبيه من يتصدى بالنظر في الأخبار والكلام عليها ليكون على حذر من ارتكاب التوجيه والتأويل برأيه من غير تثبت ولا يأول كلمات أصحاب الوحي بآراء المضلين فيكون مغريا إليهم ما لم يريدوه ويدخل تحت قوله تعالى ﴿آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾[1] . فإني

---

(١) يونس ٥٩.

أجد جماعة من المحدثين قد ابتلوا بهذا الداء العضال فتراهم يخوضون في الأخبار المعصومية ويأولونها بما ركز في أذهانهم من الاعتقاد فيجعلون كلام المعصوم تابعا لرأيهم ولا يعقلون أن من شرط تأويل الآية أو الخبر وإخراجهما عن ظاهرهما كون ظاهرهما مخالفا للأصول الضرورية الثابتة في الدين أو الإجماع الكاشف عن دخول قول المعصوم فيه أو نص قطعي لا يحتمل التأويل أو دليل عقلي تعرف جميع العقول السليمة عدله كما مر في عناوين الكتاب لا أن يجعل الآية أو الخبر دائرا مدار اعتقاد الآحاد فيكون كل من تكلم فيهما ووجدهما مخالفا لما عنده أوله بما يوافق اعتقاده كما يفعلون هؤلاء وممن أفرط في هذا الشأن بعض أفاضل المحدثين من أصحابنا فإنه أول الأخبار بما مهد عنده من القواعد المجهولة الأنساب ومع ذلك عير على غيره في غير موضع من النقابة في جعلهم الكتاب والسنة تابعين لآرائهم ولم يبال جهدا في قدحهم وإزرائهم فحق في حقه قول الشاعر:

ما بال عينك لا ترى أقذاءها

وترى الخفي من القذى بجفوني

منها قوله في حدوث المشية والإرادة فإنه أول أخبار الحدوث بالإرادة بمعنى الإحداث وأثبت لله تعالى إرادة قديمة هي عين ذاته وهي كون ذات الله تعالى بحيث يختار ما هو الأصلح فأثبت أولا لذات الله تعالى كيفا وهو كونها بحيث كذا وجعله ثانيا فاعلا موجبا مضطرا لأن اختيار الأصلح إذا كان ذاتيا له لم يقدر على فعل غير الأصلح لأن الذاتي لا يتغير والله تعالى يقول لنبيه ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾[1] فنحن نسأل هذا الفاضل الإخباري ونقول أخبرنا هل كان

(١) الإسراء ٨٦.

إذهابه تعالى بما أوحى إلى نبيه أصلح فلم لم يختره واختار ضده أو غير أصلح فكيف يدعي الله تعالى ما لا يقدر عليه على قولك فإنه يخبر أنه لو شاء ذلك لفعل مع أنه ليس بأصلح فليس لذاته اختيار ذلك على معتقدك وإلا لتغيرت الذات عما هي عليه من الحيثية، الحكم لله العلي الكبير وهو على كل شيء قدير. وإنما دعاه إلى هذا الاختيار الفاسد وتأويله للأخبار بما سمعت ما أخذه تقليدا عمن تقدمه وركز في ذهنه بحيث صار عنده من الأمور القطعية من ثبوت إرادة قديمة لله تعالى فلما ورد حياض الأخبار المعصومية ووجدها ناطقة بخلاف ما اعتقده أخذ في تأويلها بما تهوى نفسه ولم يلتفت إلى نص قول الإمام المعصوم (إن الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه تعالى لا يروي ولا يتهم ولا يتفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق فإرادة الله الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له)[1]، هي.

فإنه عليه السلام حصر إرادة الله تعالى في موضعين هي الفعل والإحداث ونفى أن يكون له تعالى إرادة غير ذلك وهذا الفاضل نقل هذا الخبر ولم يكترث بما فيه حتى قال (إن لله تعالى إرادة غير ذلك وهي عين ذاته) وهو مع ذلك لم يزل يطعن على الأصوليين من أصحابنا بأنهم تبعوا آراء العامة وأصولهم ولا يعلم أنهم على فرض صدقه فيما يقول في حقهم أحسن حالا منه لأنهم تبعوهم فيما يتعلق بالفروع وهو تبعهم فيما يتعلق بأصول الاعتقاد المؤدي إلى الضلال في أصل الدين من حيث

---

(١) الكافي ج ١ ص ١٠٩ ، البحار ج ٤ ص ١٣٧ .

لا يشعر فإن القول بالإرادة القديمة أصله من مبتدعات متكلميهم وإنما قال بها بعض متكلمي الشيعة من جهة خوضهم في هذا العلم المنكوس وحسبانهم أن أصول الاعتقاد لا يستقيم إلا بتعلم هذا العلم ولم يفقهوا أن الخوض فيه لو لم يخرج المتعلم عن حيز مداليل الكتاب والسنة لم يدخله فيه وإنما الحكمة التي يجب للطالب أخذها والخوض فيها ما قررها أمناء الوحي ببياناتهم الشافية وتنبيهاتهم الكافية الوافية وأغنوا بها غنمهم عن الرعي في مراعي أعدائهم الضالين والورود على مناهل أضدادهم المضلين عصمنا الله وإخواننا المؤمنين من اتباعهم وحفظنا من الورود في مهالك آرائهم.

هذا وأقبح مما ذهب إليه هذا الفاضل وأشنع تأويل أستاذه على ما نقل هو عنه لقول أبي عبد الله عليه السلام (خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشية)[1] فإنه قال في معناه إن المراد بالمشية هنا مشية العباد لأفعالهم الاختيارية لتقدسه سبحانه عن مشية مخلوقة زائدة على ذاته وبالأشياء أفاعيلهم المترتب وجودها على تلك المشية، هي.

فانظر بالله عليك كيف أخرج التقليد مثل هذا السيد الجليل الذي تكاد تتدكدك من طنطنة إفاداته راسيات الجبال وتنشق من شقشقة عباراته قلوب الرجال عن صرافة الفطرة السليمة وسذاجة الفطنة المستقيمة حتى أول صريح الكلام إلى تأويل تستمجه الأسماع وتشمئز منه الطباع لما ترصرصت في أسارير قلبه من رسيس الشبهة القديمة وتعلقت بشراسيف ذهنه من رصيص طنحية العقيمة من غير تعمق فيما يترتب على ما قالوه من القبائح وتصرف فيما يتطفل على

(١) التوحيد ١٤٨، مختصر بصائر الدرجات ١٤١

ما زخرفوه من الفضائح وهو يقرأ حديث سليمان المروزى في حديث المشية والإرادة ويرويه ولا يحزنه التدبر فيما تضمنه والتعلق بما يقتضيه، حتى جاء تلميذ تلميذه السابق ذكره ولم يصدق تأويله ذلك وهو حمل المشية على مشية الله فقال إن لله مشيتين قديمة وحادثة كما سمعت عنه آنفا وأثبت هذا الوهم الضعيف في زبره وأورثه من بعده قوما آخرين فلم يزل يتلقاه كل خلف منهم عن سلف إلى عصرنا هذا مع ما قد أتت من عاصرناهم من هؤلاء تزييف هذا الوهم الضعيف من بيانات تذوب تكرارها جلاميد الصخور وآيات تمور من تذكارها صلاخيد الصدور ومع ذلك لم يتناهوا عمّاهم عليه عاكفون بل زادوا نفورا على نفور وجزوا إحسان من جاءهم بتلك الآيات الباهرة بالكفور فصدق عليهم قول الله تعالى ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾[1].

ثم الخطب الفظيع ما وقفت عليه من اعتراض بعض الأفاضل عليه رحمة الله في تأويله هذا المذكور بأن هذا يلزم منه كون العباد مخلوقة لله تعالى وهو باطل لا يلائم مذهب العدل وأنا ما أدرى ما أقول ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ولو كان لقلبي إقبال وأرخيت عنان القلم في هذا المجال وبينت الطريق الذي دخل على هؤلاء منه ما ترى من الأوهام الفاسدة ولكني في شؤون عن ذلك فلنقتصر على جواب المعترض.

فنقول أيها الفاضل حفظت شيئا وغابت عنك أشياء لقد طرق سمعك أن الأشاعرة قالت يكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى من غير أن يكون لهم فيها مدخلية سوى المحلية لها من غير أن يكون بقدرتهم

(١) النور ٤٠

وإرادتهم تأثير في وجودها وإيجادها ، وأن المعتزلة والإمامية أنكروا عليهم ذلك وألزموهم بلزوم قبائح لا مناص لهم عنها وقالوا بكون العباد هم الخالقون لأفعالهم ولكنك أخطأت في فهم مراد الإمامية وزعمت أنهم شركاء للمعتزلة في المراد ليس وكما زعمت فإن المعتزلة قائلون بالتفويض كما أن الأشاعرة قائلون بالجبر ومرادهم بالتفويض أن الله تعالى خلق في العباد آلات القدرة والاختيار للفعل والترك وليس له في أفعال العباد غير ذلك فالعباد هم الخالقون لأفعالهم بالاستقلال من غير أن يكون لله تعالى تأثير في فعلهم وهو كالجبر في البطلان والفساد وحاشا الإمامية أن يشركوا بالله ويثبتوا في ملكه خالقين مستقلين لا يحتاجون في حركاتهم وسكناتهم إلى صانعهم ولو آنا ما.

وإنما مراد الإمامية بذلك أن خلق العباد وجعلهم قادرين على كل من الفعل والترك والطاعة والمعصية تحقيقا للاختيار ثم أمرهم بالطاعة ونهاهم عن المعصية فمن اختار الطاعة وعمل بها فهو بحسن اختياره ومن اختار المعصية وعمل بها فهو بسوء اختياره وفي كل من الاختيارين والعملين لم يهملهم الله تعالى بأن يكون منعزلا عن ملكه مفوضا إليهم الأمر تفويض تمليك وإلا لكان الممكن مستغنيا عن المؤثر وهو محال بل كل من الفعلين جار على أيديهم بمشية من الله وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب فالله تعالى هو الموجد لكل من الحسنة والسيئة ولكن باقتضاء وسؤال استعدادي من جهة العبد لذلك وهو تعالى لا يخيب سائلا بل يعط كلا ما يستحقه ويسأله بلسان ميله واقتضائه ويحكم على كل منهم بمقتضى ما سألوه من الثواب والعقاب فصح أن العباد هم الفاعلون لأفعالهم لكن بالله لا مع الله فيكونوا

مشاركين معه في الفعل ولا بدون الله فيكونوا مستغنين عن مؤثرهم كما زعمته المعتزلة ولا الله فاعل لأفعالهم فيكونوا مبرئين مما فعلوا كما زعمته الأشاعرة. فخذه قليلا من كثير فإن المقام لا يقتضي بسط المقال في مثل هذه المسألة التي تاهت فيها الأحلام وتحيرت فيها الأفهام، وإنما أشرنا إلى شيء منها تنبيها على ما جر إليه الكلام من الفلتات الواقعة لمن تكلم بمقتضى التقليد من غير تدبر، ومن أراد حقيقة ما أومأنا إليه من الصراط المستقيم الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف فعليه بكتاب (كشف القدر) للشيخ الأعظم والطود الأفخم مولانا الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي أعلى الله مقامه الذي كتبه في الرد على رسالة السيد الشريف الأشعري في بيان هذه المسألة فإنه كاف في هذا الشأن واف شاف لمن له أنس بلحنه أعلى الله مقامه.

فحاصل المرام هنا أن الاعتراض على تأويل السيد للحديث بما ذكر اعتراض غير سديد وإن كان تأويله أيضا خارجا عن طريق السداد لكن لا من هذه الجهة بل من الجهة التي ذكرناها وأومأنا إليها إجمالا تنبيها للغافلين وتعليما للجاهلين إن كان ينفعهم نصحي ودلالتي والله ولي التوفيق.

فانزع يا أخي عن جيدك قلادة التقليد وانظر في آيات كتاب الله وسنن أنبيائه وأوليائه بالفهم السديد ولا تتخذ بعض الناس لنفسك نسبا وبعضا آخر عدوا بغير سبب فتكون ملتزما بتصحيح كلما يقول أولئك دون هؤلاء فإن هذا الداء العضال هو الذي حرم كثيرا من الناس عن شراب التحقيق وهوى بهم في كل واد سحيق فمنهم من أعجبه الميل إلى التفلسف ومنهم من جذبه هوى النفس إلى التصوف

ومنهم من قاده التقليد إلى التكلم ومنهم من أخلده الجمود على التكلف والحكم فاختار كل منهم معلما لذلك العلم الذي مال إليه ابتداء من غير تثبت أو تحقيق فبقى ينشأ على اصطلاحاته ومقاصده ويملأ سمعه من براهينه وقواعده فيتولد من بين ذلك أنس ومحبة بتلك الطريقة وبغض ونفرة عما يغايره من المسالك لأن الإنسان عدو لما جهله فإذا بلغ من ذلك إلى ما هو قصارى همته جلس في صدر التحقيق وأخذ في الإفادة على الجهال والإمعة فإذا عارضه من يخالف طريقته ومذاقه أخذته الحمية وهيجته العصبية إلى رده وترنيقه وإن ظهر له حقية من خالفه وبطلان ما في يديه لما نشأ عليه وأنست به نفسه وركز في ذهنه وشد من خرق هذا الحجاب وتمسك بمداليل السنة والكتاب وحسب نفسه من الموجودين قبل حدوث هذه الأسماء فجعل يقرأ حروف الكتابين التكويني والتدويني قراءة تحقيق وتنقير امتثالا لقوله سبحانه ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[1] وقوله ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[2] وقول رسوله الداعي إليه (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا) وإن أشكل عليه حرف منهما يرجع إلى من علم من حاله التمسك بالثقلين والأخذ من الكتابين امتثالا لقوله سبحانه ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[3] على أحد المعاني السبعين ولا ينتحل لنفسه اسما إلا ما سماه به الله وأولياؤه الهادون فلا يلتزم بتصويب قوم على الإطلاق وتخطئة آخرين بل ينظر إلى جميع الناس

(١) فصلت ٥٣
(٢) محمد ٢٤
(٣) النحل ٤٣.

بعينين مأخوذتين من الكتابين المذكورين فما وجده مطابقا لهما صدقه وما وجده مخالفا لهما كذبه علما منه بأن أولياء الله المبعوثين لهداية الناس ما كانوا متفلسفين ولا متصوفين ولا متكلمين ولا قشريين بل كانوا إلهيين ربانيين متبوعين غير تابعين يجب على جميع من دخل في حيطة أمر كن الاقتفاء بآثارهم والاقتداء بطريقتهم ومنارهم وكل من وجده من الطوائف يدعي ذلك سبره بشواهد الامتحان ولا يكتفي بمجرد الدعوى فإن طريقة محمد وآله الطاهرين واضحة بينة لا لبس فيها لأنهم بعثوا لهداية عامة الناس لا بقوم مخصوصين فكل منهم أخذ نصيبه من الكتاب ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾[1] لكن بشرط أن يكون الطالب منقطعا إليهم بالكلية مخلصا لنيته في ذلك لا يريد إلا وجه الله فإن من سلك هذا السبيل وصل إلى المطلوب لا محالة بوعد من الله في قوله ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾[2] .

وبالجملة تحول الكتابين المذكورين الذين كتبهما الله تعالى بقلم قدرته في لوح محفوظ إمامين لا مأمومين فمن وجده يأول ما فيهما تطبيقا له بقول قوم مخصوصين من غير أن يقوم لصحته شاهد صريح من الكتابين كما سمعت فيما قبل من التأويل عرف أنه خروج عن الجادة المستقيمة والطريقة القويمة لا ينبغي الالتفات إليه من أي فرقة كانت ومن أي شخص صدر ولو كان جده وأباه فإن الله قد ذم أقواما بذلك في عدة آيات ولم يرض منهم بتقليد الآباء والأمهات وتعظيم العظام الرفاة ووصى أولياؤه الهادون بأخذ العلم عن معدنه وقالوا

(١) الرعد ١٧
(٢) العنكبوت ٦٩

(انظروا علمكم هذا من أين تأخذونه)[1] فلم يرضوا بالأخذ عن كل من يتسمى بالعلم وكلما يسمى علما ولكن القوم لا يحبون الناصحين.

واعلم أني بالغت في الإطناب وخرجت عن وضع الكتاب وتعرضت بما لم يكن له كثير مناسبة للمقام لحاجة في نفسي دعتني إليه فلا يقابلني من يقف عليه بالملام والله الموفق للصواب وبه الاعتصام.

سبعة بهم يرزقون وبهم يمطرون

عن الاختصاص حدثنا جعفر بن الحسين المؤمن ، عن ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن ابن فضال ، عن ثعلبة ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : (خلقت الأرض لسبعة بهم يرزقون وبهم ينصرون وبهم يمطرون منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول وأنا إمامهم وهم الذين صلوا على فاطمة عليها السلام)[2].

يقول مصنف هذا الكتاب : إن الله تعالى خلق الأرض أولا وبالذات ليسكنها محمد وآله الطاهرون صلى الله عليهم أجمعين لأنهم الغاية القصوى من الإيجاد كما بين في محله، ثم شيعتهم عليهم السلام بالتبع، وأما من عدا هؤلاء فهم غاصبون يدبون في الأرض بغير رضا من الله وإنما أمهلهم الله تعالى لغايات يطول بها الكلام منها الودائع المؤمنون الذين في أصلابهم ومنها غير ذلك فلولا وجود المؤمنين الموحدين وهم الفرقة الناجية في الأرض لحبست السماء قطرها والأرض نباتها وبالجملة تنسد جميع أبواب الأرزاق الطيبة لأنه مقتضى كفر الكافرين إذ ليس لهم في تلك الأرزاق نصيب كما هو في الآخرة كذلك فإنهم

(١) الكافي ج١ ص٣٢.

(٢) بحار الأنوار ج٣٤ ص٣٢٧، الاختصاص ٥، روضة الواعظين ج٢ ص٢٨٠، نقد الرجال ج٣ ص٣١٩

لا يرزقون إلا ما هو من سنخهم من الأطعمة والأشربة المعدة لهم في جهنم وذلك لامتياز المجرمين من المطيعين هنالك بخلاف الدنيا فإنها دار اختلاط ولطخ فكان يأكل الكافر مما أعد للمؤمن وهو له حرام يحاسب عليه يوم القيامة ومن تتبع مطاوي الأخبار وجد هذا المطلب ظاهرا لا غبار عليه ومما يدل عليه صريحا ما رواه الصدوق في أماليه عن أمير المؤمنين عليه السلام مخاطبا لقنبر في حديث طويل إلى أن قال: (والله لولا ما في الأرض منكم لما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات ما لهم في الدنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب)[1] الحديث. ولما كان المخلصون في عهد أمير المؤمنين عليه السلام منحصرين في السبعة المذكورين، أشار الإمام عليه السلام إلى كونهم هم الغاية في وجود هذه الأمور وغيرهم من الناس مستحقين لنزول العذاب عليهم لارتدادهم وإعراضهم عن باب الله فافهم وخذه قليلا من كثير.

تأويل سورة التين

تأويل الآيات عن تفسير محمد بن العباس ما رواه محمد بن العباس رحمه الله عن محمد بن القاسم عن محمد بن زيد، عن إبراهيم بن محمد بن سعيد عن محمد بن فضيل قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أخبرني عن قول الله ﴿والتين والزيتون﴾ إلى آخر السورة. فقال ﴿التين والزيتون﴾ الحسن والحسين. قلت ﴿وطور سينين﴾ قال: ليس هو طور سينين، ولكنه طور سيناء. قال فقلت: وطور سيناء. فقال: نعم، هو أمير المؤمنين. قلت ﴿وهذا البلد الأمين﴾ قال: هو رسول الله صلى الله عليه وآله أمن الناس به من النار إذا أطاعوه. قلت ﴿لقد خلقنا الإنسان في

(١) الكافي ج٨ ص٢١٢، بحار الأنوار ج٦٥ ص٨٠، أمالي الصدوق ٦٢٦، تأويل الآيات ٧٦١

أحسن تقويم﴾. قال: ذاك أبو فضيل حين أخذ الله ميثاقه له بالربوبية، ولمحمد بالنبوة ولأوصيائه بالولاية فأقر، وقال: نعم، ألا ترى أنه قال ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ يعني الدرك الأسفل حين نكص وفعل بآل محمد ما فعل. قال قلت ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾. قال: والله هو أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾. قال: قلت ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ قال: مهلا مهلا، لا تقل هكذا، هذا هو الكفر بالله، لا والله ما كذب رسول الله بالله طرفة عين .قال قلت: فكيف هي؟ قال ﴿فمن يكذبك بعد بالدين﴾ والدين أمير المؤمنين عليه السلام ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾)[1].

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب: إن الله تعالى حين خلق الخلق خلقهم مؤمنهم وكافرهم مقرين بالله وبوسائط الإيجاد من الأنبياء والأوصياء تكوينا، بمعنى أن هيئة قبولهم للإيجاد والتكوين كان على هيئة الإقرار بصانعهم وبمن توسط بينهم وبين فعله وإلا ما وجدوا. توضيح ذلك أن الممكن بما هو ممكن لا يكون موجودا إلا بتعلق صنع واجب بإيجاده مع ما يتوقف عليه وجوده من الأسباب والوسائط لأنه لا يمكن له أن يسد فاقة نفسه، فإذا نظرت إلى الممكن وجدت نفس حقيقته ووجوده شاهدة بوجود صانع واجب بالذات ونبي وولي هما حاملا أمر الله ومترجما مشيئة الله بالنسبة إليه، وأن وجوده لا يتحقق بدون ذلك وهو معنى كون الخلق على هيئة الإقرار بالله وبحملة أمر الله وهذا هو الذر الأول الذي كلف الله فيه جميع الخلق لقبول الوجود منه وهو أخذ الميثاق منهم له بالربوبية ولمحمد

---

(١) تأويل الآيات ٧٨٨، بحار الأنوار ج٢٤ ص١٠٥، مسند الإمام الرضا -عليه السلام- ج١ ص٣٨٤

وأوصيائه بالولاية بمعنى تكليفهم مساوقا للإيجاد بانوجادهم على هيئة المخلوقية التي تشهد لخالقها بالربوبية ولنبيها بالنبوة ولوليها بالولاية ،وفي هذا التكليف لم يمتنع أحد عن قبول ذلك لأنه تكليف إيجادي، وإذا لم يقبله شيء لم يوجد، والمفروض أنهم وجدوا لأن كلامنا في الموجودين، ولما خلقهم على تلك الهيئة التي هي خلقتهم على أحسن تقويم كل بحسبه دعاهم بألسنة حججه وأوليائه إلى الإقرار التشريعي بما خلقوا عليه وبعبارة أخرى دعاهم إلى العمل بمقتضى ما فطرهم الله عليه في الخلق الأول التكويني من التوحيد والنبوة والولاية وذلك بعد أن خلقهم في الخلق التكويني مستطيعين قادرين على كل من الرد والقبول، فمنهم من آمن عملا بمقتضى فطرته الأولية ومنهم من كفر تغييرا لتلك الفطرة، فرد هؤلاء أسفل سافلين بعد ما كانت خلقتهم في أحسن تقويم وهو معنى قوله تعالى ﴿كان الناس أمة واحدة﴾[1] يعني في الخلق الأول لا كافرين ولا مؤمنين بالخلق التشريعي فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين يعني عند التكليف الثاني التشريعي، فمن قبل منهم خلق بقبوله للجنة ومن أنكر عليهم خلق بإنكاره للنار، وهذا التفصيل هو المراد بإقرار أبي فضيل في الميثاق وخلقه في أحسن تقويم، فإن هذا هو حكم الخلق التكويني، وأما رده بعد ذلك أسفل سافلين فهو حكم الخلق التشريعي في حقه لإنكاره وعدوله عن مقتضى فطرته الأصلية الشاهدة بوحدانية الحق وبنبوة رسول الله وولاية وصيه أمير المؤمنين عليه السلام فافهم ثم فافهم. فإن أمثال هذه الأخبار لم تزل في حجاب الخفاء إلى قريب من عهدنا هذا لم يرفع الحجاب عن وجوه أسرارها،

(١) البقرة ٢١٣

ولولا خوف الإطالة لكشفنا في هذا المقام عن أسرار خفية حارت فيها أحلام الحكماء وطارت عنها ألباب العلماء ولجئنا عليها بشواهد من الكتاب والسنة لا تنكر، ومع ذلك فمن تأمل في هذا الكلام المختصر ثم تدبر فيما ورد في هذا الشأن انفتح له كثير من معانيها على سبيل الشهود والعيان والله المستعان وعليه التكلان، انتهى.

أبو عبد الله يقضي في أمر رجل حفر جزءاً من عشر قامات.

الثلاثون الكافي عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن معاوية بن حكيم، عن أبي شعيب المحاملي الرفاعي قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قبل رجلا أن يحفر له بئرا عشر قامات بعشرة دراهم، فحفر له قامة ثم عجز، قال: يقسم عشرة على خمسة وخمسين جزءا، فما أصاب واحدا فهو للقامة الأولى، والاثنان للثانية، والثلاثة للثالثة، على هذا الحساب إلى عشرة)[1].

تحقيق لطيف في بعض العمليات الحسابية

أقول: وروى هذا الحديث فيه بسند آخر عن الرفاعي المذكور إلا أن فيه أنه عليه السلام قال له: جزء من خمسة وخمسين جزء من العشرة دراهم، هي.

والمعنى في الخبرين واحد توضيح ذلك أن كل قامة من القامات العشرة تزيد عن سابقتها في مئونة العمل على السواء، فكلما يفرض للأولى من الأجرة يكون الثانية ضعفه، وللثالثة ثلاثة أمثاله وهكذا، وإذا جمعنا تلك الأجزاء على الجمع الطبيعي بلغت خمسة وخمسين، وقاعدة استخراجه أن تزيد واحدا على آخر العدد المطلوب جمعه، ثم تضرب المجموع في نصف الآخر فيكون هو حاصل الجمع الطبيعي،

(١) الكافي ج٧ ص٤٣٣، التهذيب ج٦ ص٢٨٧، وسائل الشيعة ج١٩ ص١٥٩، بحار الأنوار ج١٠٠ ص١٦٩، المناقب ج٤ ص٢٥٤

ففيما نحن فيه تزيد على العشرة واحد، وتضرب الأحد عشر في نصف العشرة، وهو الخمسة يبلغ ما ذكر فيكون له إذا حفر قامة جزء من خمسة وخمسين جزء من الأجرة المعينة، وإذا حفر قامتين ثلاثة أجزاء بإضافة أجرة القامة الأولى التي هي جزء واحد إلى أجرة القامة الثانية التي هي جزءان، وإذا حفر ثلاث قامات ستة أجزاء بإضافة ما سبقها إلى الثلاثة التي هي قسط تلك القامة من الأجرة، وللأربع عشر لعين تلك العلة، وللخمسة خمسة عشر، وللست أحد وعشرون، وللسبع ثمانية وعشرون، وللثمان ستة وثلاثون، وللتسع خمسة وأربعون، وللعشرة خمسة وخمسون، فافهم وتدبر فإنه من الأحكام التي لا تسبق إلى الأذهان قبل الوقوف على الخبرين المذكورين.

تُرد حسنات أعداء أهل البيت إلى شيعتهم.

العلل أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن محمد بن أحمد عن أحمد بن محمد السياري قال: حدثنا محمد بن عبد الله ابن مهران الكوفي قال: حدثني حنان بن سدير عن أبيه عن أبي إسحاق الليثي قال: (قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يا ابن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر إذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني؟، قال: اللهم لا، قلت: فيلوط، قال: اللهم لا، قلت: فيسرق، قال: لا، قلت: فيشرب الخمر، قال: لا، قلت: فيأتي بكبيرة من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش، قال: لا، قلت: فيذنب ذنبا، قال: نعم هو مؤمن مذنب ملم،قلت: ما معنى ملم، قال: الملم بالذنب لا يلزمه ولا يصير عليه، قال فقلت: سبحان الله ما أعجب هذا لا يزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي بكبيرة من الكبائر ولا فاحشة، فقال:

لا عجب من أمر الله إن الله تعالى يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فمم عجبت يا إبراهيم سل ولا تستنكف ولا تستحي فإن هذا العلم لا يتعلمه مستكبر ولا مستحي، قلت: يا ابن رسول الله إني أجد من شيعتكم من يشرب الخمر ويقطع الطريق ويخيف السبيل ويزني ويلوط ويأكل الربا ويرتكب الفواحش ويتهاون بالصلاة والصيام والزكاة ويقطع الرحم ويأتي الكبائر، فكيف هذا؟ ولم ذاك؟ فقال: يا إبراهيم هل يختلج في صدرك شيء غير هذا؟ قلت: نعم يا ابن رسول الله أخرى أعظم من ذلك، فقال: وما هو يا أبا إسحاق؟ قال فقلت: يا ابن رسول الله وأجد من أعدائكم ومناصبيكم من يكثر من الصلاة ومن الصيام ويخرج الزكاة ويتابع بين الحج والعمرة ويحرص على الجهاد ويؤثر على البر وعلى صلة الأرحام ويقضي حقوق إخوانه ويواسيهم من ماله ويتجنب شرب الخمر والزناء واللواط وسائر الفواحش فمم ذاك؟ ولم ذاك؟ فسره لي يا ابن رسول الله وبرهنه وبيّنه فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي وضاق ذرعي، قال: فتبسم الباقر - صلوات الله عليه - ثم قال: يا إبراهيم خذ إليك بيانا شافيا فيما سألت وعلما مكنونا من خزائن علم الله وسره، أخبرني يا إبراهيم كيف تجد اعتقادهما؟ قلت: يا ابن رسول الله أجد محبيكم وشيعتكم على ما هم فيه مما وصفته من أفعالهم لو أعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهبا وفضة أن يزول عن ولايتكم ومحبتكم إلى موالاة غيركم وإلى محبتهم ما زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيكم ولو قتل فيكم ما ارتدع ولا رجع عن محبتكم وولايتكم، وأرى الناصب على ما هو عليه مما وصفته من أفعالهم لو أعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهبا

وفضة أن يزول عن محبة الطواغيت وموالاتهم إلى موالاتكم ما فعل ولا زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم ولو قتل فيهم ما ارتدع ولا رجع وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلا اشمأز من ذلك وتغير لونه ورئي كراهية ذلك في وجهه بغضا لكم ومحبة لهم، قال: فتبسم الباقر عليه السلام ثم قال: يا إبراهيم هاهنا هلكت العاملة الناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ومن أجل ذلك قال تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ ويحك يا إبراهيم أتدري ما السبب والقصة في ذلك وما الذي قد خفي على الناس منه؟ قلت: يا ابن رسول الله فبينه لي واشرحه وبرهنه، قال: يا إبراهيم إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالما قديما خلق الأشياء لا من شيء ومن زعم أن الله تعالى خلق الأشياء من شيء فقد كفر، لأنه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء قديما معه في أزليته وهويته كان ذلك الشيء أزليا، بل خلق الله تعالى الأشياء كلها لا من شيء فكان مما خلق الله تعالى أرضا طيبة ثم فجر منها ماء عذبا زلالا فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام طبقها[1] وعمها ثم أنضب ذلك الماء عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين طينا فجعله طين الأئمة عليهم السلام ثم أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ولو ترك طينتكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئا واحدا، قلت: يا ابن رسول الله فما فعل بطينتنا؟ قال: أخبرك يا إبراهيم خلق الله تعالى بعد ذلك أرضا سبخة خبيثة منتنة ثم فجر منها ماء أجاجا آسنا مالحا فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فلم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبقها وعمها ثم نضب ذلك الماء عنها ثم أخذ من ذلك الطين

فخلق منه الطغاة وأئمتهم ثم مزجه بثفل طينتكم ولو ترك طينتهم على حالها ولم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلوا ولا صاموا ولا زكوا ولا حجوا ولا أدوا الأمانة ولا أشبهوكم في الصور وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوه مثل صورته، قلت: يا ابن رسول الله فما صنع بالطينتين؟ قال مزج بينهما بالماء الأول والماء الثاني ثم عركها عرك الأديم ثم أخذ من ذلك قبضة فقال: هذه إلى الجنة ولا أبالي، وأخذ قبضة أخرى وقال: هذه إلى النار ولا أبالي، ثم خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته، فما رأيته من شيعتنا من زنا أو لواط أو ترك صلاة أو صوم أو حج أو جهاد أو خيانة أو كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه لأن من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر، وما رأيت من الناصب من مواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وأبواب البر فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه لأن من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم، فإذا عرضت هذه الأعمال كلها على الله تعالى قال: أنا عدل لا أجور ومنصف لا أظلم وحكم لا أحيف ولا أميل ولا أشطط، ألحقوا الأعمال السيئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته وألحقوا الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته ردوها كلها إلى أصلها فإني أنا الله لا إله إلا أنا عالم السر وأخفى وأنا المطلع على قلوب عبادي لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلا ما عرفته منه قبل أن أخلقه، ثم قال الباقر عليه السلام:اقرأ

يا إبراهيم هذه الآية، قلت: يا ابن رسول الله أية آية؟ قال: قوله تعالى ﴿قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون﴾ هو في الظاهر ما تفهمونه، هو والله في الباطن هذا بعينه، يا إبراهيم إن للقرآن ظاهرا وباطنا ومحكما ومتشابها وناسخا ومنسوخا، ثم قال: أخبرني يا إبراهيم عن الشمس إذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان أهو بائن من القرص؟ قلت: في حال طلوعه بائن، قال: أليس إذا غابت الشمس اتصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود إليه؟ قلت: نعم، قال: كذلك يعود كل شيء إلى سنخه وجوهره وأصله ،فإذا كان يوم القيامة نزع الله تعالى سنخ الناصب وطينته مع أثقاله وأوزاره من المؤمن فيلحقها كلها بالناصب وينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته وأبواب بره واجتهاده من الناصب فيلحقها كلها بالمؤمن، أفترى هاهنا ظلما أو عدوانا؟ قلت: لا يا ابن رسول الله، قال: هذا والله القضاء الفاصل والحكم القاطع والعدل البين لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، هذا يا إبراهيم الحق من ربك فلا تكن من الممترين هذا من حكم الملكوت، قلت: يا ابن رسول الله وما حكم الملكوت؟ قال: حكم الله حكم أنبيائه وقصة الخضر وموسى عليه السلام حين استصحبه فقال ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾افهم يا إبراهيم واعقل أنكر موسى على الخضر واستفظع أفعاله حتى قال له الخضر: يا موسى ما فعلته عن أمري إنما فعلته عن أمر الله تعالى من هذا ويحك يا إبراهيم قرآن يتلى وأخبار تؤثر عن الله تعالى من رد منها حرفا فقد كفر وأشرك ورد على الله تعالى، قال الليثي: فكأني لم أعقل الآيات وأنا أقرأها أربعين سنة إلا ذلك اليوم، فقلت: يا ابن رسول

الله ما أعجب هذا، تؤخذ حسنات أعدائكم فترد على شيعتكم وتؤخذ سيئات محبيكم فترد على مبغضيكم، قال: إي والله الذي لا إله إلا هو فالق الحبة وبارئ النسمة وفاطر الأرض والسماء ما أخبرتك إلا بالحق وما أنبأتك إلا الصدق وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد وإن ما أخبرتك لموجود في القرآن كله، قلت: هذا بعينه يوجد في القرآن، قال: نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعا في القرآن أتحب أن أقرأ ذلك عليك؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله، فقال: قال الله تعالى ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم﴾ الآية، أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله، قال: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ أتحب أن أزيدك؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله قال: ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات ويبدل الله حسنات أعدائنا سيئات وجلال الله إن هذا لمن عدله وإنصافه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه وهو السميع العليم، ألم أبين لك أمر المزاج والطينتين من القرآن؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله، قال: اقرأ يا إبراهيم ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ يعني من الأرض الطيبة والأرض المنتنة ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ يقول لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لأن الله تعالى أعلم بمن اتقى منكم، فإن ذلك من قبل اللمم وهو المزاج، أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى

يا ابن رسول الله، قال: ﴿كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ يعني أئمة الجور دون أئمة الحق ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ خذها إليك يا أبا إسحاق فو الله إنه لمن غرر أحاديثنا وباطن سرائرنا ومكنون خزائننا، وانصرف ولا تطلع على سرنا أحدا إلا مؤمنا مستبصرا فإنك إن أذعت سرنا بليت في نفسك ومالك وأهلك وولدك)[1].

تحقيق لطيف في طينة المؤمن وطينة الكافر

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب: إن مسألة الخلط واللطخ من أمهات مسائل المبدأ والمعاد وقد وردت فيها أخبار عن أهل البيت عليهم السلام وهذا أحدها غير أنها مستورة المعنى عند كثير من أهل الفضل فطالما بحث عنها الباحثون ولم يرجعوا إلا بخفي حنين ولو أنا رمنا إيراد ماقاله الناس في المقام وبيان ما يرد عليها من النقض والإبرام خرجنا عن اقتضاء المقام مع عدم فائدة مهمة يترتب عليه فلنبين ما هو حقيقة الأمر وببيانه يبطل كلما هو على خلافه فنقول وبالله التوفيق:

إن الله عز وجل خلق نفوس الخلق متساوين في الصلوح بقبول التكليف وإنكاره بسر ما أودع فيهم من صلوح الأمرين وجمعهم تحت النور الأخضر وكلفهم بالإقرار له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ولأمير المؤمنين وأولاده الطاهرين بالولاية فمنهم من آمن ومنهم من كفر فمن آمن منهم خلقه بمقتضى إيمانه خلقا ثانيا من الطينة الطيبة - طينة الإيمان- وأجرى عليها من ماء الولاية، ومن كفر خلقه بمقتضى

(١) علل الشرائع ج٢ ص٦٠٦، بحار الأنوار ج٥ ص٢٢٨

كفره خلقا ثانيا من الطينة الخبيثة -طينة الكفر والجحود- وأجرى عليها من الماء الأجاج ماء إنكار الولاية، ولما أراد أن ينقلهم من ذلك العالم إلى عالم الأجسام دار التكليف الثاني أخذت طينة السعداء في النزول من عليين وهو مبدؤها الذي أخذت منه وطينة الأشقياء في الصعود من سجين وهو مبدؤها الذي أخذت منه فاختلط كل من الطينتين بالآخر في الطبيعة الجسمانية إلى أن اجتمعوا في الدنيا، وذلك ما ترى من اختلاط طينة جميع الناس في غيوب الأفلاك والعناصر والمعادن والنبات والحيوان فإن نطف الخلق لما نزلت من عالم الملكوت استجنت في خزائن تلك الأشياء المذكورة إلى أن استقرت في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات بواسطة المآكل والمشارب فهذا هو معنى الخلط بين الطينتين ومن هنا يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن وهو تأويل قوله تعالى ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾[1].

هذا ومن البين أن المجاورة والمصاحبة والممازجة بين شيئين مما يوجب التأثير والتأثر من طبع كل منهما في الآخر بشرط وجود الاستعداد لذلك في طبع المنفعل، فبمقدار استعداده ينفعل من طبع ما يجاوره ويمازجه ومثاله الماء المنفعل من الأراييح الطيبة والخبيثة ونظائر ذلك ولما كانت طينة الأنبياء والأوصياء والممتحنين من المؤمنين في كمال قوة الإجابة الموجبة لانضعاف جهة ظلمة الإنية فيهم بحيث لا تقتضي العصيان لا بنفسها ولا بمعونة مجاورة الغير لها لم يؤثر فيها هذا الخلط والممازجة فبقيت على الصرافة الأصلية، وكذا طينة رؤساء الكفار والمنافقين في جانب العكس. وأما سائر الخلق من الفريقين

---

(١) سورة يونس ٣١

فحيث إن طينتهم ضعيفة الإجابة وذلك موجب لا محالة لبقاء شيء من أحكام ظلمة الإنية في المؤمنين ونور الوجود في المنكرين وهو يوجب استعداد الانفعال من لطخ طينة المجاور فلا جرم تأثرت تلك الطين - بكسر الطاء وفتح الياء - بعضها من طبع بعض عند النزول والامتزاج في الخزائن العلوية والسفلية فصار المؤمن الضعيف في دار الدنيا مصدر القبائح والشرور والكافر مصدرا للحسنات والخيرات، مع أن طينة المؤمن نورانية لا تقتضي بالذات الشرور وطينة الكافر ظلمانية لا تقتضي بالذات الخيرات، فالمؤمن من حيث هو لو خلي وطبعة لم يفعل إلا الخير وإن كان قادرا على الشر كونا، والكافر من حيث هو لو خلي وطبعه لم يفعل إلا الشر وإن كان قادرا على الخير كونا، لكن المجاورة أثرت في كل منهما حتى صارا بالعرض منشأين لما لا يقتضي طبعهما الشرعي وإن كانا بالطبع الكوني قادرين مختارين، فإذا أخذ كل من الفريقين في العود يقتضي حكم العدل أن يرجع أثر كل شيء إلى أصله فيلحق الله الأعمال الحسنة التي صدرت عن الكافر بالمؤمن والسيئة التي صدرت عن المؤمن بالكافر كما نطق به الحديث الشريف وما في معناه من الأخبار.

فإن قيل متقضى هذا التفصيل هو أن لا يعذب المؤمن المسيء بأعماله السيئة أبدا لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة، وكذا لا يخفف عن الكافر ولا يجازى بالأعمال الحسنة في شيء من الدور الثلاث أبدا وكلا الأمرين خلاف المعروف من المذهب، وأيضا إذا كان كل من الحسنة والسيئة يلحق بأصله فما الفائدة في هذا الخلط واللطخ؟

قلنا: هذا الحرف هو الذي خفي على كثير من الناس فتاهوا في بيداء

الخيال والوسواس وكشف الحيرة بأن طينة المؤمن وإن كانت لو خليت وطبعها لم تمل إلى المعصية ولا تكون مصدرا لها، وكذا طينة الكافر في العكس لكن قد أشرنا في طي الكلام إلى أنه لا بد في كل من الطينتين في قبول أثر اللطخ من وجود استعداد قريب لذلك بحيث إذا لحقه معين جعله منشأ للأثر الحاصل من اللطخ والخلط بالفعل، وذلك الاستعداد منشؤه ضعف الإجابة في المؤمن وضعف الإنكار في الكافر وكلا الضعفين ناشئان منهما باختيارهما، فالسيئة في المؤمن لها منشآن أحدهما ذاتي وهو اللطخ ولذا يخلد بها الكافر في النار والآخر عرضي وهو ذلك النقص الموجود في المؤمن الموجب لتعلق اللطخ به ومن جهة كون ذلك النقص منشأ لتلك المعصية بالعرض لا يكون المؤمن بها مخلدا في العذاب بل يؤول مآله إلى النعيم وكذا الحسنة في الكافر حذو النعل بالنعل، وحيث عرفت هذا التفصيل عرفت أنه لا تنافي بين لحوق كل من الحسنة والسيئة بأصله وبين تعذيب المؤمن بعصيانه مدة منقطعة إن لم تلحقه شفاعة شافع وتخفيف العذاب من الكافر كذلك وكذا عرفت أن فائدة الخلط واللطخ إبراز ما في كمون كل من المؤمن والكافر مما هو مستعد بطبعه له ليتم التكليف والجزاء على النحو الأتم فافهم واغتنم.

وأحب نقل كلامين لشيخنا الأعظم العلام الإحسائى أنار الله برهانه في المقام لاشتمالهما على دفع الإشكالين المذكورين وزيادة.

قال أعلى الله مقامه في شرح الجامعة في شرح قوله ﷺ : (وجعل صلواتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم ...إلخ) ما هذا عبارته: وكفارة لذنوبهم ؛ لأن قبولهم الولاية دخولهم في الرحمة التي هي تلك

الصلوات التي جعلها الله منهم عليهم تزكية لهم ، فلم يكن في حقيقتهم ظلمة تقتضي مقارنة الذنوب، ولكن حين كسروا بعد التكليف الأول، ورجعوا إلى الطين أصابهم لطخ من مجاورة أهل النار ، وبذلك اللطخ قارنوا الذنوب ، ولما كانت هذه الذنوب ليست من حقيقتهم ، وإنما هي من لطخ طينة أعداء أئمتهم عليهم السلام ؛ اقتضت الحكمة أن ترجع تلك الذنوب إلى أولئك الأعداء ؛ لأنها من طينتهم كما هو شأن العدل.

نعم إن ذلك اللطخ إنما جاز أن يتعلق بالمؤمن الذي حقيقته من نور، مع أن ذلك اللطخ ظلمة ، لأن في المؤمن شيئا من الظلمة وهو الذي تقوّم به وجوده، وهو وإن كان قد استولى عليه نور الوجود بحيث لا يقتضي من نفسه الذنوب إلا بمعونة غيره ، إلا إنه قد بقيت فيه شائبة الظلمة والسواد ، فلهذا يكون لونه أزرق ، وهذه الزرقة من لون تلك الظلمة المشوبة بالنور ، فكان بينه وبين ذلك اللطخ مناسبة ، فتعلق به اللطخ المقتضي للمعصية ، فكان ذلك الشيء بضمه إلى ذلك اللطخ صالحا للمعصية ، فكانت هذه الذنوب وقعت بمقتضيين : مقتضى ذاتي وهو اللطخ ، ومقتضى عرضي وهو ذلك الشيء من المؤمن ، فما كان من الذاتي رجع إلى الكافر ، وما كان من العرضي رجع إلى المؤمن، فلما انبسط على المؤمن من نور الولاية وتخلله ماء المحبة زال عنه ذلك العرضي ، لأنه كالثوب لما أصابته نجاسة من بول الغير وأصابه الماء الجاري زالت عنه النجاسة ، رجع الثوب إلى أصله من الطهارة). انتهى ما أردنا نقله من الكتاب المذكور.

وقال أعلى الله مقامه في بعض إفاداته في بيان أسرار تألم أهل النار وتنعم أهل الجنة، قال : بقي هنا إشكالان يردان على ظاهر ما قررناه،

أحدهما: أن الأخبار قد تواترت معنى أن حسنات أعداء الدين ترجع إلى المؤمنين، لأنها مقتضى الخلط الذي هو من سنخهم وسيئاتهم ترجع إلى الأعداء، لأنها مقتضى اللطخ الذي هو من سنخهم ، كما دلت عليه أحاديث الطينة وأنتم تقولون بذلك... إلى أن قال : والجواب عن الأول يعرف من ملاحظة أصل، وهو أن الشيء إذا ضم إلى آخر كان عنه أثران: أحدهما ذاتي هو مقتضى ذاته ، والثاني عرضي يحدث عنه بالانضمام إلى الآخر ، وأثر ذلك اللطخ لأهل الجنة وأهل النار من هذا القبيل، فالأثر الذاتي من لطخ أهل الجنة في أهل النار يرجع إلى أهل الجنة لأنه أثر سنخهم ، والأثر العرضي منه يلزم أهل النار، لأن ما كان بالانضمام ليس من أهل الجنة ، لأنه عارض لسنخهم من أهل النار ، وإن كان لا يكون بدونه. وكذلك الأثر الذاتي من لطخ أهل النار في أهل الجنة يرجع إلى أهل النار لأنه أثر سنخهم ، والعرضي يلزم أهل الجنة فيعذبون به في الحظيرة حتى يطهروا. فإذا قيل أهل الجنة يعذبون في الحظائر بمعاصيهم فالمراد بها عرضية لطخ أهل النار ، وإذا قيل إن سيئاتهم ترد على أهل النار لأنها منهم من سنخهم ، فالمراد بها ذاتية اللطخ وهكذا حكم أهل النار في العكس فافهم، انتهى كلامه زيد مقامه.

واعلم أن هذه المسألة العويصة لم تنفتح أقفالها إلا بمفتاح لسان هذا الحبر العظيم الشأن، فاشكر ما أهداه إليك لئلا تكون من الكافرين بنعمة الله. وإن أردت تحقيق ما قلنا فالق هذا الإشكال إلى من شئت ممن جانبوا هذا المشرب العذب حتى ترى تصديق ما نقول ، فإنك تجدهم يتكلمون بأضغاث أحلام لا تحتمل التأويل عند من له فهم قليل وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم إن الكلام على جمع شؤون هذه المسألة ودقائقها ، مما يستدعى تأليف كتاب منفرد في شأنه ، ولذا اكتفينا منها في هذا الكتاب الذي ليس موضوعا لهذا الشأن بأخصر البيان إيقاظا لمن له عينان ، وفصلنا البيان فيها في الجملة، مع الإشارة إلى بعض ما يبتني عليه فهم المسألة بتقريب جر إليه الكلام في كتاب لنا موسوم بمفاتح الغيب في بيان علم الأئمة عليهم السلام والأصل في ذلك كله البيانات المتفرقة الصادرة عن هذا البحر الزاخر والعلم الباهر إن وفقت بفهم دقائق كلامه والله ولي التوفيق.

عظمة أجر زيارة الأئمة

الثالث والتسعون وفيه محمد بن يحيى عن حمدان القلانسي ، عن علي ابن محمد الحضيني ، عن علي بن عبد الله بن مروان ، عن إبراهيم بن عقبة قال : (كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن زيارة أبي عبد الله الحسين، وعن زيارة أبي الحسن وأبي جعفر عليهما السلام أجمعين ، فكتب إلي أبو عبد الله عليه السلام المقدم ، وهذا أجمع وأعظم أجرا)[1] .

تحقيق في تفضيل زيارة الكاظمين على زيارة الحسين عليهم السلام

أقول المراد بأبي الحسن وأبي جعفر الكاظم والجواد عليهما السلام ، والعلة في تفضيل زيارتها على زيارة أبي عبد الله عليه السلام ؛ أن الزيارة لقبورهم عليهم السلام لها غاية داخلة وغاية خارجة ، أما الداخلة فهي تكميل النفس بالتوجه إليهم والاستفاضة منهم ، وأما الخارجة فهي إظهار الموالاة للمزور ، والبراءة من أعدائه ، وهو أمر مرغوب فيه إذا لم يكن هنا مانع شرعي لكونه موجبا لتشهير أعلام الحق ، وهذا المقصود أبلغ حصولا في زيارتها منه في زيارة الحسين عليه السلام ، لأن كل من يواليها ويقول بإمامتها

---

(١) الكافي ج ٤ ص٥٨٣، التهذيب ج٦ ص٩١، الوسائل ج ١٤ ص ٥٧٠، البحار ج٩٩ ص٢، عيون الأخبار ج٢ ص٢٦١، كامل الزيارات ٣٠٠، كتاب المزار ١٢٠

فهو موال، وقائل بإمامة كل من قبلهما من الأئمة بخلاف الحسين عليه السلام؛ فإنه غير مستلزم لذلك، فإن من القائلين بإمامته وولايته ظاهرا من لا يقول بإمامة كثير ممن بعده من الأئمة: كالكيسانية والواقفية والفطحية والإسماعيلية وغيرهم من الطوائف المختلفة من الشيعة، وهو وجه كون زيارتهما أجمع، ومنه يعلم كونه أعظم أجرا أيضا، وقد أشار إلى هذا السر الجواد عليه السلام في حديث آخر حين سئل عن زيارة الحسين عليه السلام وزيارة الرضا عليه السلام، أيهما أفضل فقال عليه السلام: زيارة أبي أفضل، وذلك إن أبا عبد الله عليه السلام يزوره أناس وأبي لا يزوره إلا الخواص من الشيعة، هي. هذا واعلم أن الأفضلية في الزيارة من هذا الجهة لا تستلزم الأفضلية على الإطلاق، فيمكن أن يكون لكل من الزيارات وجه فضيلة على الأخرى من جهة مخصوصة هي مفقودة في الأخرى فلا تناقض بين الأخبار ولا اختلاف.

اطلع سلمان على مكانة من أقر بالولاية

عن كتاب نوادر المعجزات لبعض قدماء أصحابنا بإسناده إلى الصدوق، عن محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن زكريا، عن أبي المعافا، عن وكيع، عن زاذان، عن سلمان قال: (كنا مع أمير المؤمنين عليه السلام ونحن نذكر شيئا من معجزات الأنبياء عليهم السلام، فقلت له: يا سيدي أحب أن تريني ناقة ثمود وشيئا من معجزاتك، قال: أفعل، ثم وثب فدخل منزله وخرج إلي، وتحته فرس أدهم، وعليه قباء أبيض، وقلنسوة بيضاء، ونادى: يا قنبر أخرج إلي ذلك الفرس، فأخرج فرسا أغر أدهم، فقال لي: اركب يا أبا عبد الله، قال سلمان: فركبته فإذا له جناحان ملتصقان إلى جنبه، فصاح به الإمام عليه السلام فتحلق في الهواء،

وكنت أسمع خفيق أجنحة الملائكة تحت العرش، ثم خطرنا على ساحل بحر عجاج مغطمط الأمواج، فنظر إليه الإمام شزرا، فسكن البحر، فقلت: يا سيدي سكن البحر من غليانه من نظرك إليه، فقال : يا سلمان حسبني أني آمر فيه بأمر، ثم قبض على يدي وسار على وجه الماء والفرسان يتبعاننا لا يقودهما أحد، فوالله ما ابتلت أقدامنا ولا حوافر الخيل، فعبرنا ذلك البحر ووقعنا إلى جزيرة كثيرة الأشجار والأثمار والأطيار والأنهار، وإذا شجرة عظيمة بلا ثمر بل ورد وزهر، فهزها بقضيب كان في يده فانشقت، وخرج منها ناقة طولها ثمانون ذراعا وعرضها أربعون ذراعا خلفها فصيل، فقال لي: ادن منها واشرب من لبنها، فدنوت وشربت حتى رويت، وكان أعذب من الشهد، وألين من الزبد، وقد اكتفيت، قال: هذا حسن، قلت: حسن يا سيدي، قال: تريد أن أريك أحسن منها؟ فقلت: نعم يا سيدي، قال: يا سلمان ناد اخرجي يا حسناء، فناديت فخرجت ناقة طولها مائة وعشرون ذراعا، وعرضها ستون ذراعا من الياقوت الأحمر، وزمامها من الياقوت الأصفر، وجنبها الأيمن من الذهب، وجنبها الأيسر من الفضة، وضرعها من اللؤلؤ الرطب، فقال : يا سلمان اشرب من لبنها، قال سلمان: فالتقمت الضرع فإذا هي تحلب عسلا صافيا محضا، فقلت: يا سيدي هذه لمن؟ قال : هذه لك ولسائر الشيعة من أوليائي، ثم قال لها: ارجعي، فرجعت من الوقت، وسار بي في تلك الجزيرة حتى ورد بي إلى شجرة عظيمة، وفي أصلها مائدة عظيمة عليها طعام تفوح منه رائحة المسك، وإذا بطائر في صورة النسر العظيم، قال: فوثب ذلك الطير، فسلم عليه ورجع إلى موضعه، فقلت: يا سيدي ما هذه المائدة؟

قال: هذه منصوبة في هذا الموضع للشيعة من موالي إلى يوم القيامة، فقلت : ما هذا الطائر؟ فقال : ملك موكل بها، فقلت: وحده يا سيدي؟ فقال: يجتاز به الخضر في كل يوم مرة، ثم قبض على يدي فسار بي إلى بحر ثان فعبرنا، وإذا بجزيرة عظيمة فيها قصر لبنة من الذهب ولبنة من الفضة البيضاء، وشرفه العقيق الأصفر، وعلى كل ركن من القصر سبعون صنفا من الملائكة، فجلس الإمام عليه السلام على ذلك الركن، وأقبلت الملائكة تأتي وتسلم عليه، ثم أذن لهم فرجعوا إلى مواضعهم، قال سلمان: ثم دخل عليه السلام إلى القصر فإذا فيه أشجار وأنهار وأطيار وألوان النبات، فجعل الإمام عليه السلام يمشي فيه حتى وصل إلى آخره، فوقف على بركة كانت في البستان، ثم صعد إلى سطحه، فإذا كراسي من الذهب الأحمر، فجلس عليه وأشرفنا منه فإذا بحر أسود يغطمط بأمواجه كالجبال الراسيات، فنظر إليه شزرا فسكن من غليانه حتى كان كالمذيب فقلت: يا سيدي سكن البحر من غليانه لما نظرت إليه، قال : حسبني أني آمر فيه بأمر، أتدري يا سلمان أي بحر هذا؟ فقلت: لا يا سيدي فقال: هذا البحر الذي غرق فيه فرعون وقومه، إن المدينة حملت على معاقل جناح جبرئيل، ثم رمى بها في هذا البحر فهويت لا تبلغ قراره إلى يوم القيامة، فقلت: يا سيدي هل سرنا فرسخين؟ فقال : يا سلمان لقد سرت خمسين ألف فرسخ، ودرت حول الدنيا عشرين مرة، فقلت: يا سيدي وكيف هذا؟ فقال: يا سلمان إذا كان ذو القرنين طاف شرقها وغربها، وبلغ إلى سد يأجوج ومأجوج، فأنى يتعذر علي وأنا أخو سيد المرسلين وأمين رب العالمين وحجته على خلقه أجمعين، يا سلمان أما قرأت قول الله تعالى حيث قال﴿عالم الغيب فلا يظهر

على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول﴾ فقلت: بلى يا سيدي، فقال : يا سلمان أنا المرتضى من الرسول الذي أظهره على غيبه، أنا العالم الرباني، أنا الذي هون الله علي الشدائد وطوى لي البعيد، قال سلمان: فسمعت صائحا يصيح في السماء، نسمع الصوت ولا نرى الشخص، يقول: صدقت صدقت أنت الصادق المصدق، ثم وثب فركب الفرس وركبت معه وصاح به، فتحلق في الهواء، ثم حضرنا بأرض الكوفة، هذا وما مضى من الليل ثلاث ساعات فقال: يا سلمان الويل ثم الويل على من لا يعرفنا حق معرفتنا، وأنكر ولايتنا، يا سلمان أيما أفضل محمد أم سليمان بن داود؟ قلت: بل محمد ﷺ، فقال: يا سلمان فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين، وعنده علم من الكتاب ، ولا أفعل ذلك وعندي علم مائة ألف كتاب وأربعة وعشرين ألف كتاب أنزل منها على شيث بن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، والتوراة والإنجيل والزبور، فقلت: صدقت يا سيدي، قال الإمام عليه السلام: اعلم يا سلمان إن الشاك في أمورنا وعلومنا كالممتري في معرفتنا وحقوقنا، وقد فرض الله عز وجل ولايتنا في كتابه وبين فيه ما أوجب العمل به وهو غير مكشوف)[1] .

تحقيق لطيف حول عدد المرات التي دار فيها سلمان حول الأرض مع الإمام

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب عفا الله عنه: وروى هذا الخبر عن الكتاب المذكور الشيخ عبدالله بن نور الله البحراني في المجلد السابع والعشرين من كتابه العوالم، وهو مجلد السماء والعالم،

(١) بحار الأنوار ج٥٤ ص٣٣٩ وج٤٢ ص٥٠، نوادر المعجزات ١٥، المحتضر ١٦٠، مدينة المعاجز ج١ ص ٥٣٥.

ورواه أيضا عن الكتاب المذكور -أعني نوادر المعجزات- بعض إخواننا المعاصرين وفقه الله لمراضيه في كتاب له سماه نفس الرحمن في فضائل سلمان، ثم استظهر أن مؤلف النوادر المذكور أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الشيعي كما يظهر من صدر جملة من أسانيده، ثم أورد إشكالا حاصله أنه عليه السلام قال: (لقد سرت خمسين ألف فرسخ ودرت حول الدنيا عشرين ألف مرة) كما في نسختي من الكتاب، أو عشرين مرة كما في البحار، أو عشر مرات كما رأيته بخط المحدث الفاضل علم الهدى ابن المولى محسن الكاشاني في كتابه درر البحار، وشيء منها لا ينطبق على مساحة الأرض؛ لأن مقدار محيط الدائرة العظمى من الأرض ثمانية آلاف فرسخ عند القدماء، وستة آلاف وثمانمائة فرسخ عند المتأخرين بناء على اختلافهم في مقدار الدرجة الأرضية، فعلى الأول يكون مقدار المسير على النسخة الأولى مائة وستين ألف ألف فرسخ، وعلى الثانية مائة وستين ألف فرسخ، وعلى الثالثة ثمانين ألف فرسخ، وعلى الثاني، فعلى الأولى مائة ألف وستة وثلاثين ألف ألف فرسخ، وعلى الثانية مائة ألف وستة وثلاثين ألف فرسخ، وعلى الثالثة ثمانية وستين ألف فرسخ، وتلك القواعد مبنية على براهين حسية لا يتطرق إليها الهندسة .

ثم نقل عن بعض أفاضل السادة أنه أجاب عن الإشكال بأنه لا يفهم من هذا الكلام أن جميع العشرين ألف دورة؛ كانت في هذه الخمسين ألف فرسخ بل ربما كان المراد الإخبار بوقوع كل منهما لا وقوعها فيها، ولو سلم فليس ما ذكروه من الضروريات حتى لا يجوز خلافه، وأيضا ربما كانت مسيرة فرسخ في قوة مسيرة عدة فراسخ على

أنه لم يخصص المسير بالأرض، بل الحديث دال على أن المسير شامل للأرض وغيرها، لأن تلك الجزائر والقصور وما أعد الله فيها ليست في الأرض، ويؤيده قوله (ودرت حول الدنيا عشرين ألف دورة) ثم قال صاحب الكتاب أيده الله تعالى في دفع الإشكال، وأقول إن الدورة لا تلزم أن تكون على الدائرة العظمى، بل يحتمل أن تكون على بعض الدوائر الصغار الموازية لها، ومقدار مسافة تلك الدوائر يقل شيئا فشيئا، فإن مقدار الدرجة طولا في خط الاستواء سبعة وستون ميلا على رأي القدماء، وفي عرض ينقص أربعة أميال، وفي لام عشرة أميال وفي م ستة عشر ميلا، وفي أنه أحدا وعشرين ميلا، وفي س ينقص بقدر نصفها، وفي ع يبقى ثلثها فيمكن تطبيق الخبر على ما ذكروه في بعض تلك العروض، انتهى ملخص ما ذكره أدام الله تأييده.

وأنا أقول: إن بعض تلك الأجوبة بناء على الجمود على الظاهر فيه مقنع لدفع الإشكال وبعضها على خلاف المطلوب أدل، وهو قول السيد المذكور أنه لم يخصص المسير بالأرض..إلخ ؛ لأن الإشكال إنما نشأ من كون الخمسين ألف فرسخ، لا نفي لمقدار الدوران حول الدنيا بالعدد المذكور لو خصصنا الدوران بحول الأرض الظاهرة فقط، فكيف بما يزيد عليها فتدبر هذا، ولكن التحقيق بعد ذلك كله أن العوالم المذكورة في هذا الخبر وما في معناه من الأخبار كحديث البساط الكبير وغيره مما ذكر أو سيذكر ليست من عوالم ظاهر الأرض، بل من العوالم الباطنة وهي من ملكوت تلك السماوات والأرضين الظاهرة، ومن المحقق بالبراهين الحكمية أن الباطن أقرب إلى المبدأ من الظاهر، كما أن

من المحقق أن كل ما كان أقرب إلى المبدأ كان ألطف وأوسع بالنسبة إلى ما تحته في الرتبة، فربما يكون ما هو تحته رتبة مع ما له من سعة الدائرة بالنسبة إلى سعة فضائه كحلقة ملقاة في فلاة، ومن المعلوم أن فرسخ كل عالم أيضا يكون بحسبه وعليه، فربما يكون فرسخ واحد من فراسخ بعض تلك العوالم الباطنة يساوي مجموع مقدار محيط الدائرة العظمى من هذه الأرض الظاهرة، بل وجميع عالم الدنيا بسماواتها وأراضيها، فكيف بالفراسخ وليست النسبة بين تلك العوالم وبين هذه الأرض الظاهرة نسبة وضعية كنسبة الأجسام بعضها إلى بعض؛ حتى يكون كل فرسخ منها وإن بلغ ما بلغ يحاذي جزء من أجزاء كرة الأرض أو كرة عالم الجسم برمته كما هو حال نسبة درجات الفلك الأعظم وما بعده من الأفلاك إلى درجات كرة الأرض إذا قسمنا كلا من تلك الأكر على ثلاثمائة وستين درجة مثلا، فإن السائر على دائرة الفلك الأعظم إذا قطع درجة واحدة منها ونسبنا سيره ذلك إلى ما لا أزيد، وإنما النسبة بينهما نسبة الروح والجسد، فمكان تلك العوالم روح هذه الأمكنة الجسمانية وامتداداتها الوقتية روح هذه الامتدادات الزمانية، فالآن الواحد منها مستوعب لجميع أجزاء الزمان الذي هو ظرف امتداد الأجسام، وكذا محلها بالنسبة إلى محل الأجسام وهو قوله تعالى ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ وإن أردت تصور ذلك فانظر في حال نفسك بالنسبة إلى حال جسمك، فإن نفسك تتصور من الدائرة المفروضة على كرة الأرض قطع منها أيضا درجة جميع أجزاء الزمان الماضية والمستقبلة بتصور واحد في لحظة واحدة، ولا يصل جسمك إلى تلك الأجزاء إلا بالتدريج شيئا بعد شيء في مدة متطاولة،

وإن هو إلا لكون نفسك جوهرة ملكوتية مجردة عن الحدود الزمانية الجسمانية، فتحيط بأول الزمان وآخره بالتفاتة واحدة، ونظر واحد، بخلاف جسمك فإنه محدود بالحدود الزمانية فلا يقطعها إلا بالتدريج، نعم لو بلغ الجسم في اللطافة بمعونة سحق التأديبات الشرعية إلى حد الكمال الذي هو ممكن فيه شابه الروح وحكى أفعالها فصار حكمه حكم الروح في طي الأزمنة والأمكنة وما أشبه ذلك من الأحكام الروحية هذا في سائر الناس، وأما المعصومون عليهم السلام ولا سيما محمد وآله الطاهرون صلى الله عليه وعليهم أجمعين، فهذا حال أجسامهم الشريفة من بدو الأمر بمقتضى بدء شأنهم، ولا تمنع الأعراض الزائلة التي كانوا أخذوها لأنفسهم لأجل تكميل الخلق عن ظهور الآثار الخارقة للعادة من أجسامهم الشريفة لعدم كونهم مقهورين تحت تلك الأعراض كسائر الناس، ألا ترى رأس مولاك الحسين سيد الشهداء روحي له الفداء كيف كان يقرأ القرآن على السنان مع أنه صلوات الله عليه قد كان فارقت روحه جسده الشريف؛ وإن هو إلا لأن جسده الشريف كان بحكم الروح ينطق ويشعر ويعقل ويتحرك حركة إرادية بنفسه من دون معونة من الروح، وكيف لا يكون كذلك وقد خلقت أفئدة الأنبياء من شعاع تلك الأجسام الشريفة بحكم مدلول الأخبار الصحيحة والعقول المستنيرة بنور الله، فإذا تبين عندك حال تلك العوالم ونسبتها إلى هذا العالم الظاهري انحل عندك الإشكال من غير حاجة إلى ما ذكر والحمد لله رب العالمين . ثم إن شيخنا المجلسي رحمه الله استغرب هذا الخبر بعد نقله وهو غريب؛ لأنه إن كان من جهة وجود عالم بهذا الوصف، فقد ملأ هو نفسه كتابه البحار ولا سيما

كتاب (السماء والعالم) منه من ذكر أخبار مأخوذة من كتب وأصول معتبرة تدل على وجود عوالم متعددة، واشتمالها على أمور أغرب مما ذكر في هذا الخبر، وإن كان من جهة سير أمير المؤمنين عليه السلام وتسييره لمن معه إلى تلك العوالم، فهل المعجز إلا مثل هذه الأمور، فالمستغرب لذلك يجب أن يستغرب جميع المعجزات في حق أصحاب المعاجز مع أن حديث البساط وأصحاب الكهف مما لا يمكن إنكاره لاستفاضته بين الخاصة والعامة، وأي فرق بينه وبين هذه الواقعة في المؤدى على أن معراج رسول الله صلى الله عليه وآله والتفاصيل الواقعة فيه في مدة يسيرة لا تسع في الظاهر جزء من مائة ألف ألف جزء من معشارها، وأستغفر الله عن التحديد بالقليل لم يترك في أمثال هذه المعجزات لذي مقال مقالا ولا سيما على مذهب الشيعة القائلين بكون الولاية تالي النبوة إلا في خواص معدودة، فلا حاجة إلى التجسم في الاستدلال في كل خبر خبر، والالتفات إلى أمثال هذه الاستغرابات.

أمير المؤمنين يطلع سلمان عن خبر الأسد وطاقة الورد

عن أحسن الكبائر للقشيري قال: (كان أمير المؤمنين عليه السلام قاعدا على سطح بيت يأكل الرطب، وهو إذ ذاك ابن سبع وعشرين وسلمان قاعد في صحن الدار يرقع خرقة له، فرماه علي عليه السلام بنواة من رطب، فقال سلمان: تمازحني يا علي، وأنا شيخ كبير، وأنت شاب حدث السن، فقال علي عليه السلام: يا سلمان حسبت نفسك كبيرا ورأيتني صغيرا، أنسيت دشت أرزن ومن خلصك هناك من الأسد، قال: ولما سمع سلمان ذلك فزع وقال: أخبرني كيف ذلك؟ فقال علي عليه السلام: إنك كنت واقفا في وسط الماء تفزع من الأسد، فعند ذلك رفعت يدك بالدعاء

وسألت الله عز وجل أن ينجيك منه فاستجيبت دعوتك، وقد كنت أنا إذ ذاك أمر في تلك الصحراء، فأنا ذلك الفارس الذي كان درعه على كتفه والسيف بيده، فجردت السيف وضربت الأسد فقسمته نصفين وخلصتك منه. فقال سلمان: إن لذلك علامة أخرى، قال: فمد أمير المؤمنين عليه السلام يده وأخرج من كمه طاقة ورد طري، وقال: هذه هديتك التي أهديتها لذلك الفارس في ذلك المكان، قال: فلما رأى سلمان ذلك ازداد تحيرا، وإذا بهاتف يناديه: يا شيخ امض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله واقصص عليه قصتك، قال: فمضى سلمان رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعل يقص عليه قصته، ويقول: يا رسول الله إني قرأت نعتك في الإنجيل، ورسخ حبك في قلبي، وتركت جميع الأديان غير دينك، وكنت أخفي ذلك من أبي، ولما وقف على ذلك مني أراد قتلي لكن منعه عن ذلك إشفاقه على أمي وكان يدبر الحيلة في قتلي، فكان يكلفني الأعمال الصعبة ويأمرني بها، ففررت منه لذلك إلى أن وقعت في بادية أرزنة، فنمت به ساعة وعرض لي احتلام، ولما انتبهت سرت إلى عين هناك ونزعت ثيابي ودخلت الماء لأغتسل من الجنابة، وإذا أنا بأسد قد طلع من ناحية وجاء حتى وقف على ثيابي، ولما رأيت ذلك فزعت منه وجعلت أدعو وأتضرع وأسأل النجاة من الأسد، وإذا أنا بفارس قد طلع فضرب الأسد بسيفه، فقده بنصفين، فخرجت أنا من الماء وانكببت على ركابه أقبله، وكان الفصل فصل الربيع والصحراء مشتملة على الورد والرياحين، فعمدت إلى طاقة ورد وأهديتها له، ولما أخذها مني غاب عني، فلم أر منه بعد ذلك عينا ولا أثرا، وقد جاءت على هذه الواقعة بضع وثلاثمائة سنة ولم أقصصه عند أحد، وقد

أخبرني الآن بذلك ابن عمك علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا سلمان إنه ليس بعجب من أخي، فإني قد رأيت منه أعجب من ذلك، يا سلمان لما أسري بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى تخلف عني جبرئيل، فعرجت إلى عرش ربي، فبينا يناجيني الله تعالى وأنا أناجيه وإذا أنا بأسد واقف قدامي، فنظرت وإذا هو علي بن أبي طالب، ولما رجعت إلى الأرض دخل علي وسلم علي وهنأني بمواهب ربي وعناياته لي، ثم جعل يخبرني بجميع ما جرى بيني وبين ربي من الكلام، اعلم يا سلمان أنه ما ابتلي أحد من الأنبياء والأولياء منذ عهد آدم إلى الآن ببلاء؛ إلا كان علي عليه السلام هو الذي نجاه من ذلك).

تحقيق لطيف في تصرفهم في الوجود

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب: إن الضعفاء يستوحشون من أمثال هذا الحديث وما قبله، ولا يكادون يذعنون بها لقصور أفهامهم عن معرفة أسرار أولياء الله مع أنهم مذعنون بحكم تواتر الأخبار من الفريقين بسبق خلق أنوارهم على سائر الخلق بدهور كثيرة، وأنهم هم الذين علموا الملائكة التسبيح والتهليل عند ابتداء خلقهم، فليت شعري ما المانع لمن خلق قبل الخلق أن يظهر فيما شاء من الزمان لمن شاء سوى توهم أنه إذ ذاك نطفة في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، فكيف يظهر مع ذلك رجلا سويا وهو من أقبح التوهمات عند أصحاب الألباب؛ إذ أدنى ما يقال في الجواب عن ذلك إن الله الذي جعله نطفة في الأصلاب والأرحام بعد أن كان نورا تام الخلقة في عالم الأنوار يسبح الله ويقدسه بألسنة قدسية، أليس بقادر على أن يمثله بشرا سويا حيث يشاء، فما لكم كيف تحكمون. على أنا قد قدمنا

الإشارة إلى أن أنوارهم الطاهرة لا تقاس بسائر الناس، فإنها فوق الحدود البشرية تلبسوا بها ليكمل الخلق فلا يمنعهم طور عن طور، وحد عن حد، ومكان عن مكان؛ لكونهم مهيمنين على تلك الحدود فيظهرون بأي حد شاؤوا وفي أي حد شاؤوا، في أي مكان شاؤوا ولا يشغلهم شأن عن شأن . فهم حال كونهم نطفا في الأصلاب والأرحام إن شاؤوا ظهروا في ألف مكان من غير أن تخلوا منهم تلك الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة، لأن تلك الحدود كلها خلقت من فاضل أنوارهم، فلا يجري عليهم ما هم أجروه فلا يكونون مأمورين في أسر قيد واحد بحيث لا يقدرون على فكه؛ لأن جميع القيود ملكهم وبيدهم لأنهم يد الله الذي بيده ملكوت كل شيء، والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء، وبالجملة وجودهم عليهم السلام بالنسبة إلى تلك الحدود وجود هيولائي غير مقيد بصورة مخصوصة لا يتعداها إلى غيرها كما هو حال سائر الخلق الواقعين تحت أسر تلك الحدود؛ ولذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يحضر بعد موته عند جنازته مع كون السرير غير خال عنه أيضا، وما كان ذلك بجسد مثالي على المعنى الذي زعمته طائفة من أهل الظاهر، فافهم وتبصر، ولا تقدر عظمة الله بقدر عقلك فتكون من الهالكين، واعلم أن الكشف عن حقيقة تلك الأسرار بحيث تكون مشرعة لأكثر الخائضين يستدعي تقديم مقدمات وتمهيد كلمات لا يسعها أمثال هذا الكتاب الموضوع لجمع الأخبار، وإنما نشير إلى بعض البيان في بعض المقامات فتحا لباب التفكر لأرباب الاستعداد، وأما الجهال فلا يزيدون بسماع أمثال هذه الكلمات إلا وحشة ونفورا كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، وكأني بهم بعدما سمعوا هذه الكلمات

قد شهروا سيف العناد وسلقوني بألسنة حداد، وظلوا يرمون صاحبها بالارتفاع في حق آل الرسول، وأنا أتمثل في ذلك وأقول :

علي تحت القوافي من مواضعها

وما علي إذا لم يفهم البقر

قوة أمير المؤمنين علي في ساحة المعركة

السادس والعشرون: عن أنيس السمراء وكتاب المجلي للشيخ محمد بن الحسن بن علي بن أبي جمهور الإحسائي رحمه الله، كلاهما عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال :(شهدت البصرة مع أمير المؤمنين عليه السلام والقوم قد جمعوا مع المرأة سبعين ألفا، فما رأيت منهم منهزما إلا وهو يقول: هزمني علي، ولا مجروحا إلا ويقول: جرحني علي، ولا من يجود بنفسه إلا وهو يقول: قتلني علي، ولا كنت في الميمنة إلا وسمعت صوت علي، ولا في الميسرة إلا وسمعت صوت علي، ولا في القلب إلا وسمعت صوت علي عليه السلام. ولقد مررت بطلحة وهو يجود بنفسه وفي صدره نبلة، فقلت له: من رماك بهذه النبلة ؟ فقال : علي بن أبي طالب، فقلت : يا حزب بلقيس ويا جند إبليس إن عليا لم يرم بالنبل وما بيده إلا سيفه. فقال: يا جابر أما تنظر إليه كيف يصعد في الهواء تارة، وينزل إلى الأرض أخرى، ويأتي من قبل المشرق مرة، ومن قبل المغرب أخرى، وجعل المغارب والمشارق بين يديه شيئا واحدا فلا يمر بفارس إلا طعنه ولا يلقى أحدا إلا قتله أو ضربه أو كبه لوجهه أو قال له: مت يا عدو الله فيموت فلا يفلت منه أحد، فتعجبت مما قال ولا عجب من أسرار أمير المؤمنين وغرائب فضائله وباهر معجزاته)[1].

---

(١) الإمام علي (عليه السلام) ٦٠٤.

أقول : ويواطي هذا الخبر ويصدقه ما رواه ابن شهر آشوب في مناقبه، عن المفيد في العيون والمحاسن في حديث بدر، عن الصادق عليه السلام أنه قال: (لقد كان يسأل الجريح من المشركين فيقال له : من جرحك، فيقول : علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا قالها مات)[2].

تحقيق لطيف في معنى الولاية الكلية

ونقول: وبالله التوفيق إن من عرف معنى الولاية الكلية الإلهية الكلية الكبرى والبرزخية العظمى، أعني محمدا وآله الذين أقامهم الله في سائر عالمه في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار، لا إله إلا هو الملك الجبار؛ عرف أنه لا تتحرك ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا بتحريكه وتصرفه وأن بيده ملكوت كل شيء، وهو الخيط القيومي الذي به قام كل شيء قيام تحقق بل وقيام صدور، لكونهم عليهم السلام تراجمة مشيته وألسن إرادته، فجميع الأسباب المؤثرة إنما صارت أسبابا بكونها مرتبطة بذلك الخيط وقائمة به، فإن كانت أسباب خير فمن جهة العناية، وإن كانت أسباب شر فمن جهة الطبع والتخلية .

كقطر الماء في الأصداف در
وفي بطون الأفاعي صار سما

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾[1] وبالجملة كل ما سوى الواجب الحق ممكن، والممكن لا يستغني عن مؤثره طرفة عين أبدا، وإلا لخرج في ذلك الحين عن الممكنية وهو خلاف الفرض، فالأشياء كلها قائمة دائما بفعل الحق عز

(١) بحار الأنوار ج١٩ ص٢٨٥، المناقب ج٢ ص٢٤١.
(٢)الإسراء ٨٢.

وجل، وأمره قيام صدور كل على حسب ما تقتضيه قابلية الإمكانية، وحامل ذلك الفعل الكلي الأولي الذي لا يفوته شأن من الشؤون هو صاحب الولاية الكلية المطلقة، وحامل الاسم الأعظم المهيمن على جميع الأسماء كلها الذي به قوام سائر الأسماء وحياتها؛ لأنه روحها ولذا كان غيبا فيها فافهم. وهو سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ ثم من بعده أمير المؤمنين الذي اشتق الله نوره كالضوء من الضوء لا كالشعاع من الضوء، ثم من بعده أولاده الأئمة الأحد عشر وفاطمة الزهراء المخلوقون جميعا من سنخ نوره وطينته، فلهم الهيمنة الكبرى والسلطنة العظمى على جميع ما في الوجود من ذات أو صفة أو جوهر أو عرض، وهم أصحاب القبض والبسط في جميع ممالك الإمكان؛ لأنهم يد الله الباسطة فيها بدلالة النقول المتواترة التي مرت عليك شرذمة منها في طي أخبار هذا الكتاب، ويد الله لا يخرج منها شيء ولا تعطيل لها في كل مكان، كما قالت اليهود المنكرون لفضل محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ﴿يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾[1] ولما كانت هذه الدار دار التكليف دار أعراض وأغشية تحقيقا للابتلاء من باب قوله تعالى ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾[2] خفيت المعاينة لتلك الهيمنة التامة على العامة، وكلفوا بالإقرار بها من سبيل الإخبار والاعتبار، وإذا انتقلوا من هذه الدار إلى محل القرار كشفت عن أعينهم الأغطية، فيطابق العين الأثر والخبر المخبر، فإن كان المعاين مؤمنا كان نور الله، وإن كان كافرا كان حجة عليه، وقد

(١) المائدة ٩٤
(٢) طه ١٥

سبق التصريح بذلك في خبر العسكري عليه السلام المذكور قبل هذا الخبر بغير فصل في قوله عليه السلام: (ثم نادى المحيون معاشر المسلمين إن لمحمد وعلي شأنا عظيما في الممالك التي كنا فيها، لقد رأينا لمحمد صلى الله عليه وآله ولعلي عليه السلام مثالا عند البيت المعمور وعند الكرسي وأملاك السماوات والحجب، وأملاك العرش يحفون بهما ويعظمونهما[1] ويصلون عليهما، ويصدرون عن أوامرهما)[2] الحديث، نعم قد تقتضي حال بعض المؤمنين الكاملين أو المنكرين كذلك إظهار شيء من هذا الشأن لهم في هذه الدار على سبيل المشاهدة والمعاينة؛ إتماما للحجة وإيضاحا للمحجة، كما في حديث البساط الكبير -الذي يأتي ذكره إن شاء الله تعالى فيما بعد- وكذا سائر ما في معناه من الأخبار التي مر ذكر بعضها ويأتي ذكر بعض آخر في طي الأخبار الآتية إن شاء الله العزيز، ومن هذا الباب هذا الحديث الذي نحن بصدد الكلام عليه، فإنه عليه السلام كشف عن أعين هؤلاء القوم، ولا سيما طلحة الغطاء فبصرهم اليوم حديد، فانقطع نظرهم عن الأسباب الظاهرة، واتصل بالمؤثر الأول الذي بأمره قام كل شيء فرأوه عليه السلام لا يهزم أحدا إلا هو ولا يجرح أحدا إلا هو ولا يقتل أحدا إلا هو، وقد جعل المشرق والمغرب بيده شيئا واحدا بحكم قوله تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[3]، وقول الحجة عجل الله فرجه في دعاء رجب المروي في مصباح الشيخ: (ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك، وعودها

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في نسختنا من هذا الكتاب المستطاب.

(٢) مدينة المعاجز ج١ ص٢٩٣، بحار الأنوار ج١٧ ص٢٦١.

(٣) البقرة ١١٥.

إليك أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت)[1] الدعاء.

فافهم قوله ﷺ: (لا تعطيل لها في كل مكان) وقوله (فبهم ملأت سماءك وأرضك..إلخ). ورأوا أن تلك الأسباب الظاهرة كلها هياكل أفعاله، وظلال ظهوراته الفعلية لا الذاتية، كما زعمته أصحاب الحلول والاتحاد، وأنه أولى بها منها بأنفسها؛ لأن المالك أولى بملكه منه بنفسه وهو قوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[2] وهذا لا إشكال فيه إذا كانت الأفعال والآثار الصادرة عن تلك الأسباب أفعالا وآثارا حسنة مرضية (إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه)[3]، وأما إذا كانت قبيحة مبغوضة فهي أيضا قائمة بأمره ومستمدة منه؛ غير أن ذلك على حد قوله تعالى ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾[4] فإن الله تعالى كما لا يفرق في الإيجاد بين المؤمن والكافر مع أن وجود الكافر شر محض، لأن هذا مقتضى الحكمة البالغة وإعطاء كل ذي حق حقه، كذلك لا يفرق بينهما في الإمداد فيحفظ فعل كل منهما له وعليه بأمره القيومي إيجابا لسؤال كل منهما بلسان قابليته وعمله، فأمر الله القيومي الذي به حفظ كل شيء على ما هو عليه وحمله وليه القائم مقامه في الأداء ليس فيه شر أصلا ،وإنما الشر في جهة القابل المغير لخلق الله لن ينال الله لحومها ولا دمائها ولكن يناله التقوى، فليس خلق الكافر من الله تعالى بمذموم وكذا إمداده بما تقتضيه قابليته الكونية والشرعية، بل خلاف ذلك خلاف العدل، لأنه منع للمستحق

(١) المصباح للكفعمي ٥٢٩،الإقبال ٦٤٦ .
(٢) الأحزاب ٦ .
(٣) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٦١٥،البلد الأمين ٣٠٢ .
(٤) النساء ١٥٥ .

عما يستحقه وموجب لتهافت الصنع وكونه على خلاف ما ينبغي من مقتضى الحكمة، وإنما المذموم كونه كافرا باختياره وكونه منشأ لأعمال الشر كذلك، فصورة الولاية المطلقة قائمة على جميع الأشياء بالتربية والقيومية كالشمس المشرقة على جميع ما في العالم من الأجسام الطيبة والخبيثة، وهو معنى كتابة أسمائهم عليهم السلام على جميع الأشياء، غير أنها في المؤمن صورة رحمة، وهي لها بالذات، وفي الكافر صورة غضب، وهي لها بالعرض لكون مقتضى الغضب غير مراد بالأصالة، سبقت رحمتي غضبي ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾[1] فأثبت الرحمة للباطن والعذاب للظاهر، فافهم. وتلك الصورة الولوية الأنزعية هي التي يتراءى بها أمير المؤمنين عليه السلام للأموات، فإن كان مؤمنا فبصورة الرحمة، وإن كان كافرا أو منافقا فبصورة الغضب، السلام على نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجار، أشداء على الكفار رحماء بينهم.

فإذا تأملت في هذه الحقائق المضنون بها عن الأغيار، عرفت حل إشكال يستشكل في قول طلحة (رماني علي) مع كون الرامي له بالنبلة مروان بن الحكم، وهو ملعون مطرود، فكيف يظهر أمير المؤمنين عليه السلام لطلحة من تلك المرآة السوءى لكون باطنه خبيثا، وإن كان ظاهره على صورة الإنسانية بالعرض، وكيف يظهر فعله على يديه، وحل الإشكال بما قدمنا من كون الصورة الولوية قائمة على كل نفس بما كسبت، وهي الصورة التي تراها تلك النفس حين الموت عند رأسها كافرة كانت أو مؤمنة، كما قال عليه السلام للحارث الهمداني ونظمه السيد الحميري بقوله:

(١) الحديد ١٣ .

يا حار همدان من يمت يرني

من مؤمن أو منافق قبلا

وقد مرت أخبار هذا الباب في القسم الأول من الكتاب، فلا ضير في كون مروان مرآة سوء بوجه، وقد قال تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾[1] الآية، وقال الإمام عليه السلام: (ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه). فكما أن تلك المعية مع كونها عامة للمؤمن والكافر لا تضر في حق الله تعالى؛ لأنها معية قيومية لا معية حلول أو اتحاد كذلك تلك المعية من صاحب الولاية الذي هو مثل الله الأعلى في السماوات والأرض بل هي هي بعينها، وكما لا ضير في ذلك كذلك لا ضير في كونه في صدور ذلك الفعل آلة لصاحب الولاية، فإن الله تعالى قد يجري فعله على يدي من لا يحبه كما أجرى تعذيب بني إسرائيل والانتقام منهم على يدي بخت النصر الكافر، ولذا لم يكن بخت النصر مأجورا ومثابا في ذلك مع كون الفعل في نفسه مطلوبا لله تعالى، وفي الحديث عنهم عليهم السلام (إن لنا أوعية سوء نملأها علما لتنقله إلى شيعتنا وليست لها بأهل، فخذوه وصفوه ونكبوا الأوعية فإنها أوعية سوء)[1] هي.. نقلته بالمعنى.

فحاصل الكلام وملخص المرام أن صاحب الولاية الكلية قد ملأ بظهوره القيومي آفاق القوابل فيظهر لمن يشاء فيما يشاء من المرايا الكونية من غير أن يشوب ظهوره ذلك شيء من شوب تلك المرايا، مثاله صورة

---

(١) المجادلة ٧.

(١) مستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٨٤، بحار الأنوار ج٢ ص٩٣ (كتاب زيد الزراد، عن جابر الجعفي قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول إن لنا أوعية نملؤها علما وحكما وليست لها بأهل فما نملؤها إلا لتنقل إلى شيعتنا فانظروا إلى ما في الأوعية فخذوها ثم صفوها من الكدور تأخذونها بيضاء نقية صافية وإياكم والأوعية فإنها وعاء سوء فتنكبوها).

الشمس الواقعة على الزجاجات الملونة بالألوان المختلفة فإن البصير لا يرى في نور الشمس تغييرا لأنها ألوان للقابل الذي هو الزجاجة لا للشمس ولا لنورها، فالقوابل المعوجة التي هي وجودات الكفار والمنافقين لا تؤثر تغييرا في الوجه الربوبي المتعلق بها من المبدأ الأعلى؛ لأنه لم يحلل فيها، فيقال هو فيها كائن، وإنما تعلق بها تعلق تدبير، فهو معها معية قيومية لا معية حواية، فظهوره عليه السلام على طلحة من تلك المرآة السوءى التي هي هيكل مروان، ورميه له بالنبلة بتوسطه إنما هو على هذا النحو لا على نحو الحلول أو الاتحاد، كما يزعمه من ظاهر الحديث من في قلبه زيغ من أهل الإلحاد ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وكما زعمه بعض الجاهلين الناقصين عن فهم الحقائق الإلهية في بعض عبارات مشايخنا في هذا الباب، فنسبوا إليه القول بما يليق بمثله لا بمثل ذلك العالم النحرير الذي ما دار سور الدهر بعديله ولا سمح الزمان بمثله وبديله، وحاشاه عن ذلك حاشاه فإنه لم يرد إلا نحو ما قررناه، ولكن كثير من الناس عينه في عمى عن إدراك دقائق كلمات الحكمة الحقة، فلا يتأملون في نكات ما يسمعون من الكلام؛ لأن همهم الرد والاعتراض من أول الأمر، مع أن تلكم أمثال هؤلاء في مثل تلك المقامات والمراتب العالية أشبه شيء بالمثل السائر أن الخنفس رأت الخيل يحذونها فمدت يدها، ولنعم ما قال صاحب الشذور في قصيدة له طويلة :

إذا كنت من سر الجواهر خاليا
فما أنت من علم الصناعة حاليا
تمنى رجال من ذوي الجهل علمنا
ما كل ذي علم ينال الأمانيا

فاحرم ساع طالب من طباعه
معاني لم تطبع لهن معانيا
فلا يفتكر في كتبنا غير عالم
ليبدي منها في التفكر خافيا
أعد نظرا فالظن كالعين لا ترى
من البعد أجرام الجسوم كما هيا
فأبعد مرجوا إذا كان جاهلا
بألفاظنا أن يستبين المعانيا
هي الصنعة المضروب من دون نيلها
من الرمز اسواد تشيب النواصيا
ولكنها أدنى إذاكان عالما
إلى المرء من حبل الوريد تدانيا
وإني لأستحيي من المرء يرتمي
به الظن في فك الرموز المراميا
ولم نجعل العلم الرياضي روضة
وكان عن العلم الإلهي لاهيا
أبالظن والتخمين يدرك سرنا
وقد بلغت فيه النفوس التراقيا
إليك فما في الشرط أن يبلغ المنى
بإدراكه من كان للعلم قاليا
وممتلي غيظا كان بقلبه
من الغم جمرا للجوانح كاويا

يسيء بنا ظنا لإشكال كتبنا
عليه فما ينفك فيها مماريا
وكان يرى من غرة أن درسها
يعرفه ألغاز نار الأحاجيا
ونيل الثريا منه أدنى من التي
يظل بها من شدة الشوق هاذيا
أبى الله إلا أن يواصل واصلا
يقلده أو عالما متناهيا
ولو راض بالعلم الطبيعي نفسه
لما كان بالتقليد في العلم راضيا
فيا طالبا من كنت من أجل قلبه
نظمت المعاني واقتفيت القوافيا
أظنك تنأى عن كلامي بجانب
خفاء وتنبو عنه جنبا تجافيا
ويعلم من سوى السماوات سبعها
بأيد وأرسى الشامخات الرواسيا
حقيقة تضحى في المقال وإن أرى
به العز قولا للطباع معاديا
فإن قلت فيم النظم والنثر إن يكن
كلامكم فيها عن القصد نائيا
فإن جوابي عنه أن مرادنا
بها رجل لا يبرح الدهر حانيا

تحل له الأرماز صرم عقدها
ويبلغه الإيماء منها الأقاصيا
كان له منها عليها دلالة
ومن رمزها فيما يضلل هاديا

فطلحة وكذا سائر المقتولين والمجروحين والمنهزمين على أيدي عسكر أمير المؤمنين عليه السلام إنما رأوا أمير المؤمنين عليه السلام لأنهم كشف عنهم الغطاء لموت أو مصلحة اقتضت ذلك، فلم يجدوا الوسائط والمرايا في البين. وإنما وجدوا وجه الله الذي ملأ أركان كل شيء وأظهر نفسه في كل نور وفيء بحكم قوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾[1] وهم تلك الآية المرئية، ولقد أجاد محمد كاظم الأزري في مدحه عليه السلام حيث قال:

وهـو الآيـة المحيطة بالكون
ففي عين كل شيء تـراهـا[2]

وإنما ظهر لطلحة في تلك المرآة خاصة لاقتضاء قابلية طلحة ذلك دون سائر المجالي، كما يظهر ملك الموت لبعض المحتضرين في صورة منكرة وهي ليست صورة له، لأن صورته في غاية الحسن والجمال، وإنما تلك الصورة مرآة ومجلى له، فلا يلحقه شيء من نكارة تلك الصورة، كما مثلنا بالشمس والزجاجات، فافهم وتبصر، فإن المسلك دقيق جدا وإنما أطلنا الكلام في بيان هذا المرام رجاء أن يعرف من يقف عليه معنى ظهورهم عليهم السلام بصور متعددة، وأن لا يتوهم متوهم من هذا

(١) فصلت ٥٣.
(٢) الأزرية ١١.

الحديث الشريف أن ظهور أمير المؤمنين عليه السلام في تلك المجالي على سبيل ما ذهب إليه أهل القول بوحدة الوجود في حق الحق تعالى، فيتخذه سلما إلى ذلك، والسلام على من اتبع الهدى.

اليهودي الشاك في معجزة الكوز يوم معراج النبي

عن فتوحات القدس (أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب يوما على المنبر، فذكر معراج النبي صلى الله عليه وآله وأنه صلى الله عليه وآله حين أراد الخروج من البيت وقع ثوبه على كوز ماء، فانكفأ الكوز ورجع من المعراج والماء لم يفرغ من الكوز، ولم يبرد فراشه الذي كان نائما فيه، قال وكان هناك رجل من اليهود فأنكر ذلك في قلبه وقام من المسجد وذهب إلى داره، فوجد امرأته قد هيأت دقيقا لتعجنه فلما رأت المرأة زوجها أعطته كوزا وقالت له: ائتني بماء أعجن هذا الدقيق، فأخذ الرجل الكوز، وأتى عينا وملأ الكوز ووضعه على حافته ونزع ثيابه لينزل في الماء، فوقع ثوبه على الكوز، وانكفأ الماء ونزل هو وارتمس في الماء، ولما رفع رأسه نظر إلى نفسه، وإذا هو جارية جميلة عريانة على ساحل بحر، فبقيت متحيرة في أمرها، فأخذت طريقا على ساحل البحر، فإذا هي بامرأة فلما رأتها الإمرأة عريانة أخذتها الرأفة عليها، وأعطتها ثوبا من ثيابها، فلبست الثوب ودخلت بلدة كانت هناك، فكل من وقع نظره عليها مال إليها لفرط ما لها من الحسن والجمال، فعقدها رجل من أهل الثروة وأتى بها إلى داره، وبقيت على ذلك مدة ست سنين، وأتت منه بخمسة أولاد، فخرجت يوما إلى ساحل البحر، ونزلت في الماء وأغمست رأسها فيه، ولما أخرجت رأسها نظرت وإذا هي على هيئتها الأولى على حافة العين، وثيابه على الصخرة كما وضعها عليها، ووجد ماء الكوز

بعد لم يفرغ، فلبس ثيابه وأخذ الكوز وتوجه إلى داره، فوجد امرأته على الهيئة التي فارقها عليها، فأعطاها الكوز وأخذ طريق المسجد، فوجد أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر وهو بعد لم يفرغ من الخطبة، فأتى أمير المؤمنين عليه السلام وأظهر عنده التوبة والندامة على ما خطر بباله من الشك والإنكار في معراج رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا فلان لم تصدقنا إلا بعدما أتيت بخمسة أولاد).

تحقيق لطيف في بعض أسرار عالم الملكوت

أقول: هذا الحديث رواه محمد صالح الحسيني الترمذي في كتابه المسمى بالمناقب المرتضوية، عن الكتاب المذكور، وهو من علماء العامة والقصة من القصص المشهورة من أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، وفي رواية الشيعة أن اسم ذلك اليهودي زفر والله أعلم، ثم إن هذا الخبر من مشكلات الأخبار التي حارت في معناها عقول ذوي الألباب ولا بد لنا من كشف ما فيه من السر المكنون على سبيل الاختصار، فنقول وبالله التوفيق قد عرفت في ذيل حديث نوادر المعجزات، ونعيد هنا أن عالم الملكوت الذي هو روح عالم الملك وغيبه، عالم وسيع لا يقاس بعالم الملك في الفسحة والسعة لما ألقي به من المبدأ وطهارته من الكثافات والتصادمات الملكية التي هي علة الضيق اعتبر في ذلك بحال جسمك هذا الظاهري، فإنه لكونه محدودا بحدود عالم الناسوت، ومقيدا بقيودها لا يقطع أجزاء الزمان والمكان إلا بالتنقل التدريجي شيئا بعد شيء، وأما نفسك فهي لكونها دهرية مجردة عن المواد الجسمية تحيط بأول الزمان وآخره بنظر واحد من غير تدريج وانتقال حسي فيكون الحال والماضي والاستقبال عندها على حد سواء، وإن هو إلا

لأن وقتها روح تلك الأوقات الزمانية، وكذا محلها بالنسبة إلى هذه الأمكنة، ومن البين أن الروح المجرد لم يقع في طرف من الجسم حتى يمنعه عن الإحاطة بأطرافه في النظر الواحد، كما هو حال الأجسام بعضها بالنسبة إلى بعض، نعم إذا طهر الجسم من الكثائف بمعونة التأديبات الشرعية شابه الروح في التجرد وفعل فعله فلا يكون فرق بينه وبين الروح في السعة والإحاطة، وذلك إذا كشطت أعراض سماواته ونسفت جبال إنياته، وصارت أرضا قابلية قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، فإنه حينئذ يحصل في فضاء وسيع ليس فيه من تلك الموانع أثر ولا عين، فيكون الدخول منه في أسر الحجب والموانع والخروج منها باختيار منه، فافهم فإنك إذا فهمت هذه المسألة سهل عندك التصديق بالحديث المشهور الذي روته العامة والخاصة: (أن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا وضع رجله في الركاب افتتح القرآن وإذا وضع رجله الأخرى فيه ختمه، وفي بعض الروايات أنه يختمه إذا استوى جالسا) هي. وقد رواه غير واحد منهم المولى المقدس أحمد بن محمد الأردبيلي رحمه الله في الحديقة، ومنهم الحسين الكاشفي في كتابه روضة الشهداء، ومنهم صاحب المناقب المرتضوية، كلهم عن شواهد النبوة لعبد الرحمن الجامي. وذلك أن الجسم إذا كان بحكم الروح كانت حركته أسرع من ذلك وأعظم، وآية ذلك حركة الفلك الأعظم، فقد قال بعضهم: يسير الفلك الأعظم بقدر ما يقول القائل واحد ألفا وسبعمائة واثنين وثلاثين فرسخا من مقعره، والله تعالى يعلم ما يسير من محدبه، وما ذلك إلا لكونه ألطف من سائر الأجسام أو قريبا من لطافة الأرواح، فإذا كان عالم الملكوت بهذه السعة كانت

أوقاته أيضا على حسبه فربما يساوي الآن الواحد منه عدة سنين من سني هذا العالم، فإذا حصل شخص في ذلك العالم ومضى عليه فيه آن واحد من آناته، فقد مضى عليه مقدار يساوي عدة سنين من سني هذا العالم قال تعالى﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾[1] وقد نطق الكتاب المجيد بأن مقدار يوم القيامة خمسون ألف سنة، وذلك للطافة أجسام سماوات الآخرة وأراضيها، وأجسام من فيها، وقربها من لطافة الأرواح الدهرية، كما عرفت الإشارة إليه، ولذا تسع أرض المحشر الأولين والآخرين.

ومثال ما سمعت التقريبي حالة المنام بالنسبة إلى حالة اليقظة، فإنك ربما تنام ساعة واحدة، ومع ذلك تسير في تلك الحالة إلى بلاد بعيدة وتمضي عليك فيها مدد طويلة، فإذا انتبهت وجدت أنه لم تمض عليك من أوقات هذا العالم إلا ساعة واحدة وذلك للطافة عالم المنام الذي هو من عالم المثال؛ مع أنه ليس في لطافة الدهر الصرف وإنما هو برزخ بين الدهر والزمان، فبوجهه الأعلى ناظر إلى الدهر، وبوجهه الأسفل ناظر إلى الزمان فكيف بعالم الدهر البحت، فإذا عرفت هذا التفصيل فلنرجع إلى حل إشكال الخبر، فنقول إن أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد إيضاح الحجة على ذلك اليهودي على سبيل المعاينة تمم بفاضل لطيفته الإعجازية نقصه؛ فنقله إلى ملكوت الأجسام وأقامه فيه تلك المدة، ثم رجعه إلى ما كان فيه ليعرفه سر المعراج وسرعة السير الواقع فيه وأنه لا بعد فيما سمع بوجه لكون جسمه صلى الله عليه وآله متحدا مع روحه في اللطافة والأحكام، فافهم يا أخي ما أهديناه إليك من حكم آل الرسول في

---

(١) الحج ٤٧.

هذه الكلمات القليلة تنفتح لك أبواب من العلم يفتح من كل باب ألف باب، فإن أكثر أخبار المعاجز وخوارق العادة المنقولة مبنية على هذا الأصل الأصيل وحسبنا الله ونعم الوكيل.

جني متمرد على سليمان

في لوامع الأنوار (أن جنيا كان جالسا عند رسول الله ﷺ، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فاستغاث الجني وقال : أجرني يا رسول الله من هذا الشاب المقبل، قال: وما فعل بك ؟ قال : تمردت على سليمان فأرسل إلي من الجن جماعة فطلت عليهم، فجاءني هذا وهو فارس فأسرني وجرحني وهذا مكان الضربة إلى الآن لم يندمل)[1].

أقول: وفي بعض المجاميع عن كتب درر المطالب، وغرر المناقب مثل الخبرين الأخيرين، وروى الأخير خاصة السيد المحقق السيد نعمة الجزائري قدس سره في كتابه الأنوار وزاد في آخره (أن النبي ﷺ قال له: ادن من علي حتى يطيب جراحتك وتؤمن به وتكون من شيعته، ففعل)، هي .

تحقيق لطيف في ظهورهم في الأزمنة الماضية

أقول: لا غرابة في هذه الأخبار الأربعة بوجه لتظافر الأخبار من الفريقين أن أنوار النبي والأئمة عليهم السلام قد خلقت قبل خلق آدم بدهور طويلة، وهذا السبق والتقدم وإن كان ليس المراد به السبق الزماني العرضي وإنما المراد به السبق الذاتي، ولكنه مستلزم للعالي أنوارهم عن حدود هذه الأزمنة الظاهرية، فيكونون مع الأولين في الأول ومع الآخرين في الآخر، وهو السر فيما ورد من الزواية المشهورة ورواها

(١) مدينة المعاجز ج١ ص١٤٢

السيد المذكور في كتابه عن كتاب القدسيات لبعض محققي علماء الجمهور (عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: يا علي إن الله تعالى قال لي: يا محمد بعثت عليا مع الأنبياء باطنا ومعك ظاهرا)[1].

ثم قال السيد رحمه الله: هذا الذي رواه من بعث علي باطنا قد روي مضمونه في أخبار أهل البيت عليهم السلام عن علي عليه السلام، وهو إشارة إلى سر إلهي في الغاية القصوى من التحقيق، وهو أنه قد روي عنه عليه السلام أنه قال في جواب من سأله عن فضله وفضل من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام مع أنهم حازوا غاية الإعجاز، أما إبراهيم فقد نجاه الله تعالى من نار النمرود وجعلها عليه بردا وسلاما، ونوح قد أنجاه الله من الغرق، وموسى من فرعون وآتاه الله التوراة وعلمه إياها، وعيسى آتاه النبوة في المهد وأنطقه بالحكمة والنبوة، وسليمان الذي سخر له الريح والجن والإنس وجميع المخلوقات فقال عليه السلام: (والله كنت مع إبراهيم في النار، وأنا الذي جعلتها عليه بردا وسلاما، وكنت مع نوح في السفينة فأنجيته من الغرق، وكنت مع موسى فعلمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد وعلمته الإنجيل، وكنت مع يوسف في الجب فأنجيته من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط وسخرت له الرياح)[2] انتهى كلام السيد قدس سره.

وروى الشريف فتح الله الكاشاني في تفسيره خلاصة المنهج، عن الثعلبي بسنده، عن عبد الله بن سلام: (أنه سأل النبي ﷺ عن الذي أتى بعرش بلقيس من سبأ وأحضره عند سليمان، فقال النبي ﷺ: أحضره علي بن أبي طالب عليه السلام باسم من أسماء الله العظام)، ثم قال

---

(1) الإمام علي (عليه السلام)٨٦

(2) اللمعة البيضاء ٢٢٢(عنه الأنوار النعمانية ج١ ص٣٠.

صاحب الحديث ما يؤيد هذا المعنى «قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي كنت مع الأنبياء سرا ومعي جهرا»، وما ثبت من الأخبار أنه عليه السلام كان في الأزمنة السابقة يتمثل بأي صورة شاء وتظهر منه أمور عجيبة، ثم قال: ومن هذا الباب قصة دشت أرزنة مع سلمان الفارسي، انتهى.

فلا وجه لرمي الشيخ الحافظ البرسي رحمه الله بالغلو والارتفاع بنقل أمثال هذه الأخبار والقول بمضامينها كما اشتهر بين القاصرين بل لو كان لأمثال هؤلاء بصيرة نافذة في مراتب أهل بيت الرسول ﷺ وما خصهم الله تعالى به من المقامات السامية التي لا يدانيها ملك مقرب ولا نبي مرسل لوجدوا الشيخ المذكور بعد قاصرا أو مقصرا في حقهم فضلا عن كونه غاليا، فإن مقدار معرفته بالأئمة إن كان ما زبره في كتبه من المشارق واللوامع وغيرهما، فبضاعته مزجاة جدا حام حول الحمي، ولم يرتع في مراتعه، ولبس ثوبا عريضا ولم يأخذ بمجامعه، وورد منهلا ولم يغص في حياضه، ووصل ساحل البحر ولم يخض في مخاضه ؛ نعم هو من أهل التسليم على الإجمال، وبهذا تميز عن بعض أبناء جنسه حيث أنهم فاتهم هذا المقدار أيضا فتكلموا في مراتب آل محمد صلى الله عليه وعليهم بما إِنْ بني الأمر عليه لم يبق لهم فضل على سائر الناس إلا لكونهم لا يتركون الصلاة ولا يمنعون الزكاة، ويداومون على المستحبات ولا يرتكبون المحرمات والمكروهات، ذلك مبلغهم من العلم فاعتبروا يا أولي الأبصار.

العلة في تأخير أمير المؤمنين عليه السلام صلاة العصر

علل الصدوق رحمه الله حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسيني قال: حدثنا فرات بن إبراهيم الكوفي قال:

حدثنا جعفر بن محمد الفزاري قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا أحمد بن نوح وأحمد بن هلال عن محمد بن أبي عمير عن حنان قال: (قلت: لأبي عبد الله عليه السلام ما العلة في ترك أمير المؤمنين عليه السلام صلاة العصر؟ وهو يجب له أن يجمع بين الظهر والعصر فأخرها، قال: إنه لما صلى الظهر التفت إلى جمجمة ملقاة فكلمها أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أيتها الجمجمة من أين أنت؟ فقالت: أنا فلان بن فلان ملك بلاد آل فلان، قال لها أمير المؤمنين عليه السلام: فقصي علي الخبر وما كنت؟ وما كان عصرك؟ فأقبلت الجمجمة تقص من خبرها، وما كان في عصرها من خير وشر، فاشتغل بها حتى غابت الشمس، فكلمها بثلاثة أحرف من الإنجيل لئلا يفقه العرب كلامها، فلما فرغ من حكاية الجمجمة قال للشمس: ارجعي، قالت: لا أرجع، وقد أفلت فدعا الله عز وجل، فبعث إليها سبعين ألف ملك بسبعين ألف سلسلة حديد، فجعلوها في رقبتها وسحبوها على وجهها حتى عادت بيضاء نقية حتى صلى أمير المؤمنين عليه السلام، ثم هوت كهوي الكوكب، فهذه العلة في تأخير العصر)، ثم قال الصدوق رحمه الله: (وحدثني بهذا الحديث الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي، عن فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي بإسناده وألفاظه)[1].

شرح لطيف لمقامات آل محمد الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب: إن رد الشمس هذا غير رد الشمس المشهور الواقع في حياة النبي صلى الله عليه وآله، وغير رد الشمس الواقع بعده بأرض بابل، فإن الشمس ردت له عليه السلام مرارا كثيرة كما

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص١٦٦، علل الشرائع ج٢ ص٣٥١، مدينة المعاجز ج٢ ص١١١

يظهر من تتبع الأخبار، وصرح به غير واحد من العلماء الأخيار من حملة الآثار وهذا المذكور واحد منها، نعم إن سائر الوقائع لم تشتهر كما اشتهر المرتان، وسيأتي ذكرهما فيما بعد إن شاء الله تعالى. والذي يجب هنا تبيينه هو أن الشمس كيف امتنعت عن أمر أمير المؤمنين عليه السلام، وهو في الظاهر غير معقول عند من عرف أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية، وأقر له بالولاية الكلية الإلهية التي لا يمتنع عنها ما دخل في ملك الله؛ لأنه مستلزم لاستغناء ذلك الشيء عن الله تعالى، وقيامه بنفسه لخروجه حينئذ عن يد الله التي بها قام ملكوت كل شيء، ودفع هذا الإشكال يحتاج إلى شرح بعض مقامات آل محمد الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، ولو على سبيل الإجمال.

فنقول وبالله التوفيق: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة القائمين مقامه مراتب ومقامات عديدة لكل منها حكم غير حكم الأخرى، ويجمع الجميع باعتبار مراتب أربع: البيان والمعاني والأبواب والإمامة.

أما المقام الأول: فهو محض ظهور الحق تعالى لهم بهم، فليس لجهة عبوديتهم فيه ذكر بوجه من الوجوه لاستغراق إنيتهم فيه في بحر نور الربوبية الإلهية، فلا يرى فيه نور إلا نوره، ولا يسمع صوت إلا صوته، فهو مقام التوحيد الصرف البحت البات، ومرتبة اندكاك جبال الصفات، وارتفاع حجب النسب والشئون والإضافات، (يا من دل على ذاته بذاته، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته، وجل عن ملائمة كيفياته). ولا تتوهم أنا نريد بهذه العبارات ما يريد الملاحدة من كونه هذا المقام مقام انكشاف نفس الذات البحت التي هي حقيقة العبد على زعمهم، حاشانا من ذلك فإن المخلوق لا يصل، وإن بلغ ما بلغ

إلى ذات الحق المتعال فإن الطريق إليه مسدود والطلب مردود، دليله آياته ووجوده إثباته، وإنما نريد بذلك مقام الظهور الفعلي لا الذاتي كما هو طريقتهم، فإنا وإياهم ربما نشترك في العبارة ونغاير في المراد كلفظ الظهور مثلا، فإن كلانا نطلق لفظ الظهور ونقول: إن حقيقة العبد ظهور الحق، وهم يريدون به ظهور نفس الذات وتطورها بذلك الطور المخصوص، ونحن نريد به آيتها وننزه ذاته عن الظهور والبطون. وبالجملة مرادنا بذلك ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بقوله في بيان الحقيقة (أنها كشف سبحات الجلال من غير إشارة، إلى قوله: أطفأ السراج فقد طلع الصبح) والصادق عليه السلام بقوله: (لنا مع الله حالات فيها هو نحن، ونحن هو، وهو هو، ونحن نحن)، رواه الشيخ الثقة الجليل حسين بن عصفور البحراني ابن أخي صاحب الحدائق قدس سره في بعض رسائله.

والمقام الثاني: مقام ظهوره تعالى بالصفات من العلم الفعلي، والقدرة الفعلية، وسائر الصفات الكمالية الفعلية، فإن أصل تلك الصفات من جملة مراتب حقائقهم عليهم السلام، كما مر به التصريح في القسم الأول من الكتاب من قول أبي جعفر عليه السلام لجابر بن يزيد: (أما المعاني فنحن معانيه، ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه وكلمته وعلمه وحقه، وإذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريد). الحديث.

والمقام الثالث: مقام كونهم مصادر لآثار تلك الصفات وأسمائها، فهم في ذلك المقام باب الإفاضات الإلهية إلى خلقه ﴿ولكن البر من اتقى، وأتوا البيوت من أبوابها﴾.

والمقام الرابع: مقام قبول تلك الآثار الصادرة عن المبدأ، فهم في

ذلك المقام مطارح أشعة الفيوضات الربانية، والظهورات الإشراقية، ومهابط الوحي ومعادن الرحمة ومختلف الملائكة، وهو مقام القطبية ومرتبة فرض الطاعة، وكونهم أمناء الله على ما أنزل من عذر أو نذر، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ظاهري إمامة ووصية، وباطني غيب منيع لا يدرك). والمراد بالباطن: المقام الأول، فتبصر.

وبالجملة: هم في هذا المقام أقطاب الوجود، ومعادن الخير والجود، وكتب العلوم الإلهية، وقرناء الكتاب التدويني، فهم عليهم السلام في المقام الأول: يدعون بصيغة المجهول فيجيبون؛ لأنهم أمثاله العليا، ووجهه الذي منه يؤتى، (من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم). وفي المقام الثاني: هم نفس إجابة الله تعالى لسؤال الداعين. وفي المقام الثالث: هم أبواب تلك الإجابة (إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم)[1].

وفي المقام الرابع: يدعون بصيغة المعلوم فيجابون، وإلى هذا المقام أشير في التوقيع الوارد على يد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه المروي في غيبة الشيخ رحمه الله حين تنازعت الشيعة، فقال جماعة منهم: إن الله تعالى فوض إلى الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا، وأنكره آخرون، فجاء في التوقيع: (أن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام، وقسم الأرزاق لأنه ليس بجسم، ولا حال في جسم ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم، فأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق إيجابا لمسألتهم وإعظاما لحقهم)[2]. وقد مر في الجزء الثالث من القسم الأول من الكتاب، وهو الحديث الثامن من الجزء المذكور،

---

(١) الكافي ج٤ ص٥٧٧

(٢) الغيبة للطوسي ٢٩٣، بحار الأنوار ج٢٥ ص٣٢٩، الاحتجاج ج٢ ص٤٧١

فافهم وتبصر، ففي المقام الأول: لا إرادة لهم أصلا وإنما الإرادة إرادة الله سبحانه، وأما المقام الرابع: فلهم فيه إرادة غير أن إرادتهم تابعة لإرادة الله تعالى، فلا يريدون إلا ما لله فيه رضا، وحيث كانوا بهذه المثابة فإذا أرادوا يريد الله ما أرادوا، ولنعم ما قال محمد كاظم الأزري في مدحهم عليهم السلام في قصيدته الهائية:

سادة لا تريد إلا رضا الله كما لا يريد إلا رضاها[1]

﴿سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾[2] هذا ثم أن كل فيض في العالم لا يتحقق من المبدء الفياض إلا بدعاء من السافل وإجابة من العالي، ولذا قال تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾[3] فجعل الإجابة متوقفة على الدعاء والدعاء من السافل، وإن كان في صورة الفعل، والإجابة في صورة الانفعال لأنه قبول للاقتضاء، غير أن الإجابة في المعنى هي الفعل، والدعاء هو الإنفعال لأن الدعاء اقتضاء من المفعول، وهو في معنى الإنفعال لا الفعل، والإجابة فعل من الفاعل، ولو باستدعاء القابل له فهو في معنى الإيجاد، وإنما كانا في الظاهر على العكس لما تقرر من أن القابل فاعل فعل الفاعل، فافهم.

فالدعاء في الحقيقة أنثى والإجابة ذكر، وهما إلفان مؤتلفان يظهر الفيض الذي هو الولد من ازدواجهما وائتلافهما، والائتلاف لا يكون إلا بتلاؤم الأخلاق المانع عن الافتراق، وهو لا يحصر إلا بتبعية الزوجة

(١) الأزرية ٣٢

(٢) الأنبياء ٢٦ - ٢٩.

(٣) غافر ٦٠.

لزوجها وانقطاعها إليه بالخلوص (أمن يجيب المضطر إذا دعاه). ولذا إذا لم يكن الدعاء خالصا مشتملا على الانقطاع لم تحصل الإجابة لمكان وجود موجب الكراهة والتنافر في البين، وبرهان ذلك وآيته مع كمال وضوحه موجود في عمل الطبيعي المكتوم، فإنه ما لم تنتف عن الحجر الغرائب الموجبة لفرار كل من الذكر والأنثى من صاحبه، ولم يحصل اتحاد الطبيعة لم يوجد بينهما اتفاق، وإذا لم يوجد اتفاق لم تحصل النتيجة المقصودة من تزويجهما وهي الولد الكريم الرؤوف. وهذا النحو من الدعاء لا يوجد على وجه الكمال إلا عند محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وإذ تبينت هذه الأمور، فلنرجع إلى دفع إشكال الخبر، وهو قول الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام: لا أرجع، وقد أفلت. فنقول: إن الحديث إشارة إلى حال المقام الرابع، وبيانه أنه لما كان صدور المعجزة مع كشفها عن صدق المدعي لمنصب النبوة أو الولاية موهما عند الضعفاء للربوبية أو التفويض، كما مر تصديق ذلك في خبر الجمجمة، فيجب على النبي أو الإمام دفع هذا التوهم من قلب من يراها أو يسمعها إذا اقتضى الحال ذلك. ففي هذا الخبر أراد الصادق عليه السلام دفع هذا التوهم من السامع أو من سيسمعه منه، وإرشاده إلى أن هذا الفعل إنما صدر عنه عليه السلام باستدعائه من الله تعالى ذلك، وإجابة الله تعالى له، وأن مجرد الأمر من العبد من حيث هو عبد لا يوجب تحصل ما يريد إلا بعد اقترانه بالإجابة من الله تعالى.

ولذا كانت الأئمة عليهم السلام ربما إذا أرادوا إظهار أمر معجز قاموا وصلوا ودعوا الله عز وجل، وطلبوا منه ذلك الأمر دفعا لهذا التوهم، فلما أمر

أمير المؤمنين عليه السلام الشمس بالرجوع وقفت الشمس عن ذلك قبل تحقق الإجابة من ناحية الربوبية لكونها جزء من العلة التامة، ولما اقترن الجزء الآخر بها رجعت لتمام المقتضى، وكان الأمر الذي صدر عن أمير المؤمنين عليه السلام هو الدعاء بعينه ولكنه عليه السلام إنما فرق بينهما، فعبر عن هذا الأمر بأنه أمر أولا، ثم دعا إشارة إلى نكتة وهي أن الدعاء لا يتحقق كونه دعاء حقيقيا إلا باقتران الإجابة به، كالزوج والزوجة فإن هذا الاسم لا يصلح لهما إلا بعد حدوث علاقة الزوجية بينهما، وأما قبل ذلك فاسم أحدهما زيد والآخر سعدى مثلا، وكالأبوة والبنوة فإن الأب لا يقال إلا لمن له ابن، والابن لا يقال إلا لمنه له أب. فالدعاء منه عليه السلام قبل نزول الإجابة كان إرادة وأمرا محضا، ولما اقتضى الإجابة من المبدء وهو المقام الأول صار دعاء وسمي باسمه، وكل ذلك أعني الأمر والدعاء والإجابة كان في أقل من لمح البصر، ولكن الإمام عليه السلام لما أراد إرشاد السامع إلى ما سمعت، وهو لا يتأتى إلا بالعبارة التي ذكرها عليه السلام، أتى بتلك العبارة التي هي أبلغ العبارات في التعبير عن ذلك المعنى المقصود. فهذا التفصيل الذي ذكره الإمام عليه السلام إشارة إلى حكم مقام الإمامة والعبودية لأمير المؤمنين عليه السلام وهو المقام الأخير الذي أشار إليه في كثير من خطبه ومعجزاته بعد ما بين المقامات الأولية بقوله: (وكأني بضعيفكم يقول إن عليا نص على نفسه بالربوبية ألا إن عليا عبد مرزوق ونور مخلوق) ونحو ذلك من العبارات. وأما المقامات العالية فلا يجري فيها هذا التفصيل، ولا امتناع الشمس، ولا سائر ذرات الوجود عن أمرهم وحكمهم؛ لكون أمرهم فيها نفس أمر الله، وحكمهم نفس حكم الله، وإرادتهم نفس إرادة الله، فافهم إن كنت تفهم

وإلا فلا تنكر بها لم تحط بعلمه. فلا ينافي هذا الخبر ما ورد في بيان بعض مراتبهم ومقاماتهم السامية التي عجزت عن دركها بحقيقتها عقول الأنبياء، فضلا عن سائر الناس لكون ذلك ناظرا إلى سائر المقامات التي سمعت بعض أوصافها إجمالا، والسلام على من اتبع الهدى.

أمير المومنين عليه السلام هو من يغسل ويجهز سلمان المحمدي رضوان الله عليه

مناقب ابن شهر آشوب قال: روى حبيب بن حسن العتكي، عن جابر الأنصاري قال: (صلى بنا أمير المؤمنين عليه السلام صلاة الصبح، ثم أقبل علينا فقال: معاشر الناس أعظم الله أجركم في أخيكم سلمان، فقالوا في ذلك، فلبس عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله ودراعته، وأخذ قضيبه وسيفه وركب على العضبا، وقال لقنبر: عد عشرا، قال: ففعلت فإذا نحن على باب سلمان، قال زاذان: فلما أدركت سلمان الوفاة قلت له: من المغسل لك؟ قال: من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت: إنك في المدائن وهو بالمدينة، فقال: يا زاذان إذا شددت لحيي تسمع الوجبة، فلما شددت لحييه سمعت الوجبة، وأدركت الباب فإذا بأمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا زاذان قضى أبو عبد الله سلمان؟ قلت: نعم يا سيدي، فدخل وكشف الرداء عن وجهه، فتبسم سلمان إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: مرحبا يا أبا عبد الله إذا لقيت رسول الله فقل له ما مر على أخيك من قومك، ثم أخذ في تجهيزه، فلما صلى عليه كنا نسمع من أمير المؤمنين عليه السلام تكبيرا شديدا، وكنت رأيت معه رجلين فقال أحدهما: جعفر أخي والآخر الخضر عليهما السلام، ومع كل واحد منها سبعون صفا من الملائكة في كل صف ألف ألف ملك)[1].

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص ٣٧٢، المناقب ج٢ ص ٣٠١، الدرجات الرفيعة ٢١٩، نهج الإيمان ٦٣٨.

يقول مصنف هذا الكتاب: إن حديث سلمان هذا من الأخبار التي اتفقت على روايته العامة والخاصة، وهو يعطى أن سلمان كان من الأوصياء الذين هم من سنخ الأنبياء بتقريب مضي أمير المؤمنين عليه السلام إليه من هذه المسافة البعيدة لتغسيله وتكفينه والصلوة عليه، لما ثبت من أن المعصوم لا يغسله إلا المعصوم، وإلا فقد ثبت توفي جم غفير من أعاظم الأصحاب بحضرته، ولم يباشر بنفسه الشريفة تغسيل أحد منهم وتجهيزه، فضلا عن مضيه بطي الأرض إليه. وفي قول سلمان في جواب زاذان: من المغسل لك؟ حيث قال: من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله إشارة لطيفة إلى هذا المعنى يعرفه من له غور وتصرف في دقايق الكلمات، ومن تتبع مزايا سلمان عليه الرضوان، وما ورد في حقه من الأخبار والآثار لم يستبعد ذلك بوجه بل كان عنده من الاحتمالات الراجحة إن لم يكن القطع. ومما يحقق هذا الاحتمال ما رواه في الكافي بسنده عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ذكرت التقية يوما عند علي بن الحسين عليه السلام فقال: والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، إن علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت فلذلك نسبته إلى العلماء)[1] فإنه عليه السلام جعله من سنخ العلماء لا المتعلمين وعلله بقوله: (إنه منا أهل البيت) والمراد به إبداء خصوصية له من سائر الخلق، فليس هذا القول منه عليه السلام على حد

(١) الكافي ج١ ص٤٠١ .

قولهم في عموم شيعتهم أنهم منهم، وإلا لما كان له خصوصية في ذلك لأن أبا ذر أيضا منهم بالمعنى الثاني، فافهم. نعم ربما يتوهم من لا غور له في الحقائق الإلهية أن المراد بقولهم ﷺ (إن سلمان منا) أنه من سنخ طينة حقائقهم وذواتهم وهو غلط مردود، فإن طينة محمد وآله الأربعة عشر المعصومين ﷺ طينة مخصوصة ليس لمن عداهم فيها نصيب حتى سائر الأنبياء والمرسلين بدلالة الأخبار الصحيحة، وإنما المراد به كونهم منهم في طينة الصفة التي هي طينة سائر الأنبياء وأوصيائهم ﷺ؛ لأن الأئمة ﷺ شاركوهم في تلك الطينة في مقام التنزل، فتلك الطينة من شعاع طينتهم الأصلية في المرتبة الأولى من نزولهم، فافهم وتبصر، ولولا خوف الخروج عن وضع الكتاب لأوردنا في تشييد هذا المعنى، أعني كونه من سنخ الأنبياء ﷺ ما يروي الغليل.

وبالجملة، إن جلالة شأن الرجل أعظم من أن يحوم حوله الحائمون، وأحب نقل حديث لطيف يكشف عن بعض مقاماته السامية وهو داخل في جملة فضائل أهل البيت ﷺ أيضا؛ لأن جلالة التابع يكشف عن جلالة المتبوع، وهو ما سمعت والدي العلام ﷺ يروي عن أحد الأئمة ﷺ ولا أذكره الآن: (إن جبرائيل ناجى الله عز وجل وقال: إلهي أريد أن أبلغ منتهى جنتك، فقال الله سبحانه: إنك لن تقدر على ذلك، فراجع في المسألة، فأعانه الله تعالى بثلاثين ألف جناح، يقطع في كل لحظة بكل جناح مسيرة ما بين المشرق والمغرب، فطار ثلاثين ألف سنة فنفدت قوته، فاستعانه ثانية، فأعانه بضعف الأولى من الأجنحة كل جناح مثل الأولى في القوة، فطار ستين ألف سنة فنفدت قوته، فاستعانه ثالثة، فأعانه الله بضعف الثانية من الأجنحة كل جناح

مثل سابقه في القوة، فطار مائة ألف وعشرين ألف سنة، فإذا بنور قد ضرب عينيه، فوقع من بريقه على الأرض، فرفع رأسه وإذا هو بحورية قد أطلعت رأسها من قصرها تنظر إليه وهي تتبسم، وذلك النور يلمع من ثغرها فقالت له الحورية: ما شأنك يا جبرئيل؟ قال: أريد أن أبلغ منتهى الجنة، فقالت: منذ كم أنت في السير؟ قال: منذ كذا وكذا، فقالت: لقد رمت محالا يا جبرئيل، قال: ولم ذلك؟ قالت: إني حورية واحدة من حور الجنة التي لا يحصي عددها إلا الله، وأنت لم تطر هذه المدة الطويلة إلا في ملكي، والآن قد بلغت وسطه، فقال لها جبرئيل: من أنت؟ وما اسمك؟ قالت: أنا جارية من جواري سلمان الفارسي، واسمي سلمى، قال: فلما سمع جبرئيل ذلك تنبه واعتذر إلى الله تعالى عما رام ورجع إلى مقامه). ثم إن في المقام حكاية لطيفة لا بأس بذكرها ترويحا لنفوس الناظرين وهو (أن ابن الجوزي قال يوما على منبره: سلوني قبل أن تفقدوني، فقامت إمرأة وقالت: أخبرني أين كان أمير المؤمنين لما توفى سلمان بالمدائن؟ قال: كان بالمدينة، قالت: ومن غسل سلمان؟ قال: أمير المؤمنين، قالت: وكيف ذلك وهو بالمدائن وأمير المؤمنين بالمدينة؟ قال: مضى إليه بطي الأرض، قالت: وأين كان أمير المؤمنين لما قتل عثمان؟ قال: بالمدينة، قالت: ومن غسله؟ قال: فبهت ابن الجوزى ولم يجب جوابا إلا دان، قال: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فلعنة الله عليك، وإن كنت خرجت بإذنه فلعنة الله عليه، فقالت المرأة: أخبرني عن أم المؤمنين خرجت إلى البصرة لقتال علي عليه السلام بإذن زوجها أم بغير إذنه قال: ولما سمع ذلك ابن الجوزي نكس رأسه ونزل عن المنبر، ودخل بيته ولم يخرج أربعين يوما)[1]. ولقد

(١) بحار الأنوار ج٢٩ ص٦٤٧ ،مواقف الشيعة ج٢ ص ٣٧٧،شجرة طوبى ج١ ص ٦٧.

أخذ هذا المعنى جماعة من الشعراء ونظموه في أشعارهم، منهم بعض سادة العراق حيث قال:

وأمر سلمان في التغسيل مشتهر
بين الفريقين خافيه وباديه
قد شابهت ليلة المعراج ليلته
ويوم آصف حين العرش يأتيه
وفي المسير لتغسيل الزكي
وإهمال الشقي لسر باد خافيه
أن أهملوه فكم أدنى أخا ضعة
يوما وبعد ذا قدر وتنويه

وقد أجاد، ومنهم محمد كاظم الأزري في قصيدته الهائية المعروفة، حيث يقول:

من تولى تغسيل سلمان إلا
ذات قدس تقدست أسماها
ليلة قد طوى بها الأرض طيا
إذ نأت داره وشط مداها
وابن عفان حوله لم يجهزه
ولا كف عنه كف أذاها
لست أدري أكان ذلك مقتا
من علي أم عفة ونزاها

أمير المؤمنين عليه السلام يصرح بما سيكون في آخر الزمان

السادس والثمانون: مناقب ابن شهر آشوب عن الأعمش بروايته

عن رجل من همدان قال: (كنا مع علي عليه السلام بصفين، فهزم أهل الشام ميمنة العراق، فهتف بهم الأشتر ليتراجعوا، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يقول لأهل الشام: يا أبا مسلم خذهم ثلاث مرات، فقال الأشتر: أو ليس أبو مسلم معهم؟ قال: لست أريد الخولاني، وإنما أريد رجلا يخرج في آخر الزمان من المشرق يهلك الله به أهل الشام، ويسلب عن بني أمية ملكهم)[1].

تحقيق لطيف في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام للأصلاب

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب: في هذا الخبر معجزتان:أحداهما: إخباره عما سيأتي وقد وقع تصديقه، أعني خروج أبي مسلم المروزي، وسلبه ملك بني أمية. ثانيهما: معاينته لمن في الأصلاب وكلامه معهم، فإن المخاطبة مع من لا يرى ولا يسمع الكلام قبيح عقلا. هذا وكأني بالجامدين على القشور يأولون هذا بتخريج مجازات بعضها فوق بعض، مع أنهم لا يأولون الحديث المشهور (عن الصادق عليه السلام قال: لما أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء البيت وتم بناؤه قعد إبراهيم على ركن، ثم نادى: هلم الحج هلم الحج، فلو نادى هلموا إلى الحج؛ لم يحج إلا من كان يومئذ إنسيا مخلوقا، ولكنه نادى:هلم الحج، فلبى الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي الله، لبيك داعي الله عز وجل، فمن لبى عشرا يحج عشرا، ومن لبى خمسا يحج خمسا، ومن لبى أكثر من ذلك فبعدد ذلك، ومن لبى واحدا، حج واحدا ومن لم يلب لم يحج)[2]. وأن هو إلا لكون ولاية خصوص أمير المؤمنين كبيرة إلا على الخاشعين.

---

(١) المناقب ج٢ ص٢٦٢ ،بحار الأنوار ج٤١ ص ٣١٠ .

(٢) الكافي ج٤ ص٢٠٦ .

إن قلت سلمنا ذلك إجمالا ولكن نريد وجه الصحة في الخبرين معا، فإن لقائل أن يقول: هب أن أمير المؤمنين وإبراهيم الخليل عليهما السلام كانا محيطين بمن في الأصلاب يريانهم رأي العين، ولكن لا ريب أن من في الأصلاب ليس لهم شعور في تلك الحالة ولا إحساس، فكيف يصح خطاب من لا يشعر بالخطاب، وكيف يقدر هو على الجواب.

قلنا: هذا الإشكال له وجوه من الأجوبة، منها ما قدمنا في القسم الأول من كون كل ما في الوجود حتى الأعراض ذوات شعور كل بحسب مقامه، فصاحب الولاية المهيمن على الكل يخاطب كلا بلسانه.

منها أن الذي يقدر أن يعطي الجماد نطقا بمعنى إبراز ما في كيانه إلى العيان بفاضل قوة لطيفته الربانية، ويخاطبه بما يريد كما ورد في معجزات أصحاب الدعوة أكثر من أن تحصى؛ يقدر أن يعطي النطف أيضا تلك القوة، فيخاطبها بما يريد، ثم يسلبها عنها، فإنها ليست بأحسن من سائر الجماد.

منها أن الذي يكون بيده ملكوت الأوقات المتدرجة لا يحجبه حجب الماضي والاستقبال، بل تكون الأزمنة كلها عنده مشهد واحد، فيخاطب كل شيء في زمان وجوده ومكان حدوده، فيمكن أن يكون الخطاب من أمير المؤمنين عليه السلام، وكذا من الخليل عليه السلام لمحال الوجود الخارجي المشتمل على الشعور التام. وبهذا صححنا شمول الخطابات الشرعية من الله ومن رسوله وأوصيائه لجميع المكلفين إلى يوم القيامة من غير أن يلزم منه خطاب المعدوم، ولم نحتج إلى القول بكوننا مكلفين بمعانيها من باب الاشتراك في التكليف كما تمحله بعض أصحابنا الأصوليين حذرا من لزوم خطاب المعدوم القبيح عقلا، ولا إلى إنكار قبح خطاب المعدوم كما عن بعض.

أهل البيت عليهم السلام أعطوا أكثر ما أعطي سليمان

الرابع والستون وفيه عن الأصبغ بن نباتة قال: (سألت الحسين عليه السلام فقلت: سيدي أسألك عن شيء أنا به موقن وإنه من سر الله وأنت المسرور إليه ذلك السر، فقال: يا أصبغ أتريد أن ترى مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي دون [يوم][٣] مسجد قبا؟ قال: هذا الذي أردت، قال: قم فإذا أنا وهو بالكوفة فنظرت فإذا المسجد من قبل أن يرتد إلي بصري فتبسم في وجهي، فقال: يا أصبغ إن سليمان بن داود أعطي الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأنا قد أعطيت أكثر مما أعطي سليمان، فقلت: صدقت والله يا ابن رسول الله، فقال: نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه وليس عند أحد من خلقه ما عندنا لأنا أهل سر الله، فتبسم في وجهي ثم قال: نحن آل الله وورثة رسوله فقلت الحمد لله على ذلك، ثم قال لي: ادخل، فدخلت فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله محتب في المحراب بردائه فنظرت فإذا أنا بأمير المؤمنين قابض على تلابيب الأعسر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يعض على الأنامل وهو يقول بئس الخلف خلفتني أنت وأصحابك عليكم لعنة الله ولعنتي) الخبر[١].

تحقيق في إراءة الحسين أمير المؤمنين للأصبغ

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب: قد مضى في معجزات أمير المؤمنين عليه السلام حكاية مسجد قبا وربما يتوهم من لا مسكة له في المعرفة ولم يعض على العلم بضرس قاطع أن الحسين عليه السلام أرى الأصبغ صورة شبيهة بما وقع في الزمان الماضي وهو جهل بحقائق الحكمة، وإنما أراه عليه السلام عين ما وقع بمكانه وزمانه، وبيان هذا الحرف

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص١٨٤، المناقب ج٤ ص٥٢، مدينة المعاجز ج٣ ص٥٠٢

أن الأمور الواقعة في هذا العالم كلما وقع منها شيء في وقت مخصوص وزمان كذلك أثبته الحفظة من الله تعالى في لوح ذلك الوقت وذلك المكان فإذا انتقل السائر في بحر الزمان إلى ما بعد ذلك الوقت انتقل ذلك الأمر الواقع بالنسبة إليه إلى عالم الغيب فلا يراه ببصره الجسماني لانحصار بصره بالحدود الزمانية ولما كانت نفسه غير محصورة بتلك الحدود فهي كلما التفتت بمرآة خيالها التي هي بصرها الغيبي إلى مكان ذلك الأمر ووقته وجدته على ما رآه الشخص ببصره حين الوقوع، وهذا أمر وجداني يجده كل ناظر من نفسه، فإذا رأى زيداً مثلاً يصلي في مكان يوم الخميس ثم انتقل عنه إلى يوم الجمعة وما بعده فإنه كلما التفت بخياله إلى ذلك المكان وذلك اليوم وجده فيهما يصلي تلك الصلاة بعينها وهذا المرئي من زيد مثاله العملي الذي كان قد يلبس به حين الاشتغال به وهو متعلق بزيد دائماً تعلق الظل للشاخص وليس هذا المرئي أمراً قد انتقش في مرآة خياله حين الرؤية مع فناء ما في الخارج وإلا لما احتاج في تذكره إلى الالتفات إلى خارج الذهن فافهم، وهذا الكتاب هو الذي أشار تعالى إليه في قوله عن موسى حين قال له فرعون ﴿فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي في كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي ولا يَنْسى﴾(1) الآية، وفي قوله في جواب منكري البعث ﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وعِنْدَنا كِتابٌ حَفِيظٌ﴾(2) وفي قوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى ونَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثارَهُمْ وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ في إِمامٍ مُبِينٍ﴾(3) وفي قوله ﴿وكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾(4) على أحد المعاني إلى

(1) طه: ٥١-٥٢
(2) ق: ٤
(3) يس: ١٢
(4) القمر: ٤٣

غير ذلك من الآيات وهو الذي يؤتى المرء يوم القيامة بيمينه أو بشماله فيقول: ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ومنه يعرف معنى حشر العاملين متلبسين بالأعمال التي عملوها في الدنيا ومعنى حشر الأيام والليالي والأمكنة وشهادتها للعاملين وكذا شهادة الجوارح فافهم، فالأمور الماضية كلها باقية محفوظة على ما هي عليه في مكانها ووقتها المخصوص في عالم المثال الأسفل الذي هو من ظل عالم الأجسام ولا يمحوها انتقال الأجسام وسيرها في الأجزاء الزمانية كما ترى وهو سر تخلد أهل الجنة في النعيم وأهل النار في العذاب الأليم لكون أعمالهم دائمية إلا أن يتوب شخص عما عمل من السوء فتنقطع النسبة بينه وبينه ويلحق العمل بأصله، هو يخرج عن الإيمان فتنقطع النسبة بينه وبين أعماله الحسنة كذلك، فافهم هذه الحكم المضنون بها عن الأغيار، وهذا النحو من الرؤية أعني الرؤية بالبصر النفساني أمر مبذول لا يفتقر إلى تصرف إعجازي من صاحب معجز وإنما يفتقر إليه الرؤية الجسمانية فإذا أراد صاحب المعجز أن يري من يريد شيئاً من هذه الأمور بالبصر الجسماني كشف عن بصره بفاصل لطيفة الغطاء الطاري له من الأكدار الدنيوية فجعل بصره حديداً يرى بعينه الجسمانية ما في عالم الغيب كما يرى بعينه النفسانية ما في عالم الشهادة لارتفاع الغرائب من البين، وكون ظاهره بحكم الباطن وباطنه بحكم الظاهر فيرى بتلك العين ذلك الأمر الواقع بحقيقته في وقته ومكانه لا بصورة أجنبية شبيهة به، ومن هذا القبيل ما رآه الأصبغ من واقعة مسجد قبا ويمكن أن يقع مثل هذه المعاينة بالنسبة إلى الأمور الآتية ولا يضره عدم وقوعها بعد بالنسبة إلى الحال الحاضر فإنها عند عالم الملكوت من قسم ما كان فلا انتظار فيه بالنسبة إلى الحوادث الزمانية

لتعالي رتبته عن تلك التدرجات، فهو مع الأول في الأول ومع الآخر في الآخر يحيط بجميعها بنظر واحد فإذا حصل للعين الجسمانية اللطافة الروحانية الملكوتية صارت بحكم المشاعر الغيبية وارتفع عندها التدريج الزماني، فترى أول الزمان وآخره بنظر واحد من غير انتظار كما رآه النبي ﷺ ليلة المعراج مع كون معراجه جسمانياً وصلى فيه صلاة الظهر مع كون سيره واقعاً في الليل، ورأى أهل الجنة في النعيم وأهل النار في العذاب الأليم مع كونهم لم يدخلوهما بعد ظاهراً، والأصل في ذلك كله ما أشرنا إليه من كون الجسد إذا تلطف وزالت عنه الأكدار العارضة له من جهة الإنية صار بحكم الروح الملكوتي وفعل فعله بغير واسطة مع بقائه على الجسدية، كما أن الروح الملكوتي إذا تلطف وزالت عنه الأكوار صار بحكم الجسد وفعله بغير واسطة مع بقائه على الروحية فلا يبقى فرق بين الروح والجسد في الحكم والأفعال والآثار فافهم وتبصّر ولا تصغ إلى خرافات المتكلفين فإنها عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض، هذا وقد يتصرف صاحب المعجز في المرئي فيجذب ما يريد إظهاره من الأمور الواقعة أو الآتية إلى عالم الشهود الحسي فيراه الناظر مجسماً عنده من غير تصرف في عينه بل بإعطاء ذلك الأمر لباساً شهودياً كسائر الأمور الحاضرة المشهودة، ومن هذا الباب رد أمير المؤمنين عليه السلام وقت العصر الذي قد كان مضى إلى عالم الغيب المثالي وإقامة الصلاة فيه أداء لا قضاء كما زعمه بعض القاصرين فهو مثل إعادة ذلك الوقت يوم القيامة كما حكمت به الشريعة الحقة من حشر الأيام في يوم الميعاد بعينها، فتفهم واستقم فقد والله أسمعناك تغريد ورقاء الجنان على الأفنان بفنون الألحان جزى الله من أوقفنا عليه بأنوار بياناته الشافية وتعليماته الوافية خير الجزاء وما

أنسب بالمقام ما قال صاحب الشذور في حق العلم المكتوم:

أبا جعفـر خـذها إليـك يتيمـة
تـودع لـوقا أن يورثهـا قسطـا
ولـكننـي لما وجدتـك أهلـهـا
سمحـت بها لفظاً وأثبتها خطا

الحسين عليه السلام يخط لأصحابه بإصبعه خطا فينفجر نهر ماء

وفيه عن ثاقب المناقب من كتاب البستان عن الرضا عليه السلام قال (هبط على الحسين عليه السلام ملك وقد شكا أصحابه إليه العطش فقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول هل لك من حاجة، فقال الحسين عليه السلام هو السلام ومن ربي السلام وقال قد شكا إلي أصحابي ما هو أعلم به مني من العطش، فأوحى الله تعالى إلى الملك قل للحسين خط لهم بإصبعك خلف ظهرك يرووا، فخط الحسين عليه السلام بإصبعه السبابة فجرى نهر أبيض من اللبن وأحلى من العسل فشرب منه هو وأصحابه فقال الملك يا ابن رسول الله أتأذن لي أن أشرب منه فإنه لكم خاصة وهو الرحيق المختوم الذي ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فقال الحسين عليه السلام إن كنت تحب أن تشرب منه فدونك)[1].

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب هذان حديثان يتنافيان بظاهرهما ما ثبت بالتواتر هو من حال عطشه وعطش أصحابه عليه وعليهم السلام يوم العاشورا، كما لا يخفى على من تأمل مضامين تلك الروايات ويمكن الجمع بين تلك الروايات وبين الحديث الثاني بوقوع ذلك قبل يوم القتل فإن في بعض الروايات أن القوم حالوا بينهم وبين الماء قبل

(١) مدينة المعاجز ج٣ ص٤٩٥، الثاقب في المناقب ٣٢٧، مسند الإمام الرضا ج١ ص٢٤٧، كلمات الإمام الحسين (ع) ٤٢٧

يوم القتل بثلاثة أيام فعلى هذا يمكن أن يكون الحسين عليه السلام سقاهم من ذلك النهر في خلال تلك الأيام دون يوم القتل.

ويؤيد هذا الحمل ما رواه محمد بن أبي طالب الموسوي الحائري رحمه الله في مقتله (أن القوم لما حالوا بين الحسين عليه السلام وأصحابه وبين الماء وأضر العطش بالحسين عليه السلام وأصحابه فأخذ الحسين عليه السلام فأسا وجاء إلى وراء خيمة النساء فخطا في الأرض تسع عشر خطوة نحو القبلة ثم حفر هناك فنبعت له عين من الماء العذب فشرب الحسين عليه السلام وشرب الناس بأجمعهم وملئوا أسقيتهم ثم غارت العين فلم ير لها أثر وبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى عمر بن سعد بلغني أن الحسين يحفر الآبار ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه فانظر إذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيق عليهم ولا تدعهم يذوقوا الماء وافعل بهم كما فعلوا بالزكي عثمان)[1]. فإن هذه الرواية صريحة في كونهم واجدين للماء قبل يوم القتل ولو من جهة الإعجاز وممنوعين منه بعد ذلك من كلا الوجهين أعني وجه الأسباب الظاهرة ووجه الأسباب الباطنة لحكمة رآها سيدهم عليه السلام في ذلك.

تحقيق في مسألة عطش الحسين عليه السلام وأصحابه

ويعضد أيضا اختصاص عطشهم وممنوعيتهم من الماء بيوم القتل فقط ما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام في الحديث الطويل المروي في أماليه وهو (أن الحسين عليه السلام أرسل ليلة القتل عليا ابنه عليه السلام في ثلاثين فارسا وعشرين راجلا ليستقوا الماء وهم على وجل شديد إلى أن ثم قال لأصحابه قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم وتوضئوا

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٨٧، العوالم، الإمام الحسين ع ٢٣٨

واغتسلوا واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم ثم صلى بهم الفجر وعبأهم تعبئة الحرب)[٣] . والدلالة فيه على المطلوب ظاهرة في رواية محمد بن أبي طالب أنه عليه السلام أرسل العباس عليه السلام في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معه عشرين قربة في جوف الليل فأتوا بالماء فشرب الحسين عليه السلام ومن معه . وأي الروايتين صحّت فهي كافية في المطلوب، وأما الحديث الأول فلا يجري فيه هذا الحمل لإنكاره عليه السلام كون الحسين عليه السلام قد قتل عطشاناً فلا بد من وجه جمع آخر ويمكن أن يقال إن هذا الأمر قد وقع مقارنا لقتله صلوات الله عليه فإنه يصدق عليه حينئذ أنه لم يقتل عطشانا ولا ينافي عطشه السابق على ذلك الحال كما وقع مثل ذلك لعلي بن الحسين الشهيد عليه السلام فإنه قد سقاه جده قبل أن يجود بنفسه بما شفى غليله وأخبر أباه بذلك كما ورد في الرواية وعليه فيما ورد في الروايات من استسقائه الشمر لعنه الله يمكن أن يكون إتماما للحجة وإظهارا لشقاوته وقسوة قلبه والله أعلم ، هذا إن جرينا على الظاهر وأما إن جرينا على التأويل فنقول يمكن أن يكون ذلك الشراب الذي شرب منه هو وأصحابه ما كان من الأشربة التي تروي غليل الظاهر بل مما يروي غليل الباطن الذي هو شدة اشتياقهم إلى لقاء الحبيب ومن خواص ذلك الشراب أنه إذا شرب منه أهله هان عنده الظمأ الجسماني وسائر المصيبات والمكاره الدنيوية فيكون في عين التألم في غاية التنعم والالتذاذ الذي لا التذاذ فوقه وإلى هذا المعنى أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في حديث كميل في قوى النفس الكلية الإلهية (بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل)[٢] فافهم

---

(١) الأمالي للصدوق ١٥٤، بحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٦.

(٢) التفسير الصافي ج٢ ص١١٢.

وهو معنى ما رواه الراوندي في الخرائج (عن أبي سعيد سهل بن زياد حدثنا الحسن بن محبوب حدثنا ابن فضيل حدثنا سعد الجلاب عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قال الحسين بن علي عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يا بني إنك ستساق إلى العراق وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين وهي أرض تدعى عمورا وإنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد وتلا ﴿ قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ ﴾ تكون الحرب عليك وعليهم بردا وسلاما فأبشروا فوالله لئن قتلونا فإنا نرد على نبينا)[1]. وهو طويل أخذنا منه موضع الحاجة فإنه ليس المراد بذلك أنهم لا يحسون بتلك الآلام وإنما المراد أنهم تهون عليهم تلك الآلام إذا نظروا إلى ما أعد لهم من النعيم الدائم الذي روحه النظر إلى وجه الله وقد روى الصدوق في العلل (عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق رحمه الله قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي قال حدثنا[3] محمد بن زكريا الجوهري قال حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت فقال إنهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه من الجنة)[2].

وقد مثّل لاجتماع هذين الأمرين من عرضت له علة في عضو من أعضائه لا يخلص منها إلا بالقطع أو الكي فإنه في عين تألمه من ذلك

(١) بحار الأنوار ج٤٥ ص٨٠، الخرائج والجرائح ج٢ ص٨٤٨

(٢) بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٩٧، علل الشرائع ج١ ص٢٢٩، مدينة المعاجز ج٤ ص٢١٤، العوالم الإمام الحسين عليه السلام ٣٥٠.

القطع أو الكي بتلذذ به من جهة تصور أدائه إلى سلامة النفس فمن الممكن أن تجتمع فيه عليه السلام وأصحابه هاتان الحالتان بأن يكونوا في عين التألم من العطش الظاهري رواء من جهة ما شربوا من شراب العناية الإلهية الذي من شرب منه لا يظمأ أبدا و بالجملة الألم إذا كان في جنب المحبوب الحقيقي لم يتضجر منه المحب في عين إحساسه به وهذا أمر ذوقي وجداني لا يكفيه البيان بل يحتاج إلى العيان فمن لم يذق لم يدر. فإنكار قتله عليه السلام عطشاناً يمكن أن يكون إشارة إلى أنه عليه السلام من شدة استغراقه في بحر المحبة وتجرعه من كؤوس العنايات الإلهية والملاطفات الربانية التي أنزلها الله إليه بأيدي عظماء ملائكته ما كان محتفلا بالعطش الظاهري ولا مكترثا به وكذا حال أصحابه عليهم السلام كل بحسب مقامه لما شربوا من الكأس الأوفى وهو كأس المحبة الحسينية التي لا شربة في العالم أعذب منها وكأس العناية الإلهية التي أعطاهم الله تعالى بأيدي حبيبه وابن حبيبه جزاء لتلك المحبة.

تذييل : ثم اعلم إن تخيير الله تعالى للحسين عليه السلام بين الدنيا وما فيها والتمكن من العدو وبين اختيار لقاء الله هو مدلول عدة أخبار، منها ما رواه الكليني رحمه الله في الكافي عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن عبد الملك بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال (لما نزل النصر على الحسين بن علي عليهما السلام حتى كان بين السماء والأرض ثم خير النصر أو لقاء الله فاختار لقاء الله)[1] فلا موقع لما تكلفه بعض أصحابنا القدماء والاعتذار عن إقدامه عليه السلام على القتل وإلقاء نفسه إلى التهلكة من أنه عليه السلام غلب على

(١) الكافي ج١ ص٤٦٥، شرح أصول الكافي ج٧ ص٢٣٤.

ظنه في ابتداء الأمر النصر لظهور إماراته من مكاتبات أهل الكوفة وغيرها فلما انعكس ذلك وظهر إمارات الغدر فيه وسوء الاتفاق رام الرجوع والمكافة والتسليم كما فعل أخوه فمنع من ذلك وحيل بينه وبينه إلى آخر ما تكلفه ﷺ فإن أمثال هذه التكلفات والاعتذارات إنما تجري في حق أمثالنا وأما الذي بيده ملكوت كل الأشياء وعنده مفاتح الغيب وعلم ما كان وما يكون فالاعتذار عنه بمثل هذه المعاني سقط من القول لا يلتفت إليه ثم ليت شعري ما معنى عد القتل في سبيل الله الذي أخذ الله عليه الميثاق يوم خلق السماوات والأرض من إلقاء النفس إلى التهلكة حتى يحتاج إلى هذه التمحلات وكأن هذا المعتذر لم يسرح في رياض الأخبار ولا جاس خلال تلك الديار أو نظر فيها نظر من قرأ ألفاظها ومبانيها ولم يتدبر أسرارها ومعانيها أو تدبّرها ولم يعوّل عليها وإنما اعتمد في ذلك على ما تقرر عنده من بعض القواعد المجهولة الأصول والمباني المبنية على الترجيات إشارة إلى الاحتمالات المبنية على عسى ولعل فافهم والأماني وإلا فمن وقف على ما ورد في هذا الشأن من محكمات الآثار وأشير إليه فيها من دقائق الأسرار وتأمل ما أخبر به الله ورسوله وأوصيائه من مبادئ هذه الواقعة العظمى وغاياتها حتى ملأت قبل وقوعها أصقاع الملك والملكوت بل أخذ العهد على نصرة القائم بها من الأرواح الملكوتية قبل أن تنزل إلى الأشباح الناسوتية فأجاب من أجاب وأبى من أبى لم يكن ليقيس هذا الأمر العظيم وحال صاحبه بسائر الأمور الواقعة في العالم من هذا السواد الأعظم حتى يقول ما قال ولكن المعصوم من عصمه الله والسلام.

الحسين عليه السلام يسقي أصحابه الماء بإبهامه

الثاني والتسعون مدينة المعاجز عن دلائل الطبري ﷺ قال : أخبرني أبو الحسين محمد بن هارون عن أبيه عن أبي علي محمد بن همام عن أحمد بن الحسين المعروف بابن أبي القاسم عن أبيه عن الحسين بن علي عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : (لما منع الحسين عليه السلام وأصحابه الماء نادى فيهم : من كان ظمآن فليجئ فأتاه أصحابه رجلا رجلا فجعل إبهامه في راحة واحد ، فلم يزل يشرب الرجل بعد الرجل حتى ارتووا ، فقال بعضهم لبعض: والله لقد شربت شرابا ما شربه أحد من العالمين في دار الدنيا فلما قاتلوا الحسين عليه السلام، وكان في اليوم الثالث عند المغرب ، أقعد الحسين رجلا رجلا منهم يسميهم بأسماء آبائهم فيجيبه الرجل بعد الرجل ، فيقعدون حوله ، ثم يدعو بالمائدة فيطعمهم ويأكل معهم من طعام الجنة ويسقيهم من شرابها ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : والله لقد رأتهم عدة كوفيين ولقد كرر عليهم لو عقلوا . قال : ثم خرجوا لرسلهم فعاد كل واحد منهم إلى بلادهم ، ثم أتى لجبال رضوى ، فلا يبقى أحد من المؤمنين إلا أتاه، وهو على سرير من نور قد حف به إبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء ومن ورائهم المؤمنون ومن ورائهم الملائكة ينظرون ما يقول الحسين صلوات الله عليه. قال : فهم بهذه الحال إلى أن يقوم القائم عليه السلام وإذا قام القائم عليه السلام وافوا فيها بينهم الحسين عليه السلام حتى يأتي كربلاء فلا يبقى أحد سماوي ولا أرضي من المؤمنين إلا حفوا بالحسين عليه السلام حتى أن الله تعالى يزور الحسين ويصافحه ويقعد

معه على سرير . يا مفضل هذه والله الرفعة التي ليس فوقها شيء ولا دونها شيء ولا ورائها مطلب)[3] .

تحقيق في بيان الحديث السابق وفيه بيان لبعض مقامات المعصومين

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب هذا الحديث من الأحاديث المستصعبة التي لا يحتملها إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وهو حقيق بأن يشرح شرحا وافيا ولكن القلب عن ذلك عليل واللسان كليل :

عتبت على الدنيا وقلت إلى متى
أكابد هما بؤسا ليس ينجلي
أكل شريف من علي جدوده
حرام عليه العيش غير محلل
فقالت نعم يا ابن الحسين رميتكم
بسهمي عنادي حين طلقني علي

فلنشير إلى شيء من البيان على سبيل الاختصار ونقول قال الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة (العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد من العبودية وجد في الربوبية وما خفي عن الربوبية أصيب في العبودية)، ومعناه أن حقيقة العبد آية الرب تعالى وظهوره له به كما قال أمير المؤمنين عليه السلام (لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها) الخطبة ، فالعبد له جهتان جهة عبودية هي جهته من نفسه وجهة ربوبية هي جهته من ربه لا بمعنى ما زعمه أهل الإلحاد من كون حقيقة العبد عين ذات الرب تعالى بل بمعنى كونها آيته وعنوانه

(٣) مدينة المعاجز ج٣ ص٤٦٣، دلائل الإمامة ١٨٨

ودليله وظهوره الفعلي ولا ريب أن جهة العبودية من حيث هي مخالفة لجهة الربوبية فهي حاجبته عن مشاهدة جمال الرب ما دامت باقية على حالها وجميع العباد مكلفون بكشف ذلك الحجاب ليحصل لهم معرفة رب الأرباب ومشاهدة جماله الظهوري بعينه التي أعطاها إياهم وهي المعبّر عنها بالعين الفؤادي التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله (لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته بحقايق الإيمان)[1] وذلك في جواب من سأله هل رأيت ربك؟ فقال عليه السلام كيف أعبد رباً لم أره.

روى أهل السير أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله أرأيته حين عبدت الله فقال له أمير المؤمنين لم أك بالذي أعبد من لم أره فقال كيف رأيته يا أمير المؤمنين فقال له ويحك لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان)[2] ولا يحصل هذا الكشف إلا بسحق جهة العبودية بصلابة الآداب الشرعية والأخلاق الروحانية والحقائق الربانية فإنها إذا استقت بتلك الأمور نعمت أجزائها ولطفت وصفت بتكرار الحل والعقد وزالت عن أجزائها غرائب الأكدار فشابهت جواهر أوائل عللها وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد انصبغت بصبغ جهة الربوبية فارتفع الخلاف من البين واتحد حكم الجهتين وجاء امتزاج البحرين بحر العبودية وبحر الربوبية وحصل مصداق قول الشاعر:

رق الزجاج ورقت الخمر
فتشاكلا فتشابه الأمر

(١) بحار الأنوار ج٤ ص ٣٢.
(٢) بحار الأنوار ج٤ ص ٣٢، مختصر بصائر الدرجات ١٦٠.

فكأنما خمر ولا قدح
وكأنما قدح ولا خمر

فإذا بلغ العبد هذا المقام لم يبق بينه وبين ربه حجاب فيدخل مجلس القدس ويجلس مع المحبوب في سرير الأنس وهو وجه الحق الذي ظهر له به فافهم.

هذا حال ساير الخلق أما المعصوم عليه السلام فهذا المقام حاصل له مساوقا لبدء خلقه فليس بين الله وبين حجته حجاب في حال من الأحوال كما مر صريح الحديث في ذلك القسم الأول من الكتاب، نعم إنهم عليهم السلام يلبسوا بعض العوارض بالعرض في هذه الدار الفانية ليطيق الخلق رؤيتهم فيتمكنوا من تكميلهم وهو أحد الأسرار في بكائهم واستغفارهم إلى الله تعالى من غير ذنب لحق ذواتهم فافهم. فإذا خلعوا هذا اللباس العرضي وانتقلوا إلى الدار الباقية خلص لهم ذلك المقام فحينئذ يزورهم الرب تعالى وصافحهم ويقعدون معه على سرير واحد لاتحاد حكم العبودية مع حكم الربوبية وفنائها في جنبها كما حصل لرسول الله صلى الله عليه وآله في معراجه فإن الذي حصل له صلى الله عليه وآله في عروجه إلى السماء هو الذي حصل للحسين عليه السلام في نزوله إلى الأرض وكذا لساير الأئمة في إدبارهم عن الخلق وإقبالهم إلى الحق وليس للعبد وراء هذا المقام مقام كما صرح عليه السلام بقوله (هذه والله الرفعة التي ليس فوقها شيء ولا لورائها مطلب). فافهم يا أخي أسرار أئمتك ولا تحمل أخبارهم على ما اقترحه أهل الجهل والإلحاد والزندقة فإن الممكن لا يصعد إلى الأزل ولا الأزل ينزل إليه إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله فالطريق مسدود والطلب مردود دليله آياته

ووجوده إثباته فهذا هو معنى الحديث على الإجمال ولو كان للقلب إقبال لأعطينا البيان حقه وكشفنا من أسرار الخبر ما يبهر العقول ولكني قدمت العذر في ذلك ولكل بناء مستقر.

لا يقوى على حمل الاسم الأعظم إلا هم عليهم السلام

رجال الكشي رحمه الله: عن نصر بن الصباح قال: حدثني الحسن بن علي بن أبي عثمان السجادة، قال: حدثني القاسم الصحاف عن رجل من أهل المدائن يعرفه القاسم، عن عمار الساباطي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (جعلت فداك أحب أن تخبرني باسم الله عز وجل الأعظم، فقال لي: إنك لا تقوى على ذلك، فلما ألححت عليه قال: فمكانك إذا، ثم قام فدخل البيت هنيهة، ثم صاح بي: ادخل، فدخلت فقال لي: ما ذلك؟ فقلت: أخبرني به جعلت فداك، قال: فوضع يده على الأرض، فنظرت إلى البيت يدور بي، وأخذني أمر عظيم كدت أهلك، فصحت فقلت: جعلت فداك حسبي لا أريد ذا)[1].

أقول: قد مضى مثل ذلك عن أبي جعفر عليه السلام في حق عمر بن حنظلة في القسم الأول من الكتاب، (وأنه لما أراد ذلك وضع أبو جعفر عليه السلام يده على الأرض، فأظلم البيت فارتعدت فرائص عمر، فقال: ما تقول أعلمك؟ فقال: لا)، الحديث. ولا بأس بالإشارة إلى معنى الاسم الأعظم في الجملة لأنه مفتاح ألف باب من العلم.

تحقيق لطيف في معنى الاسم الأعظم

فنقول - مستعينا باسم الله الأعظم- قال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي الأسود الدؤلي: (الاسم ما أنبأ عن المسمى)[2] الحديث.

---

(١) المناقب ج٤ ص٢٤٤، رجال الكشي ٢٥٣، بحار الأنوار ج٢٧ ص٢٧، اختيار معرفة الرجال ج٢ ص٥٢٤.
(٢) الفصول المختارة ٩١

ومن البين أن الإنباء عن المسمى ليس بمقصور في الألفاظ، والأعراض هي المعاني والجواهر آكد في ذلك وأبين في الدلالة، فهي أولى بحقيقة الاسمية من الألفاظ، فالاسمية لها أولا، وبالذات وللألفاظ ثانيا، وبالتبع لكونها قوالب لتلك المعاني ومرايا لها؛ إذا عرفت ذلك فاعلم أن اسم كل شيء عبارة عن ظهوراته الفعلية الإشراقية الصادرة عنه، فإنها هي الأسماء والعلامات الدالة عليه المنبأة عنه نظير الصورة الظاهرة في المرآة من الشاخص المقابل، فإنها أثر إشراقي مثالي فعلي من الشاخص دال عليه ومنبأ عنه، ونظير القائم والقاعد والكاتب، وما يرادفها من الأسماء المشتقة من الأفعال الصادرة عن زيد، فإنها آثار فعلية إشراقية مثالية دالة على زيد ومنبأة عنه، وليست هي عين ذات زيد وإلا لكان زيد دائما قائما أو قاعدا أو كاتبا، وهكذا لأن ذات الشيء وذاتيته لا يتخلفان عنه وهو خلاف البديهة، فكل مسمى له من حيث هو مسمى أسماء بعدد ظهوراته الإشراقية تنبأ عنه، ويدعى بها عند التوجه إليه، وكل اسم منها مبدأ لأثر خاص منه كالقائم فإنه مبدأ أثر القيام، والضارب مبدأ أثر الضرب، والكاتب مبدأ أثر الكتابة وهكذا، ومن الظاهر أن تلك الأسماء لا يصلح شيء منها إلا لمبدئية ما هو كل الأسماء المذكورة من القائم والقاعد والكاتب وغير ذلك من الأسماء الجزئية، وهي بالنسبة إليه رؤوس ووجوه وإن مخصوص به، فإن معنى القائم من حيث هو قائم لا يصلح لمبدئية الكتابة، ومعنى الكاتب من حيث هو كاتب لا يصلح لمبدئية القيام وهكذا جميع الأسماء الجزئية، وبين هذه الأسماء اسم كلي شامل لمعاني جميع تلك الأسماء، فله هيمنة عليها وهو معنى الفاعل، فإنه اسم بسيط جامع مهيمن على كل

الأسماء المذكورة من القائم والقاعد والكاتب وغير ذلك من الأسماء الجزئية، وهي بالنسبة إليه رؤوس ووجوه، وإن كانت تلك الأسماء الجزئية أيضا كلية كافية بالنسبة إلى ما تحتها من أفراد الشخصية وهي رؤوس ووجوه لها، فافهم.

والنسبة بين ذلك الاسم الأعظم الكلي وبين تلك الأسماء الجزئية نسبة الموصوف والصفات المتصلة له فإنها تعينات ذلك الاسم وتطوراته عند التوجه إلى إحداث أثر خاص يتولد منه كتولد السرير من الخشب المطلق.

إذا تحرر عندك ذلك ثم لاحظت قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1] وقول الإمام الرضا عليه السلام لعمران الصابي: (وقد علم ذوو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هاهنا)[2].

فحينئذ نبدأ ونقول: (قال الصادق عليه السلام: العبودية جوهرة كنهها الربوبية، فما فقد من العبودية وجد في الربوبية، وما خفي عن الربوبية أصيب في العبودية، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي موجود في غيبتك وفي حضرتك)[3] والمراد بالربوبية اسمه تعالى الظهوري الإشراقي الفعلي الذي ظهر به لخلقه، فأوجد به هويته التي هي العبودية في قوله عليه السلام فإن كل اسم من أسمائه تعالى مبدأ لأثر مخصوص، هو هوية مخلوق من مخلوقاته، وهذا الاسم لا يفارق ذلك

(١) فصلت ٥٣

(٢) عيون أخبار الرضا ج١ ص١٧٤، بحار الأنوار ج١٠ ص٣١٦، التوحيد ٤٣٧.

(٣) مصباح الشريعة ٧

المخلوق في حال من الأحوال؛ وإلا لفني واضمحل، كما أن اسم الكاتب لو فارق الكتابة فنيت الكتابة من حيث هي، فهو معها أينما كان، ولذا كلما نظرت إلى الكتابة دلتك على كاتب لها، فافهم.

وجزئية كل اسم وكليته بحسب عظم وجود ذلك المخلوق وصغره، فوجود النملة يحتاج إلى تعلق اسم له بقدره، ووجود الفيلة يحتاج إلى اسم بقدره، وبالجملة كلما كانت شئون المخلوق أكثر كان الاسم المتعلق به أكبر، وقد علم أولوا الألباب أنه لا وجود في الإمكان أعظم وأكمل وأشمل من وجود محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، فوجودهم يحتاج إلى تعلق اسم الله الأعظم الجامع المستغرق لجميع شئون الربوبية بكليتها به فهويتهم على طبق ذلك الاسم الأعظم لا يزيد شيء منه عليها فيكون متعلقاً لمخلوق آخر من غير توسط منهم، ولهذا كانت لهم البرزخية العظمى والوساطة الكبرى، فافهم هذا.

ثم أن جهة عبودية كل مخلوق بمنزلة المرآة لذلك الاسم الظاهر عليه، فمن صَفت مرآة عبوديته التي هي قابليته بحيث لم يبق له اعتبار من نفسه أثّر فيه ذلك الاسم المتعلق به؛ الذي هو حقيقة من ربه وظهرت فيها آثاره، فكانت هويته التي هي جهة عبوديته كالحديدة المحماة بالنار، فكان العبد بذلك فعّالاً مؤثراً متصرفاً في الأشياء بقدر سعة أشعة اسمه المخصوص به ومقدار صفاء مرآته؛ لأن جميع الآثار الواقعة في العالم مستندة إلى أسماء الله كما سخت به الأدعية المعصومية، ولا يمنعني عن ذكرها إلا وجودها عند كثير من الخاص والعام، فهذا هو السر في ظهور الكرامات الخارقة للعادات عن كثير من المؤمنين

الكاملين التابعين لطريقة محمد وآله الطاهرين - صلوات الله عليه وعليهم أجمعين - لأنهم دعوا الله تعالى بلسان قابليتهم الصادقة بشروطه التي روحها التوسل بذيل ولاية أهل بيت الرسول، فعلمهم الله تعالى اسمه الذي ظهر لهم به، وهو اسم من أسماء الاسم الأعظم الذي ظهر به على محمد وآله الطاهرين من ابتداء خلقهم لكون قابليتهم صافية من بدو الأمر، بحيث لم يبق لها اعتبار من جهة نفسها أصلاً وبذلك تمحضوا في الاسمية وقالوا: (نحن الأسماء الحسنى التي أمر الله تعالى أن يدعى بها)[1].

وتفصيل إجمال هذا المقال أن المخلوق له وجودان وجود كوني، ووجود شرعي، وكل منهما مركب من مادة وصورة خلقهما الله تعالى باسم مخصوص بهما، وهما ركنا قابلية الشيء وعبوديته المذكورة في حديث الصادق عليه السلام، والقابليات الكونية لا سعادة فيها ولا شقاوة بالمعنى الشرعي بل الخلق كلهم فيها يتساوون مطيعون منقادون لأمر الله بظاهر الكون يسبحونه تعالى بأسمائه ويقدسونه ويهللونه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2] يسبح الله بأسمائه جميع خلقه، ولكنه عبادة ظاهرية لا توجب سعادة إلا بعد موافقتها للعبادة الشرعية بعد التكليف الشرعي نظير عبادة إبليس في السماء لأن بعضهم مضمرون للعصيان على تقدير ورود التكليف الشرعي عليه ﴿ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[3].

وبالجملة الإطاعة الشرعية روح الإطاعة الكونية فما لم ترد عليها

---

(١) بحار الأنوار ج٢٧ ص٣٧، مدينة المعاجز ج١ ص٥٥٦ ، مجمع النورين ٢٢٠.
(٢) الإسراء ٤٤
(٣) آل عمران ١٧٩.

فلا حياة لها فالكون لا يتم إلا بالشرع والاسم المتعلق بإيجاد الكون أيضاً على حسبه بمعنى أنه اسم رحمة واسعة لم يتبين فيه العدل من الفضل ولما ورد التكليف الشرعي على تلك القوابل الكونية بقوله (ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم)[1].

استنطاقاً لما استجن في تلك القوابل المبهمة اختلفت الإجابات، فمنهم من قال: بلى، ومنهم من قال: لا إخباراً عما كان مستجناً في ضمير كل من الوفاق أو الخلاف، فصوّر الله مادة المؤمنين، وصورتهم الكفر يتبين باسماء رحمته الخاصة على هيكل التوحيد، وصورة السعادة الشرعية، فكانت هياكلهم من ﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[2].

بمعنى أن قوابلهم انزجرت لظهور الربوبية التي حملها إليها قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[3] واندكت لها حبالها التي هي طبائع إنيتها، فكانت بذلك مظاهر لذلك الاسم، وهياكل لذلك الطلسم كالحديدة المحماة بالنار، فكانت مؤثرة في الكون على مقدار قوة الاسم المتقدرة بمقدار القبول الشرعي منها، هذا حال المؤمنين الكاملين.

وأما الناقصون فلم يظهر فيهم أثر ذلك الاسم على التمام لضعف قبولهم الشرعي، وبقاء شوب من ظلمات الإنية في قابلياتهم، ولكنه ممكن الزوال ما دام التكليف باقياً وصوت ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ممتداً، فافهم.

وأما الكفار فصوّر الله مادتهم وصورتهم الكونيتين باسم غضبه على

---

(١) مدينة المعاجز ج١ ص٦٨، مستدرك سفينة البحار ج٣ ص٤٣٣.

(٢) النور ٣٦-٣٧

(٣) الأعراف ١٧٢

هيكل الشرك، وصورة الشقاوة الشرعية بإنكارهم، فكانت هياكلهم مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً لم يظهر فيها اسم الرحمة الخاصة ؛ بل تولدت من طبائع إنياتهم المظلمة المعوجة أسماء سوءى هي أضداد أسماء الله الحسنى التي أمر الله أن يدعى بها، فهي أسماء اقترحوها من عند أنفسهم إلحاداً في التسمية ما أنزل الله بها من سلطان، مثاله الصورة الواقعة من الإنسان الحسن الصورة في المرآة المعوجة والملونة، فإنها تدعو ذلك الإنسان بأسماء سوءى فتقول: يا قبيح ويا أصفر ويا أعوج وهكذا، وهي ليست بأسماء لذلك الإنسان، وإنما هي أسماء اخترعتها المرآة من عند نفسها من جهة اعوجاجها وكدوراتها، فافهم.

فتلك الأسماء لا ينبغي أن يدعى الله تعالى بها لأن مسميات تلك الأسماء هي الأرباب الباطلة التي تدعى من دون الله خلافاً على صاحب الخلافة الكلية الإلهية، فهؤلاء لا يستجاب لهم دعاء شرعي أبداً، وإنما يستجاب لهم دعائهم الكوني الظاهري لإجابتهم الظاهرية، نعم قد يستجاب لهم بعض الدعوات الشرعية من جهة اللطخ العارض لهم من طينة المؤمنين إلى يوم الوقت المعلوم، وأما بعد ذلك فلا أبداً، فلذا ترى أهل النار كلما دعوا الله في خلاصهم عنها ضوعف عليهم العذاب لتخلفهم حينئذ من شوائب اللطخ بالكلية.

وأهل الجنة على العكس من ذلك، فإن كل ما تشتهيه أنفسهم فهو حاضر عندهم بمجرد الإرادة، فافهم وتدبر، فهذا هو المراد بتعلم أسماء الله تعالى ودعائه بها لا مجرد تعلم اللفظ وذكره، نعم إذا وافق ذكر اللفظ ذكر القلب والتوجه الخالص إلى المسمى بالطهارة الظاهرة والباطنة، فهو حينئذ من متممات القابلية الشرعية، ومكملاتها

الموجبتين لظهور معنى ذلك الاسم في هوية الداعي، فالذكر اللساني والقلبي كل منهما شرط لتمامية الآخر لا يفيد أحدهما بدون صاحبه، ولذا أمر صاحب الشريعة صلوات الله عليه أمته بالأذكار والأدعية القولية والأعمال والرياضات البدنية، ولم يقنع بمجرد الأذكار والأعمال النفسية، كما يلوكه الجهلة والبطالون في ألسنتهم افتراءً على الله ورسله وتكذيباً لكتبه المنزلة، فإن اللسان وسائر الجوارح الظاهرة أيضاً خلق من خلق الله لم تخلق سدى بل خلقت لطاعة الله، وأداء ما يليق بها من وظائف عبادة الله.وعلى ما يقولون يلزم أن يكون بعض أجزاء قابلية المكلف لا تحتاج إلى التطهير والتزكية، وهو عند من وفقه الله تعالى لمعرفة الحكمة الشرعية التي هي العلم بحقائق الخلقة الإلهية من بداهة البطلان بمكان تضحك منه الثكلى، وبرهان ذلك محسوس في العلم الطبيعي المكتوم من وقف عليه وجد هذه الخيالات من خرافات الأقوال، ويعد قائلها من سلسلة المجانين. وأما الاسم الأعظم الذي من دعا به لا يرد دعاءه فاعلم أنه قسمان، حقيقي وإضافي.

أما الحقيقي فهو الاسم الذي لا اسم فوقه في الوجود وهو جامع لشئون الربوبية على الكمال الذي لا كمال فوقه، وبالجملة هو تجلي الله الأعظم الذي انزجر له العمق الأكبر، وهذا الاسم لا يمكن أن يحتمله على ما ينبغي إلا أربعة عشر هيكلاً نورانياً ؛ هي هياكل محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين ؛ لأن قابليتهم أول القوابل الإمكانية وأوسعها وأرجحها لقبول الوجود للطافتها ﴿يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ﴾[1] فالله تعالى استوى به على

(١) النور ٣٥

عرش هويتهم الكونية والشرعية، فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مرزوق رزقه من الفيوضات الكونية والشرعية، ولهذا الاسم ظهور كلي في جميع مراتب الوجود متنازلة إلى التراب غير أن الحامل له في جميع تلك المراتب المتنازلة أيضاً هم عليهم السلام في اللباس الذي تلبّسوا به من سنخ تلك المرتبة ؛ لأن قابلية غيرهم لا يسعه في أي رتبة كان لكون وجود غيرهم جزئياً بالنسبة إليهم، وإشراقاً واحداً ما إشراقاتهم الممكنة غير المتناهية، فافهم ثم فافهم. ولذا قال تعالى في القدسي (ما وسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن)[1] والعبد الحقيقي المؤمن الحقيقي الأولي هو محمد وآله الطاهرون عليهم السلام لا غير وفي الدعاء (أسألك باسمك الذي جعلته في مكنون غيبك و استقر عندك و لا يخرج منك إلى شيء سواك)[2].

فنسألك به (وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك)[3]. وظلّ الله في أرض الإمكان هو هياكل محمد وآله الطاهرين، والاسم هو الاسم الأعظم، الأعظم الأجل الأكرم الذي لا اسم فوقه في الإمكان، وبه قوام جميع الأسماء الإلهية، وبهذا الاسم صاروا وسائط بين الله وبين سائر خلقه في الأداء، وبه يتصرفون في الأجزاء الوجودية من العلوية والسفلية كيف يشاءون لا يمتنع شيء عن إرادتهم، فافهم منشأ المعاجز الصادرة عنهم ولا تستبعدها بوجه.

وأما الأسماء العظام الإضافية فهي كثيرة كل منها يوصف بالأعظمية

---

(١) فيض القدير ج٢ ص٦٢٩، كشف الخفاء ج٢ ص٩٩، الأعلام ج٤ ص٥١، بحار الأنوار ج٥٥ ص٣٩

(٢) مصباح المتهجد ٢٩٣، جمال الاسبوع، بحار الأنوار ج٨٨ ص ١٧٣

(٣) إقبال الأعمال ٦٧٧، البلد الأمين ١٨٣، المصباح للكفعمي ٥٣٥، مصباح المتهجد ٨١٤

بالنسبة إلى ما تحته من الأسماء بل هي بعدد أنفس الخلائق، وبيان هذا الحرف أن الوجود على وتيرة واحدة، فكل ما في الفيلة فمثله موجود في البق على مقدار وجوده، فالاسم المتعلق بهوية كل مخلوق اسم جامع لمعاني جميع الأسماء الحسنى بحسبها، والأسماء المتعلقة بأجزاء هويته وذواتها أسماء صغار جزئية بالنسبة إلى ذلك الاسم الجامع، فمن ظهر جميع أجزاء هويته الظاهرة والباطنة بمياه الآداب الإلهية ظهر فيه ذلك الاسم الجامع، وأثر في الأشياء بقدر قوته وسعته، فصاحب هذا الاسم هو العالم بالاسم الأعظم الذي إذا دعا الله به أجيب.

و سئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال: (صور عارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم، فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد؛ فقد شارك بها السبع الشداد)[1].

ومن ظهر فيه بعض أجزائها دون بعض فهو يظهر فيه وجه الاسم المتعلق بذلك الجزء خاصة، ومثل هذا الشخص قد تجاب دعوته وتمضي إرادته إذا انضم إليها بعض الأسباب والمقتضيات المرجحة وغلبت على الموانع، وقد لا تجاب ولا تمضي لوجود الموانع من جهة سائر الأجزاء غير المطهرة بخلاف الأول فإن مثله لا يكاد يرد دعاءه نعم، قد لا يجاب له أيضاً إذا كان في الخارج مانع من وقوع ذلك الأمر أقوى من اقتضاء ذلك الاسم، فافهم هذا.

وبالتأمل في مطاوي ما ذكرناه تعرف أن حصول هذا الاسم

(١) المناقب ج ٢ ص٤٩، بحارالأنوار ج٤٠ ص١٦٥، الصراط المستقيم ج١ ص٢٢٢، غررالحكم ٢٣١

للشخص لا يمكن بالتكلف، ولا يكفي فيه مجرد إرادة الفاعل القوي من الخارج إذا جرى الأمر على مقتضى الأسباب العادية، ولم يكن هنا داع قوي مغيّر لتلك الأسباب، ومهيأ لأسباب باطنية نائبة تناب تلك الظاهرة، كما كان يحصل عند إظهار بعض المعجزات من أصحاب المعاجز، بل لا بد من حصول استعداد من جهة القابل أيضاً لذلك، فمن جهة عدم حصول هذا الاستعداد في عمر بن حنظلة وعمار الساباطي لم يتحملا لظهور ذلك الاسم الكامن في هويتهما لما رأيا أشراطه، كما لم يحتمل ذلك أصحاب موسى عليه السلام السبعون حتى وقعوا ميتين؛ لأنهم طلبوا ذلك قبل حصول الاستعداد، فتدبر ولا تغفل.

وليس من هذا القبيل عدم احتمال الملائكة لما علّم آدم الأسماء، بل هذا من جهة كون الملائكة وجودات حرفية ناقصة حاملة لاسم جزئي خاص بشأن مخصوص من شئون تمام الوجود، وجزء من أجزائه التي لا يتم وجود إلا بانضمام سائر الأجزاء إليه كاليد من الإنسان التام الأجزاء، فإن الإنسان لا يتم إنساناً بمحض حصول اليد بل يحتاج إلى انضمام سائر الجوارح والأجزاء إليها حتى يحصل هنا جسم إنساني تام الخلقة، ولذا وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بالخلو عن القوة والاستعداد لما سئل عنهم، فقال: (صور عارية عن المواد عالية، عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله)، انتهى. رواه ابن شهر آشوب في المناقب والكراجكي في الغرر والدرر، والمراد بالمثال الملقى في هويته هو الاسم الإشراقي الذي بيّناه فتبصّر، ولأجل نقصان وجودهم صار كل منهم موكلاً لجهة واحدة ومسبحاً لله تعالى على حال واحدة، فإن منهم قياماً لا يركعون،

ومنهم ركعاً لا يسجدون، ومنهم سجوداً لا يقعدون، وهكذا بخلاف آدم، فإنه لكونه جامعاً مملكاً كان الاسم الذي عُلِّمه اسماً جامعاً لمعاني جميع ما عند الملائكة من الأسماء بحسب رتبته، وبهذا استحق الخلافة وسجود الملائكة له؛ لأن الاسم الذي كان عنده كان أحكى للاسم الموجود عند الخلق الأول صلى الله على محمد وآله الطاهرين، وهو معنى كون أنوارهم في صلبه في التأويل والظاهر على حاله، ومثل هذا الاسم لا يحتمله الملائكة لما عرفت من الوجه: بقي هنا دقيقة يجب التنبيه عليها وهي أن الكفار والمخالفين والمنافقين من يتلبس بأذكار بعض الأسماء الإلهية، ويقوم ببعض وظائف العبادات لا لوجه الله، بل طلباً لبعض المآرب الدنيوية الباطلة الزائلة، فيظهر فيها أثر ذلك الاسم الذي يدعو الله به من جهة كون الأشكال مغناطيس الأرواح، فيجاب له ما يريده من تلك الأمور الباطلة المخصوصة بالحياة الدنيا كما صرح بذلك في قوله ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها﴾[1] ﴿نُؤْتِهِ مِنْها﴾[2] ﴿وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾[3] وقوله ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾[4].

ومن هذا الباب تعويض الشيطان عن عبادته في الدنيا من التمكين في الأرض، وعلمه بالاسم الأعظم، فإنه علم ظاهر الاسم، وكان فتنة له ومتاعاً إلى حين لأن عبادته كانت صورة عبادة لم يرد بها وجه الله،

(١) هود ١٥.

(٢) آل عمران ١٤٥.

(٣) البقرة ٢٠٠

(٤) الإسراء ١٨-١٩

ولم يأت من الباب كطاعة العاصين لأمير المؤمنين ﷺ، والناصبين له العداوة، فإن الله سمى أعمالهم إطاعة في قوله: (أقسمت بعزتي وجلالي أن أدخل الجنة من أطاع علياً[1] وإن عصاني، وأقسمت بعزتي وجلالي أن أدخل النار من عصى علياً[2] وإن أطاعني)[3]، مع أن أعمالهم صورة إطاعة لم يرد بها وجه الله أمير المؤمنين ﷺ، وهم لم يأتوا الله من ذلك الوجه، فتبصّر.

ومن هذا القبيل أعمال أهل الحروف في بعض الأسماء الإلهية، واستخراج بعض الأدعية والأذكار بالبسط والتكسير، واستجابة دعاءهم بها مع كون العامل غير مرضي عند الله، ولا مريداً لوجه الله، ولا ينافي ذلك ما قدمناه من أن غير المؤمنين لا تستجاب لهم دعوة شرعية، فإن مرادنا بذلك حصول السعادة الشرعية الدنيوية والأخروية، وهي لا تحصل بأمثال تلك الأعمال، فإن لها طريقاً واحداً لا يخطئ، وهو الاعتقاد بولاية من أمر الله بولايته أعني أئمة آل محمد الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين، ثم العمل بما أتوا به من عند الله والمواظبة عليها بدوام الإخلاص لا غير، فمن تخلف عن ذلك فنعيمه عذاب، فكيف بشقائه وهذا هو السر في منع الأئمة عليهم السلام عن تعليم بعض الأدعية للأعداء معللين بأنهم ربما يستعملونه في الحوائج غير الشرعية، فافهم وتبصّر واعلم أن الكلام في هذا المقام طويل الذيل، وإنما اقتصرنا منه على أدنى ما يؤدى به المطلوب، فإن القلب غير مجتمع والله ولي العناية.

---

(١) في نسختنا من كتاب الإرشاد (من أطاعه)

(٢) في نسختنا من كتاب الإرشاد (من عصاه)

(٣) إرشاد القلوب ج٢ ص٢٥٧

قصة شطيطة

عن ثاقب المناقب عن عثمان بن سعيد، عن أبي علي بن راشد، قال: (اجتمعت الشيعة بنيسابور في أيام أبي عبد الله عليه السلام فتذاكروا ما هم فيه من الانتظار للفرج، وقالوا: نحن نحمل في كل سنة إلى مولانا ما يجب علينا، وقد كثرت الكاذبة ومن يدعي هذا الأمر، فينبغي لنا أن نختار رجلا ثقة نبعثه إلى الإمام عليه السلام ليتعرف لنا الأمر، فاختاروا رجلا يعرف بأبي جعفر محمد بن إبراهيم النيسابوري، ودفعوا إليه ما وجب عليهم في السنة من مال وثياب، فكانت الدنانير ثلاثين ألف دينار، والدراهم خمسين ألف درهم، والثياب ألفي شقة وأثواب مقاربات ومرتفعات، وجاءت عجوز من عجائز الشيعة الفاضلات اسمها شطيطة ومعها درهم صحيح فيه درهم ودانقان، وشقة من غزلها خام تساوي أربعة دراهم وقالت: ما يستحق علي في مالي غير هذا، فادفعه إلى مولاي. فقال: يا امرأة، أنا أستحيي من أبي عبد الله عليه السلام أن أحمل إليه درهما وشقة بطانة فقالت: ألا تفعل، إن الله لا يستحيي من الحق، هذا الذي يستحق فاحمل يا فلان لإن ألقى الله وما له قبلي حق قل أم كثر أحب إلي من أن ألقاه وفي رقبتي لجعفر بن محمد عليهما السلام حق .قال: فعوجت الدرهم وطرحته في كيس فيه أربعمائة درهم لرجل يعرف بخلف بن موسى اللؤلؤي، وطرحت الشقة في رزمة فيها ثلاثون ثوبا لأخوين بلخيين يعرفان بابني نوح بن إسماعيل، وجاءت الشيعة بالحبر الذي فيه المسائل وكان سبعين ورقة، وكل مسألة فيها بياض، وقد أخذوا كل ورقتين فحزموهما بحزائم ثلاثة، وختموا على كل حزام بخاتم، وقالوا: تحمل هذا الحبر الذي معك، وتمضي إلى الإمام

وتدفع الحبر إليه وتبيت عنده ليلة، وعد عليه وخذه منه، فإن وجدت الخاتم بحاله لم يكسر ولم يتشعب فاكسر عنها ختمه وانظر الجواب، فإن أجاب ولم يكسر الخواتيم فهو الإمام، فادفعه إليه، وإلا فرد أموالنا علينا. قال أبو جعفر: فسرت حتى وصلت إلى الكوفة، وبدأت بزيارة أمير المؤمنين عليه السلام ووجدت على باب المسجد شيخا مسنا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وقد تشنج وجهه متزرا ببرد، ومتشحا بآخر، وحوله جماعة يسألونه عن الحلال والحرام، وهو يفتيهم على مذهب أمير المؤمنين عليه السلام، فسألت من حضر عنه فقالوا: أبو حمزة الثمالي، فسلمت عليه وجلست بين يديه، فسألني عن أمري، فعرفته بالحال، ففرح بي، وجذبني إليه، وقبل بين عيني، وقال: لو تجدب الدنيا ما وصل لهؤلاء حقوقهم، وإنك ستصل بخدمتهم إلى جوارهم، فسررت بكلامه، وكان ذلك أول فائدة لقيتها بالعراق، وجلست معهم أتحدث إذ فتح عينيه ونظر إلى البرية، فقال: هل ترون ما أرى؟ فقلنا: وأي شيء ترى؟ قال: أرى شخصا على ناقة، فنظرنا إلى الموضع فرأينا رجلا على جمل فأقبل فأناخ البعير، وسلم علينا وجلس، فسأله الشيخ وقال: من أين أقبلت؟ قال: من يثرب.قال: ما وراءك؟ قال: مات جعفر بن محمد عليه السلام، فانقطع ظهري نصفين وقلت لنفسي إلى أين أمضي؟ فقال له أبو حمزة: إلى من أوصى؟ قال: إليثلاثة، أولهم أبو جعفر المنصور، وإلى ابنه عبد الله، وإلى ابنه موسى عليه السلام .فضحك أبو حمزة والتفت إلي وقال: لا تغتم، فقد عرفت الإمام .فقلت: وكيف، أيها الشيخ؟ فقال: أما وصيته إلى أبي جعفر المنصور فستر على الإمام، وأما وصيته إلى ابنه الأكبر والأصغر فقد بين عن عوار الأكبر ونص

على الأصغر. فقلت: وما فقه ذلك؟ فقال: قول النبي ﷺ: الإمامة في أكبر ولدك يا علي ما لم يكن ذا عاهة، فلما رأيناه وقد أوصى إلى الأكبر والأصغر علمنا أنه قد بين عن عوار الكبير، ونص على الصغير فسر إلى موسى فإنه صاحب الأمر. فقال أبو جعفر: فودعت أمير المؤمنين وودعت أبا حمزة وسرت إلى المدينة، وجعلت رحلي في بعض الخانات، وقصدت مسجد رسول الله ﷺ وزرته وصليت، ثم خرجت وسألت أهل المدينة إلى من أوصى جعفر بن محمد عليه السلام؟ فقالوا: إلى ابنه الأفطح عبد الله .فقلت: هل يفتي؟ قالوا: نعم، فقصدته وجئت إلى باب داره، فوجدت عليها من الغلمان ما لم يوجد على باب دار أمير البلد، فأنكرت، ثم قلت: الإمام لا يقال له: لم وكيف؟فقمت فاستأذنت، فدخل الغلام وخرج، وقال: من أين أنت؟ فأنكرت وقلت: والله ما هذا بصاحبي، ثم قلت: لعله من التقية، فقلت: قل: فلان الخراساني، فدخل وأذن لي، فدخلت فإذا به جالس في الدست على منصة عظيمة وبين يديه غلمان قيام، فقلت في نفسي: إذا أعظم الإمام يقعد في الدست ثم قلت: هذا أيضا من الفضول الذي لا يحتاج إليه يفعل الإمام ما يشاء ، فسلمت عليه فأدناني وصافحني واجلسني بالقرب منه ، وسألني فأحفى ثم قال: في أي شيء جئت؟ قلت: في مسائل أسأل عنها وأريد الحج .قال لي: سل عما تريد .فقلت: كم في المائتين من الزكاة؟ قال: خمسة دراهم .فقلت: كم في المائة؟ قال: درهمان ونصف .فقلت: حسن يا مولاي، أعيذك بالله ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟ قال: يكفيه من رأس الجوزاء ثلاثة .فقلت: الرجل لا يحسن شيئا، فقمت وقلت: أنا أعود إلى سيدي غدا

.فقال: إن كان لك حاجة فإنا لا نقصر، فانصرفت من عنده وجئت إلى ضريح النبي ﷺ فبكيت على قبره وشكوت خيبة سفري، وقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي إلى من أمضي في هذه المسائل التي معي، إلى اليهود، أم إلى النصارى، أم إلى المجوس، أم إلى فقهاء النواصب، إلى أين يا رسول الله؟ فما زلت أبكي وأستغيث به فإذا أنا بإنسان يحركني، فرفعت رأسي من فوق القبر فرأيت عبدا أسود عليه قميص خلق، وعلى رأسه عمامة خلق، فقال لي: يا أبا جعفر، النيسابوري، يقول لك مولاك موسى بن جعفر عليه السلام إلي، لا إلى اليهود، ولا إلى النصارى، ولا إلى المجوس، ولا إلى أعدائنا من النواصب، فأنا حجة الله وقد أجبتك عما في الحبر وبجميع ما تحتاج إليه منذ أمس فجئني به وبدرهم شطيطة الذي فيه درهم ودانقان الذي في كيس أربعمائة درهم اللؤلؤي وشقتها التي في رزمة الأخوين البلخيين .قال: فطار عقلي وجئت إلى رحلي ففتحت وأخذت الحبر والكيس والرزمة فجئت إليه فوجدته في دار خراب وبابه مهجور ما عليه أحد، وإذا بذلك الغلام قائم على الباب، فلما رآني ودخل بين يدي فدخلت معه وإذا بسيدنا جالس على الحصير وتحته شاذكونة فلما رآني ضحك وقال: لا تقنط ولم تفزع، إلي لا إلى اليهود و لا إلى النصارى والمجوس، أنا حجة الله ووليه، ألم يعرفك أبو حمزة على باب مسجد الكوفة مسجد جدي جري أمري؟ قال: فأزاد ذلك في بصيرتي وتحققت أمره، ثم قال لي: هات الكيس، فدفعته إليه فحله وأدخل يده فيه، وأخرج منه درهم شطيطة، وقال لي: هذا درهمها؟ فقلت: نعم، وأخرج الرزمة وحلها وأخرج منها شقة قطن مقصورة طولها خمسة وعشرون ذراعا، وقال لي: اقرأ

عليها السلام كثيرا، وقل لها: قد جعلت شقتك في أكفاني وبعثت بهذه إليك من أكفاننا من قطن قريتنا صريا قرية فاطمة وبذر قطن كانت تزرعه بيدها الشريفة لأكفان ولدها، وغزل أختي حكيمة بنت أبي عبد الله عليه السلام وقصاره يده لكفنه، فاجعليها في كفنك . ثم قال: يا معتب، جئني بكيس نفقة مؤناتنا، فجاء به وطرح درهما فيه، وأخرج منه أربعين درهما، وقال: اقرأها مني السلام وقل لها: ستعيشي تسع عشرة ليلة من دخول أبي جعفر، ووصول هذا الكفن وهذه الدراهم، فانفقي منها ستة عشر درهما، واجعلي أربعة وعشرين درهما صدقة عنك وما يلزم عليك، وأنا أتولى الصلاة عليك، وإذا رأيتني فاكتم فإن ذلك أبقى لنفسك، وافكك هذه الخواتيم، وانظر هل أجبنا أم لا قبل أن تجيء بدراهمهم كما أوصوك فإنك رسول، فتأملت الخواتيم فوجدتها صحاحا، ففككت من وسطها واحدا فوجدت تحتها ما يقول العالم في رجل قال نذرت لله عز وجل لأعتقن كل مملوك كان في ملكي قديما، وكان له جماعة من المماليك؟ تحته الجواب من موسى بن جعفر عليه السلام: يعتق من كان في ملكه قبل ستة أشهر، والدليل على صحة ذلك قوله تعالى: ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾، كان بين العرجون القديم والعرجون الجديد في النخلة ستة أشهر .وفككت الآخر فوجدت فيه : ما يقول العالم عليه السلام في رجل قال أتصدق بمال كثير بما يتصدق؟ تحته الجواب بخطه عليه السلام : إن كان الذي حلف بهذا اليمين إن كان من أرباب الدراهم تصدق بأربعة وثمانين درهما، وإن كان من أرباب الغنم فأربعة وثمانون غنما، وإن كان من أرباب البعير فأربعة وثمانون بعيرا، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾

فعددت مواطن رسول الله ﷺ قبل نزول الآية فكانت أربعة وثمانين موطنا .وكسرت الأخرى فوجدت فيها: ما يقول العالم في رجل نبش قبرا، وقطع رأس الميت؟ وأخذ كفنه؟ الجواب تحته بخطه عليه السلام: تقطع يده لأخذ الكفن من وراء الحرز، ويؤخذ مائة دينار لقطع رأس الميت لانا جعلناه بمنزلة الجنين في بطن أمه من قبل نفخ الروح فيه، فجعلنا في النطفة عشرين دينارا وفي العلقة عشرين دينارا، وفي المضغة عشرين دينارا، وفي اللحم عشرين دينارا، وفي تمام الخلق عشرين دينارا، فلو نفخ فيه الروح لألزمناه ألف دينار على أن لا يأخذ ورثة الميت منها شيئا ويتصدق بها عنه أو يحج أو يغزي بها لأنها أصابته في جسمه بعد الموت .قال أبو جعفر: فمضيت من فوري إلى الخان، وحملت المال والمتاع إليه، وأقمت معه، وحج في تلك السنة فخرجت في جملته معادلا له في عماديته في ذهابي يوما في عماديته، ويوما في عمادية ابنه، ورجعت إلى خراسان فاستقبلني الناس وشطيطة في جملتهم، وسلموا علي، فأقبلت عليها من بينهم وأخبرتها بحضرتهم بما جرى، ودفعت إليها الشقة والدراهم، وكادت تنشق مرارتها من الفرح، ولم يدخل إلى المدينة من الشيعة إلا حاسد أو متأسف على منزلتها، ودفعت الحبر إليهم، ففتحوا الخواتيم ووجدوا الجوابات تحت مسائلهم .وأقامت شطيطة تسعة عشر يوما وماتت رحمة الله عليها فتزاحمت الشيعة على الصلاة عليها، فرأيت أبا الحسن عليه السلام على نجيب فنزل عنه وأخذ بخطامه، ووقف يصلي عليها مع القوم، وحضر نزولها إلى قبرها وشهدها وطرح في قبرها من تراب قبر أبي عبد الله عليه السلام، فلما فرغ من أمرها ركب البعير وألوى برأسه نحو البرية وقال: عرف أصحابك وأقرئهم عني السلام، وقل لهم: إنني ومن جرى مجراي من أهل البيت لا

بد لنا من حضور جنائزكم في أي بلد كنتم، فاتقوا الله في أنفسكم، وأحسنوا الأعمال لتعينونا على خلاصكم وفكاك رقابكم من النار .قال أبو جعفر: فلما ولى عليه السلام عرفت الجماعة، فرأوه وقد بعد والنجيب يحث به وكادت أنفسهم تسيل حزنا إذ لم يتمكنوا من النظر إليه)[1] .

تحقيق لطيف في كيفية إعانة المؤمنين أئمتهم بالأعمال

يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب وروى هذا الحديث الشيخ ابن شهر آشوب في مناقبه عن أبي علي بن راشد وغيره مختصرا في الألفاظ ببعض المغايرة وكذا رواه الراوندي في الخرائج مختصرا أيضا، هذا ثم أن قوله عليه السلام (وأحسنوا الأعمال لتعينونا على خلاصكم ..الخ)[٤] قد ورد مثله عن أمير المؤمنين أيضا في كتابه إلى عثمان بن حنيف حيث قال عليه السلام: (أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد)[٥] ، ولا بأس ببيان هذه الإعانة والكشف عن سرها وهو أن الأعمال الشرعية على أربعة أقسام واجب ومستحب وحرام ومكروه وأما المباحات فهي إباحة تخفيف توسعة للمكلفين وإلا فلا بد في كل عمل من رجحان في أحد الطرفين من الفعل والترك ولو ضعيفا، والسر في انقسام الأعمال إلى تلك الأقسام أن الأعمال من المكلفين من متممات القوابل الشرعية ومكملاتها، فبحسب تلك أعمال تقتضي القوابل الشرعية الجزاء والإفاضة من مبدأ الفيض إن خيرا فخير وإن شرا فشر فما كان من الأعمال متمما للقابلية بجميع أفراده أو أغلبها فهو الواجب الذي لم يرضى الشارع بتركه لا إلى بدل لأدائه إلى حدوث

---

(١) مدينة المعاجز ج٦ ص٤١١، الثاقب في المناقب ٤٣٩

(٢) مدينة المعاجز ج٩ ص٤٢٠

(٣) نهج البلاغة ج٣ ص٧٠

النقص في أصل أجزاء القابلية، وكذا كلما كان متمما للمتمم كذلك، وذلك كالمقدمات الواجبة للواجبات كالوضوء والأغسال وبدلها عند التعذر وما كان منها مانعا عن ذلك التتميم بجميع أفراده أو أغلبها فهو الحرام الذي حذر الشارع ﷺ المكلفين عن فعله وأوجب لهم تركه والكلام في مقدماته كالكلام في مقدمات الواجب، وما كان منها مكملا وهو على قسمين قسم ليس في شيء من أفراده شيء من التتميم بل هو بجميع أفراده تكميل محض، وقسم يوجد في بعض أفراده غير الغالبة المتمم، فهذا بكلا قسميه هو المستحب الذي أمر الشارع به لا على جهة الإيجاب، أما الأول فالوجه فيه ظاهر وأما الثاني فهو وإن كانت توجد في بعض لأفراده حصة متممة، والمتمم لا يستغنى عنه إلا أنه لما كان التكليف بكل الأفراد حرجا لأنه قد يستغني عنه كما في البعض الخالي في نفس الأمر عن المتمم ومثل ذلك منفي بالكتاب والسنة، والتكليف بخصوص ما فيه الحصة المتممة حرج أيضا لأن المكلف لا يقدر على الاطلاع على ذلك مع كون التكليف مبنيا على التخفيف ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكمُ الْعُسْرَ﴾[1] كان مقتضى ذلك إما أن يسقط عنهم التكليف الإيجابي ويعوضهم بصدق النية بأنه لو كلفهم بأحد التكليفين قبلوا وتحملوا بأن يتم لهم نقص ذلك من فضله بتهيئهم لقبول التكليف الشاق وإما أن يسقط عنهم التكليف ولا يعوضهم، ولما تمدح سبحانه بأنه عظيم الفضل واسع الرحمة يعطي الكثير بالقليل، كان ذلك دليل الدعاء إليه والترغيب في حيزه فأسقط ذلك وقوى بفضل كرمه الضعيف فالحق بفضله ما في بعضه المتمم

(١) البقرة ١٨٥

بالمكمل البحث في التكليف، هذا في حق عامة المكلفين وأما من يراد من إيجادهم الكمال والتكميل كالأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والخصيصين من المؤمنين فالمكمل في حقهم في حكم المتمم ولهذا يكون وقوع غير الأولى وترك الأولى منهم تقصيرا في حقهم ويسمى عصيانا ولهذا قال عليه السلام (حسنات الأبرار سيئات المقربين)[1] وما كان منها مانعا عن الكمال وهو أيضا على قسمين كالمستحب على التفصيل فهو المكروه الذي نهى عنه الشارع لا على سبيل الإلزام والكلام في مقدمات كل من المستحب والمكروه كالكلام في مقدمات الواجب والحرام، ثم إن التفاوت بين أنواع تلك الأقسام الأربعة في التأكد وعدمه على حسب ما في كل منها من قوة التتميم أو التكميل وضعفهما، أو كون الفرد المتمم أو المانع في بعض الأنواع أكثر من الآخر وهو السر في أفضلية بعض الأعمال من بعض في كل من طرفي المأمور به والمنهي عنه، وكون بعض الأعمال المستحبة تكاد تلحق بالواجب كزيارة مولانا الحسين صلوات الله عليه وآله وروحي له الفداء، ولذا ورد في بعض الأخبار بلفظ الوجوب على كل من استطاع إليه سبيلا مرة في العمر، وبعض المكروهة تكاد تلحق بالحرام وبعض المحرمة تكاد تلحق بالكفر والشرك والنفاق كما يظهر من تتبع عبارات المناهي الواردة في بعض المكروهات والمحرمات، وفي الباب تفاصيل لا يسعها المقام فخذها قصيرة من طويلة.

إذا تحرر عندك ذلك عرفت أن كل من قصر من العباد في شيء من المتممات للقابلية أو في ترك الموانع عن التتميم فهو لا يستأهل دخول

---

(١) كتاب الطهارة ج٢ ص١٠٠

الجنة التي هي دار رضوان الله التي جعلها جزاء للمستحقين كائنا من كان لعدم تحقق المقتضى بعد على التمام من جهة القابل الجاذب للجزاء الخير من جهة الفاعل، إذا عرفت ذلك فاعلم أن محمدا وآله صلى الله عليه وعليهم أطاعوا الله تعالى لا يحتمل الإمكان أكمل منها، ففاضل لطيفة طاعاتهم يزيد على تكمل ذواتهم في الكم والكيف زيادة لو قسم جزء منه على جميع من في الوجود كان كافيا في تتميم نقصانهم، وناهيك في تصديق ذلك في الجملة قول رسول الله ﷺ المجمع عليه بين الفريقين (ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين)[1] . ومن الثقلين الأنبياء المرسلون وغير المرسلين بل والأئمة المعصومون ممن عدا رسول الله ﷺ كما روي عن الصادق عليه السلام (أنه لما نقل هذا الخبر عن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره فقال: وأنا من الثقلين)[2] . وورد ما يقارب مضمون هذا الخبر في غزوة أحد ولعلنا أخرجناه في القسم الأول من الكتاب، ويتلوهما في تشييد هذا المعنى ما أوردناه في القسم الأول من ثواب نفس واحد من أنفاسه ليلة المبيت على فراش النبي ﷺ، هذا مع ما في الحديث عن رسول الله ﷺ (إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم)[3] .

فإذا كان هذا حال عمل واحد من أعمال أمير المؤمنين صلوات الله عليه فانظر ماذا يكون حال مجموع أعماله، ثم انظر ماذا يكون حال أعمال رسول الله ﷺ فإذا قصر واحد من العباد في بعض الأعمال المتممة أو المكملة لحدود القابلية وكان ممن وصل حبله بحبلهم عليهم السلام

---

(١) الإمام علي عليه السلام ٦٠٦،
(٢) الإمام علي ع ص ٦٠٥.
(٣) الكافي ج ١ ص ٢٦٠

بأن قبل ولايتهم في التكليف الشرعي فخلقت طينته في الخلق الثاني من شعاع نورهم وصورت صورته على هيئة صورهم عليهم السلام، اقتضى ذلك عن جهة شرع الحكمة أن يتمموا ذلك النقص العملي بفاضل حسناتهم ويصلحوا به ما أفسده ذلك العبد بتقصيره في العمل كما صرح به الحجة عليه السلام وعجل الله فرجه في دعائه المروي عن السيد رضي الدين بن طاووس قدس سره حيث قال (اللهم إن شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا) إلى أن قال عليه السلام (وإن خفت موازينهم فثقلها بفاضل حسناتنا)[١] الدعاء.

وموضع الاستشهاد الفقرة الأخيرة فإنها صريحة في المطلوب كما ترى، وإن حدثتك نفسك أنه كيف يكون عمل الغير مكملا لقابلية الغير ؟فاعلم أنه ليس ببدع في الشريعة فإن دعاء الغير يؤثر في حق الغير بالبديهة وكذلك سائر أعمال البر من الصلاة والصوم والإحسان والحج عنه إلى غير ذلك كما ورد في الشريعة المطهرة، ومن هذا الباب الصلاة على الميت واستنابة الحج عنه وقضاء الولي عنه ما فاته من الصلاة والصوم، ومنه كون شهادة سيد الشهداء عليه السلام عوضا عن ذنوب الشيعة ووقاء لهم عن النار وورد مثله عن الكاظم عليه السلام في حق نفسه وهو ما رواه محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال :(إن الله عز وجل غضب على الشيعة فخيرني نفسي أو هم، فوقيتهم والله بنفسي، فالأئمة عليهم السلام عملوا بعض الأعمال عن شيعتهم لتكون جبرا لما كسروه بتقصيراتهم)[٢].

(١) بحار الأنوار ج٥٣ ص٣٠٣.
(٢) الكافي ج ١ ص٢٦٠

إن قلت: هذا المقدار معلوم وإنما نريد معرفة السر في ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[1].

نقول: بيان السر في ذلك مما يبعد عن العقول غير أنا نشير إلى بعض البيان عسى أن تهجم منه على حقيقة الأمر إن فكرت، وهو أن الشخص إذا عمل عملا بنية الإهداء منه إلى الغير أو التفضل عليه أو النيابة عنه أو التشريك له، وكان بينه وبين ذلك الغير مناسبة معنوية وارتباط ذاتي فقد تمثل ذلك العامل بصورة ذلك الغير في الحقيقة بالتمام كما في التصويرات الثلاثة الأولى أو في الجملة كما في صورة التشريك، وكان هو كالروح لذلك القالب المحرك له للعمل، وآيته على سبيل التقريب الوكيل العازل لنفسه من حيث هو المتمثل بمثال موكله فإنه حينئذ تكون يده يد الموكل وقوله قوله وفعله فعله، فإذا عمل ذلك العامل عملا على هذا النحو وقبل الله تعالى ذلك العمل منه كان جاذبا للأثر المترتب عليه من مبدأ الفيض فيمن ذلك الأثر أولا على ذلك الشخص العامل لأنه كالروح في إيقاع ذلك العمل، والروح مقدم على القالب رتبة فأثر فيه أثره ثم وصل فاضل ذلك الأثر إلى القالب الذي هو مثال ذلك الغير وصورته العامل لذلك العمل بالتبع، فينتفع كل منهما بأثر ذلك العمل غير أن للعامل الأصلي ضعف ما لذلك الغير منه كما ورد في بعض الأخبار وفي بعضها أزيد لكون الروح أشد مدخلا في إيقاعه من القالب وهو ظاهر، فهذا هو السر في انتفاع الشخص بعمل الغير، ولكنه مشروط بشرطين: أحدهما وجود الاستعداد في جانب القابل بأن يكون بينه وبين ذلك المؤمن العامل نسبة إيمانية ثابتة الأصل وإلا لم ينتفع بذلك أبدا ولذا قال تعالى في حق المنافقين: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ

(١) النجم ٣٩

لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1] فتدبر.

ثانيهما: رضا ذلك الغير بذلك، ولفقدان هذا الشرط ترى لا يضر العمل السوء في حق الغير إذا أتى به نيابة عنه ويضر إذا وصى بذلك كما لو أمر شخص واحدا بقتل نفس محترمة وفعله ذلك الغير نيابة عنه باختياره فإن الآمر والمباشر كلاهما مؤاخذان عند الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة، وكذلك في جانب الخير انظر في قول الله تعالى في حق المنافقين حيث قال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2] هذا أحد طرق شفاعة محمد وآله صلى الله عليه وآله في شيعتهم، وبالتأمل في هذا البيان الشافي تعرف وجه استعانتهم عليهم السلام من مواليهم في خلاص رقبتهم من النار، فإن العبد الموالي لهم كلما بالغ في إصلاح القابلية وتقريب استعداده من الفعل كانت مؤونتهم عليهم السلام في إصلاح قابليته أخف وأقل فتدبر واستقم. ومن طرق الشفاعة أن نور الولاية والمحبة الموجود في بعض المقصرين يقوم مقام ما قصر فيه من العمل في إصلاح القابلية لكون ذلك النور كالإكسير إذا ألقي على المعدن الناقص أحرق جميع ما فيه من الكدورات والظلال وألحقه بأصله الذي هو الذهب كما برهن عليه في محله، وكالماء الجاري أو الكر إذا انغمس فيه الإنسان ذهب ما فيه من الأوساخ والنجاسات العارضة وهو معنى الحديث: حب علي حسنة لا تضر معها سيئة .الخبر .ولله در بعض المشايخ حيث يقول:

(١) التوبة ٨٠.
(٢) المنافقين ٥-٦

إذا ذر إكسير المحبة فوق ما جناه

استحال الذنب أي استحالة

ومنها الدعاء والاستغفار لهم، ومنها تسليط البلايا والشدائد عليهم في الدنيا أو في البرزخ أو في المحشر أو في حظيرة النار لا في أصلها إلى غير ذلك من أسباب التطهير والإصلاح فإن حال كل من الموالين يقتضي تطهيرا وإصلاحا يوافقه ويناسبه وكل تلك الأسباب من الشفاعة فتبصر، والكلام في تفصيل تلك الأمور يخرجنا من وضع المقام وعلى من يفهم ويؤمن به السلام.

المأمون يخبر محمد بن عبدالله ببعض كرامات الإمام عليه السلام

غيبة الطوسي ﷺ عن محمد بن عبد الله بن الحسن الأفطس قال: (كنت عند المأمون يوما ونحن على شراب حتى إذا أخذ منه الشراب مأخذه صرف ندماءه واحتبسني ثم أخرج جواريه وضربن وتغنين فقال لبعضهن: بالله لما رثيت من بطوس قاطنا فأنشأت تقول:

تنقينا لطوس ومن أضحى بها قطنا

من عترة المصطفى أبقى لنا حزنا

أعني أبا حسن المأمون أن له

حقا على كل من أضحى بها شجنا

قال محمد بن عبد الله: فجعل يبكي حتى أبكاني، ثم قال لي: ويلك يا محمد أيلومني أهل بيتي وأهل بيتك أن أنصب أبا الحسن عليه السلام علما والله لو بقي لخرجت من هذا الأمر ولأجلسته مجلسي غير أنه عوجل فلعن الله عبيدالله وحمزة ابني الحسن فإنهما قتلاه ثم قال لي: يا محمد بن

عبد الله والله لأحدثنك بحديث عجيب فاكتمه قلت : ما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال: لما حملت زاهرية ببدر أتيته فقلت له : جعلت فداك بلغني أن أبا الحسن موسى بن جعفر وجعفر بن محمد ومحمد بن علي وعلي بن الحسين والحسين عليهم السلام كانوا يزجرون الطير ولا يخطئون وأنت وصي القوم وعندك علم ما كان عندهم وزاهرية حظيتي ومن لا أقدم عليها أحدا من جواري وقد حملت غير مرة كل ذلك تسقط فهل عندك في ذلك شيء ننتفع به ؟ فقال :لا تخش من سقطها فستسلم وتلد غلاما صحيحا مسلما أشبه الناس بأمه قد زاده الله في خلقه مزيدتين[٢] في يده اليمنى خنصر وفي رجله اليمنى خنصر فقلت في نفسي : هذه والله فرصة إن لم يكن الأمر على ما ذكر خلعته فلم أزل أتوقع أمرها حتى أدركها المخاض فقلت للقيمة : إذا وضعت فجيئيني بولدها ذكرا كان أو أنثى ، فما شعرت إلا بالقيمة وقد أتتني بالغلام كما وصفه زائد اليد والرجل كأنه كوكب دري فأردت أن أخرج من الأمر يومئذ وأسلم ما في يدي إليه فلم تطاوعني نفسي لكني دفعت إليه الخاتم فقلت : دبر الأمر فليس عليك مني خلاف وأنت المقدم وبالله أن لو فعل لفعلت)[٣] .

أقول : وفي مناقب ابن شهر آشوب عن محمد بن عبد الله بن الحسن المذكور مثله مقتصرا على بعض الحديث عن كتاب الجلاء والشفاء ، ورواه أيضا ابن بابويه في العيون ببعض زيادة ونقيصة والمعنى واحد غير أن فيه عبد الله بن محمد الهاشمي مكان محمد بن عبد الله وفي روايته (فقلت له : جعلت فداك إن أباك موسى بن جعفر وجعفر بن محمد ومحمد بن علي وعلي بن الحسين كان عندهم علم ما كان وما هو كائن إلى

(١) بحار الأنوار ج٤٩ ص٣٠٦، الغيبة للطوسي ٧٤

يوم القيامة وأنت وصي القوم ووارثهم وعندك علمهم) الحديث ، ثم قال الصدوق رحمه الله عقيب ذكر الحديث ما هذا لفظه : (قال مصنف هذا الكتاب : إنما علم الرضا عليه السلام بذلك بما وصل إليه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أن جبرائيل قد كان نزل إليه بأخبار الخلفاء وأولادهم من بني أمية وولد العباس وبالحوادث التي تكون في أيامهم وما يجري على أيديهم ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[1] انتهى كلامه رحمه الله.

تحقيق في طريق علم الأئمة عليهم السلام

ونحن نقول : ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يظهر من هذا الكلام إن طريق علم الأئمة عليهم السلام بأمثال هذه الأمور كان منحصرا فيما ذكره من العلم الإخباري وهو ناش من العكوف على مسلك القميين من الشيعة وإلا لكان ينبغي في مثل هذا المقام أن يقول إنما علم الرضا عليه السلام بذلك لأن الله أشهده وأشهد سائر الأئمة من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين خلق السماوات والأرض حين خلق وجعلهم تراجم مشيته وألسن أرادته يجري جميع الأمور التكوينية والتشريعية على أيديهم كما نطقت بذلك الأخبار المتواترة والنصوص المتضافرة التي تجاوزت حد الإحصاء وقد أخرج كثيرا منها هو نفسه في كتبه والباقي من هو أوثق منه من محدثي أصحابنا الأكابر كالشيخ الأجل الأعظم ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني والشيخ الثقة العين الصدوق علي بن إبراهيم القمي والشيخ الثقة العظيم الشأن محمد بن الحسن الصفار وعديله وسهيمه سعد بن عبد الله الأشعري والشيخ الجليل الثقة النبيل أبي علي بن همام وتلميذه الشيخ العدل الجليل هارون

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج١ ص٢٤١ .

بن موسى التلعكبري وأشباههم من رواة الشيعة وأساطين الشريعة جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء من حملة حفظوا ما حملوا ورعوا ما استحفظوا ولعل الغور في مطاوي أخبار كتابنا هذا الذي بأيدينا الذي هو في الحقيقة صحيفة للأبرار كما سميناه بها يرشدك إلى حقيقة ما ادعيناه مع أنه في هذا الباب قطرة من البحر الطمطام وموجة من اليم القمقام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الإمام لا يغسله إلا الإمام

الثالث والسبعون الكافي (الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسين بن علي الوشاء، عن أحمد بن عمر الحلال أو غيره، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: إنهم يحاجونا يقولون: إن الإمام لا يغسله إلا الإمام قال: فقال: ما يدريهم من غسله؟ فما قلت لهم؟ قال: فقلت له: جعلت فداك قلت لهم: إن قال مولاي إنه غسله تحت عرش ربي فقد صدق وإن قال غسله في تخوم الأرض فقد صدق قال: لا هكذا قال فقلت: فما أقول لهم؟ قال: قل لهم: إني غسلته، فقلت: أقول لهم إنك غسلته؟ فقال: نعم)[1].

تحقيق لطيف في كون الإمام لا يغسله إلا الإمام

يقول محمد تقي الشريف إن حضور الرضا عليه السلام عند أبيه عليه السلام للتغسيل وغيره مدلول أخبار كثيرة قد مر بعض منها في الأبواب السابقة ولا إشكال في ذلك بوجه لكن هنا حديث أورده الكليني رحمه الله بعد هذا الحديث في باب أن الإمام لا يغسله إلا الأئمة يوهم في بادئ النظر خلاف ذلك ولا بد من ذكره وبيان وجهه وهو ما رواه عن

(١) الكافي ج١ ص٣٨٤، بحار الأنوار ج٢٧ ص٢٩٠، مسند الإمام الرضا ج١ ص٩٢.

الحسين بن محمد (عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن يونس، عن طلحة قال: قلت للرضا عليه السلام : إن الإمام لا يغسله إلا الإمام؟ فقال: أما تدرون من حضر لعله؟ قد حضره خير ممن غاب عنه، الذين حضروا يوسف في الجب حين غاب عنه أبواه وأهل بيته)[1] .

أقول والضمير في قوله من حضره عائد إلى أبي الحسن موسى عليه السلام لكونه معهودا في هذه القضية لكون هذا السؤال في مقام الاعتراض على الرضا عليه السلام وإبطال إمامته حيث كان غائبا عن أبيه حين الوفاة، وفي بعض النسخ من حضر لغسله مكان لعله وعلى أي حال فظاهر هذا الحديث يعطي عدم حضوره عليه السلام عند أبيه سيما على النسخة الأخرى، وفي معنى هذا الحديث وزيادة ما رواه في منتخب البصائر عن معاوية بن حكيم عن إبراهيم بن أبي سماك قال: (كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام إنا قد روينا عن أبي عبد الله عليه السلام أن الإمام لا يغسله إلا الإمام وقد بلغنا هذا الحديث فما تقول فيه فكتب إلي إن الذي بلغك هو الحق قال فدخلت عليه بعد ذلك فقلت له أبوك من غسله ومن وليه فقال لعل الذين حضروه أفضل من الذين تخلفوا عنه قلت ومن هم قال حضروه الذين حضروا يوسف عليه السلام ملائكة الله ورحمته)[2] .

وقد قال بعض أصحابنا في توجيه أن ظاهر الحديث تقية إما من أهل السنة أو من نواقص العقول من الشيعة وباطنه حق إذ كان عليه السلام حاضرا وكان خيرا ممن غاب وحضرت الملائكة أيضا انتهى .

وحاصل توجيهه أنه عليه السلام استعمل التورية في الكلام جميعا بين الحقين حق التقية وحق الواقع وهو توجيه ووجه جميع متين ونظائره

---

(١) الكافي ج١ ص٣٨٥،بحار الأنوار ج٤٨ ص٢٤٧،مسند الإمام الرضا ج١ ص٩٣ .

(٢) مختصر بصائر الدرجات ١٣،بحار الأنوار ج٢٧ ص٢٨٨ .

كثيرة في الأخبار ولكن قوله (وحضره الملائكة أيضا) لا يلائم هذا التوجيه، بيانه أنه زعم أن مراده عليه السلام بالذين حضروا يوسف في الجب الملائكة خاصة وهو لا يلائم ما أول به الكلام من أن المراد بالحاضر الذي هو خير ممن غاب نفس الإمام عليه السلام لأن قوله (الذين حضروا) تفسير للجملة السابقة أعني قوله (قد حضره خير ..الخ)، فكيف يجوز المغايرة بين الجملتين في الضمير، فالتوجيه لا يتم إلا بالالتزام بكون رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام حاضرين مع الملائكة عند يوسف أيضا، وأن المراد بالرحمة في الحديث الآخر المعطوفة على الملائكة هم عليهم السلام، بل هذا الالتزام مما لا بد منه على كل حال سواء تركناه على ظاهره أم وجهناه بما ذكر وغيره لما تقرر في مذهبنا من أنه ليس في الوجود من هو خير من الرضا عليه السلام إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وبعض الأئمة الإثني عشر فتبصر، ولعلك لا تستغرب ذلك بعد ما سمعت في هذا الكتاب من الأخبار الدالة على كونهم عليهم السلام يظهرون في عهد الأنبياء السابقين، وبيان وجه ذلك منا أخذا عنهم عليهم السلام في مواطن عديدة بيانات متنوعة، وعليه فيمكن توجيه الحديث الشريف بوجه آخر أيضا وهو أن يترك الحديث في ظاهره بأن يكون المراد بمن غاب عنه نفسه عليه السلام والحاضرون الذين هم خير منه سائر الأئمة عليهم السلام فيكون مراده في الظاهر (أن غيبوا عنه) لا تبطل هذه القضية، أعني كون الإمام لا يغسله إلا الإمام لإمكان أن يحضره من هو خير ممن غاب عنه وهم سائر الأئمة الأموات ولا تبطل إمامته أيضا لعدم الكلية في القضية من ذلك الجانب فافهم، ومع ذلك لا ينافي هذا الكلام حضوره عليه السلام عند أبيه لكون الكلام خارجا مخرج المداراة والمماشاة والتنزل، وفي الواقع إثبات الشيء لا ينفي

ما عداه فحضور من هو خير منه لا ينافي حضوره معهم ولا ينافي ذلك من غاب عنه لأن المراد به الغيبة في الظاهر فلا تنافي بينه وبين الأخبار الدالة على حضوره عليه السلام عند أبيه، هذا وقد بلغني عن السيد الأجل الشريف المرتضى قدس سره في هذا الباب قول غريب وهو أنه أنكر هذه القضية أعني كون الإمام لا يغسله إلا الإمام رأسا وقال: إن ما ورد في ذلك أخبار آحاد لا تفيد علما ولا عملا، ثم استكفى في الدلالة على عدم صحة هذه الأخبار بوفاة موسى عليه السلام ببغداد والرضا عليه السلام بطوس مع كون الرضا والجواد عليهما السلام غائبين، ثم أورد على نفسه سؤالا وهو إمكان حضورهما عليهما السلام عند أبويهما بطي الأرض، وأجاب عن ذلك بأن سرعة الحركة بهذه المثابة من الجسم الثقيل ممتنع، ثم أورد سؤالا ثانيا وهو أنه لم لا يمكن أن تتلزز أجزاء الأرض التي بينه وبين الأرض المطلوبة بحيث يكون مقداره خطوة أو ما يقاربها، وأجاب عنه بأن هذا أيضا محال لأدائه إلى خراب العمارات والبلدان الواقعة في البين، ثم أورد سؤالا ثالثا وهو إمكان أن يهب الله تعالى للإمام جناحا فيطير به ويصل إلى الأرض المطلوبة في مدة يسيرة، وأجاب بأن هذا أيضا ممتنع لما برهن عليه في محله من أن الجسم كلما كان أعظم كان أثقل وحركته أبطأ فطيران الجسم الإنساني بهذه السرعة مع ما له من عظم الجثة غير معقول ،ثم أورد سؤالا رابعا وهو إمكان أن تهب ريح شديدة فترفع الإمام وتضعه في الأرض المطلوبة في مدة قصيرة، وأجاب بأن هذا أيضا غير واقع لكون مثل تلك الريح الشديدة مما يوجب وقوع الطوفان في تلك الناحية من الأرض وأدائه إلى خراب عماراتها، ولم يقع شيء من ذلك وإلا لنقل، ثم قال: إن قيل أن طي الأرض معجز

والمعجز يجري فيه ما لا يجري في غيره من خرق العادة، وأجاب بأنه قد حقق في الكلام أن المعجز إنما يجري في الأمور الممكنة وهذا من الأمور الممتنعة، ثم قال ويستغني عن تجشم إبطال هذه الاحتمالات بأنهما لو كانا حضرا عند أبويهما لكان يشهدهما الحاضرون ولم يشهدهما أحد، انتهى ملخص ما بلغني من حاصل كلامه زيد مقامه وهو غريب من مثله ولا يبعد أن يكون ذلك منه قبل أن يحصل له غور في الحقائق العلمية والله أعلم وكيف كان، فلا بأس بالتحدث في هذا الباب قليلا، فنقول والله ولي العناية: أمّا كون الإمام لا يغسله إلا الإمام فقد ورد في ذلك أخبار كثيرة وعضدتها اعتبارات العقول المستنيرة منها:

أن الأمور المتعلقة بالمعصوم عليه السلام ينبغي أن يكون كلها على أكمل وجه يمكن في الإمكان، لأن الله خلقه وانتجبه من بين خلقه وخصه بالكمال الأتم ومن تلك الأمور أمر الغسل والدفن والصلاة عليه ولا ريب أنه لا يقع شيء منها على أكمل وجه لا وجه أكمل منه لا من جهة خلوص النية ولا من جهة كمال العمل معنى وصورة إلا ممن أذهب الله عنه الرجس ظاهرا وباطنا وطهره تطهيرا،وهو معنى العصمة، فإن غير المعصوم لا يخلو من شوب قصور ذاتي إن سلمنا خلوصه من شوب التقصير الاكتسابي الاختياري، فإنا لو فرضنا وقوع صلاة مثلا تامة الأركان والشرائط من بعض الكاملين من غير المعصوم فهي مع ذلك لا تساوي صلاة المعصوم في الكمال بل لا تعتبر النسبة بينهما إلا نسبة الظل إلى ذي الظل أو القطب إلى الدائرة فلا يجوز في الحكمة أن يباشر غسل المعصوم وتجهيزه والصلاة عليه إلا معصوم مثله، وهاهنا وجوه أخر غير ذلك لا تحتملها عقول القاصرين، فلذا عدلنا عنها واكتفينا بهذا الوجه، ومع ذلك ليس في الكتاب والسنة ما

يعارض مضمون تلك الأخبار، فقد عرفت في مقدمات الكتاب أن ما هذا حاله من الأخبار ينبغي الأخذ به والعمل بمقتضاه سواء كان في الأصول أم في الفروع.

و أما قوله ﷺ (أنها أخبار آحاد ..الخ) فما ندري ما يعني بذلك فإن كان يعني بها ما عدا المتواتر مطلقا فهو من الضعف بمكان إذ لو بني الأمر على ذلك فعلى الإسلام السلام، ودعوى أن أكثر أخبارنا الواردة في الأحكام الإلهية متواترة أو مجمع عليها لعلها دعوى يظهر خلافها بأدنى التفات ممن مارس الأخبار وجاس خلال تلك الديار، وإن أراد بها ما عدا المحفوفة بقرائن القطع ففيها تفصيل وهو أن الخبر الكذائي إن كان ممن ظهرت عدالته ووثاقته لمن له أهلية الاستنباط بعد استفراغ الوسع المعتبر ولم يكن هنا معارض يكافيه، فهذا مما يجب الأخذ به إن لم يكن عمل الراوي بخلافه لا لدليل الانسداد وجواز العمل بالظن فإن فيه ما فيه بل لأمر الله تعالى بالكون مع الصادقين وعدم إيجابه التبين عند خبر العدل بدلالة مفهوم الشرط والوصف كليهما في آية النبأ، وأمر الرعاة عليهم السلام بالأخذ بقول العدل والثقة الواحد فضلا عن المتعدد في عدة أخبار بعضها مجمع عليه كمقبولة عمر بن حنظلة المروية في الكافي وغيره، ولعمل أصحاب أئمتنا عليهم السلام بذلك وإمامهم بين ظهرانيهم لا يردعهم عنه. ووجوه أخر ليس هنا محل بسطها لأدائها إلى التطويل وإن كان هنا معارض، وأعوزنا وجوه الترجيح المنقولة إلينا عن المعصوم فالحكم التوقف عند عدم الحاجة إلى العمل والتخيير عند الحاجة إليه لورود الأمر بذلك في أخبار مقبولة، ولاستلزام الطرح لكليهما طرح قول المعصوم وكون اختيار أحدهما مع طرح الآخر بمعنى عدم تجويز العمل

به ترجيحا من غير مرجح وإن كان ممن لم تظهر عدالته أو ظهر فسقه فالوجه ترك مثل هذا الخبر عند العمل والرجوع إلى القواعد والأصول المقررة الثابتة من الشريعة المطهرة ووجهه ظاهر، وأما من جهة اعتقاد صدوره عن المعصوم وعدمه فأتوقف لما مر في عناوين الكتاب من الأخبار الدالة على ذلك، وقلما يوجد مثل هذا الخبر بين أخبارنا فإن جل ما هذا حاله محفوفة إما بقرائن الصدق وإما بقرائن الكذب فالسيد قدس سره إن أراد بأخبار الآحاد التي لا تفيد علما ولا عملا ما عدا المحفوفة بقرائن القطع مطلقا فقد عرفت ما فيه من التفصيل الذي لا محيد عنه، وإن أراد خصوص هذا القسم الأخير فله وجه، ولكن كون أخبار ما نحن فيه داخلة تحت هذا القسم فيه ما فيه لورود ذلك في أخبار معتبرة مقبولة بين الأصحاب فلا مساغ لهذا القول فيه ولا أقل من التوقف، وأما حديث طي الأرض في المقام فالمنكر له مأخوذ أولا بمطالبة وجه الفرق بينه وبين معراج النبي الجسماني الثابت من ضرورة الدين وإخبار رب العالمين بقوله ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ [1] الآية، وقصة آصف وعرش بلقيس الذي أخبر عنه بقوله ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [2] الآية، وحديث سليمان الذي أخبره الله تعالى عنه بقوله ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾ [3] الآية، وما في ذلك من الأخبار، ومضى أمير المؤمنين عليه السلام إلى المدائن لتغسيل سلمان المروي من طريق الخاص والعام،

---

(١) الإسراء ١.

(٢) النمل ٤٠.

(٣) سبأ ١٢.

وحضور أصحاب القائم عليه السلام عنده من مشرق الأرض ومغربها في ليلة واحدة، وثانيا بالوهن الظاهر في تزييف الوجوه المذكورة أما الأول: فلأنه مجرد استبعاد لا يعتبر في البراهين العلمية هذا ومضافا إلى ما يأتي من بيان عدم البعد في ذلك بوجه، وأما الثاني: فلجواز وقوع ذلك في أجزاء مسافة لا عمارة فيها لعدم وجوب وقوع ذلك في خط مستقيم وسيأتي فيما بعد بيان كيفية هذا التلزز وجوازه، وأما الثالث: فبأن المدار في سرعة الطيران وبطؤه ليس على عظمة الجثة وصغرها وإنما المدار على قوة الروح المحركة لها وضعفها ألا ترى النسر فإنه مع كونه أعظم جثة من سائر الطيور الصغيرة أسرع سيرا منها وإن هو إلا لكون الروح المحركة له أقوى، وأما الرابع :فلجواز وقوع تلك الريح في خصوص الأجزاء الهوائية التي تلي الأجزاء الأرضية التي يسير فيها الإمام، ومن الجائز خلو تلك الأجزاء من العمارات كما مر في نظيره، وأما قوله (أن المعجز لا يري في الممتنع) فهو صحيح ولكن الكلام في الصغرى وقد مر وسيأتي بيان إمكان الأمر المذكور ووقوعه، وأما دعوى وجوب مشاهدة ذلك لو وقع فلا نعرف لهذا الوجوب وجها لا من العقل ولا من العادة ومع ذلك فقد رآه من رواه كالمسيب وهرثمة بن أعين كما مر وأبي الصلت الهروي كما مر، ويأتي إن شاء الله في معجزات الجواد عليه السلام أيضا .

هذا كله مع كون الوجوه غير حاضرة لاحتمال وجوه غير ما ذكر كركوب السحاب أو ركوب دابة سماوية كما ركبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج، أو حمل ملك له إلى ما يريد إلى غير ذلك من الوجوه الممكنة على أن أخبار وقوع طي الأرض من الأولين والآخرين من الأنبياء والأوصياء بل وبعض أصحابهم الكملين أيضا قد تواترت معنى

من طرق الفريقين كما يظهر ذلك لمن ورد حياضها فلا مجال لأحد إلى إنكاره وإن لم يعرف كيفية ذلك على التفصيل فإن كثيرا من الناس لم يعرفوا كيفية معراج نبينا ﷺ بل وأورد عليهم فيه مضافا إلى ذلك شبهات كثيرة كشبهة امتناع وقوع الخرق والالتئام على الأفلاك وأشباه ذلك مما لا يعرفون هؤلاء وجه اندفاعه، ومع ذلك يجب عليهم اعتقاد ذلك وعدم الالتفات إلى تلك الشبهات، ولا يجوز لهم الاعتذار عن ذلك بعدم معرفته فهم حقيقته لثبوت ذلك من الدين ضرورة على سبيل الإجمال هذا ولعلك بعد الوقوف على ما ذكر تتوق نفسك إلى الاطلاع على حقيقة هذا السر وتطلب منا بيانه وها نحن نرشدك إلى حقيقة ذلك بعون الله وتوفيقه ونقول:

إن طي المسافة البعيدة في زمان يسير بحيث يكون خارجا عن العادة يمكن على نحوين أحدهما: بمعونة أسباب خارجية يعدها صاحب المعجز بحول الله وقوته لذلك كركوب السحاب وركوب الدواب الغيبية بل والشهودية أيضا، وحمل الريح كما في بساط سليمان وإحداث جناح يطير به وحمل الملائكة له وهكذا وهي كثيرة وقد مر ذكر كثير منها في ضمن المعجزات، وليس ذلك على الله بعزيز، وهذا النحو أهون في دلالته على كمال النفس من بعض أقسام النحو الآخر الذي يأتي آنفا لوقوعه بمعونة آلة خارجية ولإمكان إعداد ذلك من الغير من غير أن يكون لذلك السائر قوة تصرف في ذلك كما يشهد بذلك حديث علي بن صالح الطالقاني وركوبه السحاب الذي مر في معجزات موسى عليه السلام فكذا ركوب بعض الأصحاب كأنس وأضرابه البساط في صحبة أمير المؤمنين عليه السلام ومسيرهم إلى أصحاب الكهف.

ثانيهما: من غير معونة من الأسباب الخارجية وهذا النحو أيضا أقسام لكن الوصول إلى حقيقة تلك الأقسام تحتاج إلى معرفة أمور:

الأول: المبدأ الأول الحق تعالى شأنه قوة لا ضعف فيه وقدرة لا عجز فيه وعلم لا جهل فيه ذلك لأنه حق الوجود الذي ليس فيه شائبة قوة وإمكان فكل الكمالات حاصلة له على الوجه الأكمل الذي لا يشوبه نقص وعدم لأنهما من خواص القوة والإمكان.

الثاني: من البين أن المحرك للأجسام بأي قسم من أقسام الحركة كان هو قوى الأرواح المركوزة فيه فكلما كانت قوة الروح أشد كان تحريكها للجسم أقوى لكن بشرط وجود الاستعداد في الجسم أيضا لذلك، ولذا ترى إذا عرض في الجسم عرض مانع عن إشراق الروح عليه قعد به عن الحركة اللائقة به كأسباب الشلل والفلج والتشنج وأشباهها.

الثالث: القوة المحركة في الروح وكذا استعداد قبول تلك الحركة في الجسم على نوعين، نوع هو الموافق لعادة أبناء نوع ذلك الحي وذلك كالحركات المتعارفة الموجودة في أفراد الإنسان مثلا، وإن اختلفت تلك الحركات في الشدة والضعف والسرعة والبطء غير أنها مع ذلك ليس شيء منها بخارج عن عادة النوع، وهذا النوع يحصل للأحياء بعناية عامة من المفيض تعالى شأنه وهي الرحمة العامة التي وسعت كل شيء، ونوع خارج عن عادة النوع وذلك كصعود الإنسان مثلا إلى السماء ومشيه على الماء وأمثال ذلك، وهذا لا يكفي في حصوله العناية العامة بل يحتاج إلى عناية خاصة وبيان أسباب استعداد تلك العناية يأتي إن شاء الله آنفا.

الرابع: قال الله تعالى في الحديث القدسي (ما زال العبد يتقرب إلي

بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وإن سكت عني ابتدأته)، الحديث.[1]

وقال أيضا (يا ابن آدم أطعني أجعلك مثلي أنا أقول للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون)[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام (وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)[3].

ورواه ابن شهر آشوب في المناقب، وروي أيضا أنه اجتاز يوما بيهودي فقال له: يا ابن أبي طالب لو أنك تعلمت فلسفة لكان يكون لك شأن من الشأن، فقال عليه السلام : وما تعني بالفلسفة أليس من اعتدل طباعه صفا مزاجه ومن صفا مزاجه قوى أثر النفس فيه ومن قوى أثر النفس فيه فقد سما إلى ما يرتقيه ومن سما إلى ما يرتقيه صار موجودا بما هو إنسان دون أن يكون موجودا بما هو حيوان فقد دخل في الباب الملكي الصوري وليس له عن هذه العناية مغير، فقال اليهودي: الله أكبر يا ابن أبي طالب لقد تكلمت بالفلسفة جميعها في هذه الكلمات القليلة)[4].

---

(١) ما وجدناه في نسخة (عوالي اللئالي ج٤ ص١٠٣) .« لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل والعبادات حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها

(٢) ما وجدناه في نسخة(شجرة طوبى ج١ ص٣٣) قال الله عز من قائل: عبدي اطعني حتى أجعلك مثلي أقول للشيء: كن فيكون تقول للشيء كن فيكون

(٣) غرر الحكم ٢٤٠،مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٢٧ .

(٤) ما وجدناه في نسخة (الصراط المستقيم ج١ ص٢١٤) (فقال الدهقان : ما رأيت أعلم منك إلا أنك ما أدركت علم الفلسفة، فقال عليه السلام : من صفي مزاجه اعتدلت طبايعه، ومن اعتدلت طبايعه قوي أثر النفس فيه - ومن قوي أثر النفس فيه، سما إلى ما يرتقيه، ومن سما إلى ما يرتقيه تخلق بالأخلاق النفسانية، وأدرك العلوم اللاهوتية، ومن أدرك العلوم اللاهوتية صار موجودا بما هو إنسان دون أن يكون موجودا بما هو حيوان، ودخل في باب الملكي الصوري، وما له عن هذه الغاية معبر، فسجد الدهقان وأسلم).

وقال الصادق عليه السلام على ما في مصباح الشريعة (قال الصادق عليه السلام العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية وما خفي عن الربوبية أصيب في العبودية)[1] .

و بيان هذه الكلمات الجامعة أن كل أثر من ظل مؤثره من حيث هو مؤثره فهو يشابهه من هذه الجهة ،والنفوس كلها خلقت من ظل صفة الربوبية الحقة فهي تشابهها في الصفة وتحكي مثالها بالفطرة ،وقد قعدت بها عن هذه الحكاية لزوم جهة الإنية التي لا يخلو منها مخلوق والنظر إليها والجريان على مقتضياتها من الأمور الدنية الخسيسة المبعدة لها عن المبدأ الحق والمسقطة لرياشها التي تطير بها إلى عالم اللاهوت المخلدة لها في الأرض الواصمة لها بوصمة القصور والجهل والضعف والعجز وهو تأويل قوله تعالى ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾[2] وقوله ﴿اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا﴾[3] الآية، فمن أدبر عن هذه الجهة الدنية وخرج عن ربقة طاعة الإنية وأقبل إلى المبدأ الحق وانقطع إلى ذلك الكمال المطلق وراض نفسه بالأمور الحقة الإلهية من العقائد الحقة والأخلاق المرضية والأعمال الحسنة الشرعية التي هي طريق العبد إلى ذلك الباب وجناحه الجاذب له إلى ذلك الجناب ومصقله المصفي لمرآة وجوده عن كدورات الطبيعة الخسيسة وماؤه المنزل من السماء لتطهير روحه وجسمه عن أرجاس الماهية الخبيثة، شابه مبدأ الحق وحكى مثاله وأصطبغ بصبغ صفاته وفعل أفعاله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الملأ الأعلى (صور عارية عن المواد

(١) مصباح الشريعة ٧، التفسير الصافي ج٤ ص٣٦٥ .
(٢) الأعراف ١٧٦ .
(٣) التوبة ٣٨ .

عالية عن القوة والاستعداد تجلى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله)[٣] رواه ابن شهر آشوب في المناقب وغيره في غيره، وقد علمت فيما سبق أن المبدأ الحق قوة لا ضعف فيه وقدرة لا عجز فيه وعلم لا جهل فيه وهكذا، فالعبد إذا بلغ هذا المقام ظهر منه على حسب مرتبته من الوجود ومقدار صفاء مرآته من آثار تلك الكمالات الحقة بعناية خاصة من الله عز وجل فتمايز بها عن أبناء نوعه، وصدر منه أمور خارقة لعادتهم المتعارفة، هذا في سائر الخلق، وأما المعصومون عليهم السلام فهذا المقام حاصل لهم من ابتداء خلقهم بحقيقة ما هم أهله لكمال استعداد قابليتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، وتلك الآثار الصادرة عن غيرهم طفح عرق ما هم من ذلك كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل (ولكن يرشح عليك ما يطفح مني فاحفظ هذا وكن منه على ذكر) الحديث.

الخامس: هذه التعينات المقدارية الموجودة في الأجسام العنصرية والفلكية من الكبير والصغير وأشباههما بالفعل ليست مما لا يمكن انفكاكها عنها أو تبدلها لمقدار الآخر لا من جهة الهيولى الأولى لأن من شأنها الصلوح لجميع التعينات، ولا من جهة الصورة الجسمية لكونها مطلقة تجتمع مع أي تعين كان، ولا من جهة الصورة النوعية من الفلكية والعنصرية وغيرها من المركبات منها لما ترى بالبديهة من أم الصورة الأرضية مثلا لو تبدل حجمها الموجود الآن بحجم أصغر منه أو أكبر لم تخرج عن الأرضية، فتلك المقادير الحاصلة لتلك الأجسام بالفعل إنما تلزمها وترجحها على سائر المقادير الممكنة من جهة دواع

---

(١) المناقب ج٢ ص٤٩.

ومقتضيات حكمية خارجية، وتلك الدواعي والمقتضيات قد تتغير بتغير المصالح فتقتضي مقدارا غير ذلك المقدار وتعينا غير ذلك التعين، مثلا الصعود إلى العلو ممكن في الحجر الثقيل وإلا لما صعد حين الدفع أو خرج عن الحجرية وكلاهما خلاف الواقع، وإنما ترجحت جهة النزول فيه على جهة الصعود لمصلحة النظام الأتم التي من جملتها تمكن الإنسان من استعماله في الأبنية التي عليها مدار التعيش، فإذا طلب من مبعوث للنبوة مثلا أن يأمر حجرا معينا أو بناء مبنيا منه فيرتفع إلى العلو ولم يكن هنا مفسدة عظيمة مانعة عن ذلك، غلب مقتضى الطلب على اقتضاء المصلحة الأولى فارتفع الحجر إلى العلو ولا يخرج بذلك عن الحجرية لأن الصعود والاستقرار بالنسبة إلى أركان ذاته على حد سواء بمعنى عدم كون أحد الأمرين من مقومات ذاته، وكذلك الحال فيما نحن فيه فالهيولى الأرضية وسائر الهيولات الجسمانية كلها قابلة لمقادير وتعينات غير متناهية، كل مقدار وتعين اقتضته الحكمة الإلهية في حال خرج من الإمكان إلى الكون على ذلك الحال وهذا ظاهر إن شاء الله.

السادس: إنما منعت هيولى أجسام هذا السواد الأعظم عن الخروج عما هي عليه من التعين الخاص الأعراض العارضة لها من جهة الإنية المعوجة التي هي جهة الإعراض عن المبدأ،واستغناء عنه الذي هو الفقر الذي هو سواد الوجه في الدارين، لأن تلك الجهة هي منشأ العجز والجهل والنقص والقصور لأنها ضد جهة الرب التي هي منشأ جميع الكمالات ومجمعها على حسب ما في الشخص منها، فإذا راض الشخص نفسه بالرياضات الشرعية الإلهية وأتعب بدنه بالوظائف

المقررة على لسان النبوات زالت عنه تلك الأعراض العارضة فلطفت روحه وجسمه واتحد أتحاد أجزاء الحجر المكتوم بعضها ببعض بحيث إن فرا فرا معا وإن بقيا بقيا معا وعاد جسمه كما قيل في وصف الحجر أنه جسداني المنظر وروحاني المخبر وقويت نفسه بحيث تصير هيولى جسمه طوع يدها فتتصرف فيها بالمد والقبض والتصغير والتعظيم والإسراع والإبطاء ولا يمتنع شيء منها عن إرادتها، مثلا إذا شاء الشخص سار في لمحة واحدة من المشرق إلى المغرب وإذا شاء تصغر حتى دخل في مثل سم الإبرة وإذا شاء تعظم حتى ملأ الفضاء الواسع، وإذا شاء امتد حتى بلغ إلى عنان السماء وإذا شاء انقبض حتى التصق بالأرض، وإذا شاء صعد إلى السماء وإذا شاء غاص في تخوم الأرض، وإذا شاء مد يده أو رجله حتى بلغتا مشرق الأرض أو مغربها وإذا شاء قبضهما بحيث لم يبق منهما عين في الظاهر.

وبالجملة يتطور بأطوار مختلفة ويتصور بصور متنوعة ولم يمنعه طور عن طور ولا شكل عن شكل ولا وضع عن وضع على خلاف عادة أبناء نوعه كل ذلك لتقوي روحه بقوة الكلمة الإلهية المتعلقة به وتلطف جسمه بحيث صار مطواعا لتلك الروح القوية ومتحد معها في الأحكام واللوازم والخواص وكذا صارت سائر الهيولات الجسمية أيضا طوع يده على مقدار سعة دائرة ما فيه من تلك الكلمة الإلهية التي هي المثال الملقى في هويته، وإنما قيدناه بذلك القيد لكون تلك الكلمة فيمن سوى المعصومين من آل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين جزئية كائنا من كان حتى سائر الأنبياء أولي عزمهم وغيرهم فإن المثال الكلي المستغرق لجميع شؤون الربوبية لم يوجد إلا في هويتهم

التي ملأت العمق الأكبر، بل هي العمق الأكبر الذي انزجر للكلمة الكلية الإلهية ولا يسع تلك الكلمة الكلية في سائر المراتب النازلة أيضا إلا هويتهم النازلة إلى تلك المرتبة وهو قول الله سبحانه في القدسي (ما وسعني سمائي ولا أرضي بل وسعني قلب عبدي المؤمن)[1] يعني محمدا وآله الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين وقول أمير المؤمنين عليه السلام (ما لله عز وجل آية أكبر مني ولا لله من بناء أعظم مني)[2]. فافهم وتبصر.

فتصرفات جميع من عداهم محدودة بحد لا محالة وإن تفاوتت في السعة والضيق، هذا واعلم أن هذا المقام حاصل لهم عليهم السلام كما مر قديما وحديثا من بدو خلقهم، وكذلك وهذا في سائر الأنبياء والأوصياء لأن النبوة والوصية ليست من الأمور الكسبية وكذا لوازمها من التصرفات المذكورة بخلاف سائر الخلق فإنه فيهم كسبي تحصيلي يتوقف على استعمال الرياضات الموظفة من أصحاب الشرائع فافهم، ثانيا وليس هنا محل بسط تلك الأمور وإنما نبهنا عليه خوفا من زلة قدم الناظرين.

السابع : قد عرفت مرارا أن عالم الملكوت الذي هو عالم النفوس المجردة روح عالم الملك الذي هو عالم الأجسام وأسافل عالم المثال الذي فيه جابلقا وجابرصا ، فمتفرقات عالم الملك وتدريجاته الزمانية والمكانية عنده كالنقطة الواحدة لانقطاع هذه التفرقات والتدرجات عنده، فوقته بالنسبة إلى هذه الأوقات المتفرقة وقت واحد ومحله محل واحد ليس فيهما هذا الامتدادات فالواقف في ذلك العالم يحيط بجميع ما في عالم الملك بنظر واحد ولا تحجبه هذه الحجب المضروبة في هذا

---

(١) تذكرة الموضوعات ٣٠.
(٢) شرح الزيارة الجامعة لسيد شبر ١٠٧.

العالم عنها، ألا ترى إلى روحك الخيالي فإنه يحيط بالتفاتة واحدة بما يريد من الأمور الغائبة عن عينك الجسمانية، ويقابله بمرآته ولا يحجبه الجدران ولا الجبال ولا السماوات ولا الأرضون عن ذلك لأن تلك الحجب لا ذكر لها في ذلك العالم الذي هو فيه وإنما وجودها العيني الجسماني في عالم الملك الذي هو تحت ذلك العالم، إذا عرفت هذا فاعلم أن الجسم إذا تلطف بمعونة الرياضات الشرعية كما مر آنفا تروّح وصار حكمه حكم الروح الملكوتي فإذا شاء الشخص خلع عنه بعض الأعراض الدنيوية أو جعلها تابعة لأصل الجسم فانتقل بجسمه إلى عالم الملكوت الذي في قوس الصعود لا الذي في قوس النزول فإن الجسم الملكي مبدؤه أسفل من ذلك، وأما الملكوت الصعودي فالشخص ينتقل إليه بجميع حروف وجوده من العقل إلى الجسم وإلا يعاد المعاد روحانيا وهو خلاف ما برهن عليه في محله فافهم. وما أظنك تفهم لأنه مما قلما تفطن به أحد، وإذا انتقل إلى ذلك العالم بقيت الأجسام المكتنفة بالأعراض الدنيوية تحت قدمه ولم يبق بالنسبة إليه قريب ولا بعيد بل تكون جميع الأجزاء بالنسبة إليه شرعا سواء ، فإذا أراد الرجوع إلى أسر القيود والحدود العرضية ثانيا برز من أي مكان من هذه الأمكنة الظاهرة شاء ولا يجب له البروز من المكان الذي صعد منه بعينه ، ألا ترى إلى الأئمة عليهم السلام فإنهم لما ماتوا انتقلوا إلى البرزخ الصعودي من المكان الذي توفوا فيه فإذا أرادوا الظهور في هذا العالم ثانيا كما كانوا يظهرون أحيانا ظهروا في أي مكان شاؤوا من البر والبحر ولا يجب لهم المضي إلى المكان الذي توفوا فيه والظهور منه وكذا القائم عليه السلام فإنه انتقل حال غيبته إلى لطيف هذا العالم الذي فيه

جابلقا وجابرصا من مكان معين وهو يظهر لمن شاء في أي مكان شاء فتبصر يا حبيبي واغتنم.

الثامن: قد عرفت أن الجسم إذا كان لطيفا كان بحكم الأرواح فحينئذ لا يكون فيه تزاحم وتضايق فيمكن أن يتلزز وينقص فيصغر حجمه ويترقق، وينبسط فيكبر حجمه كما يقع مثل ذلك في أجسام الجن والملائكة، فإن جبرئيل مع كونه يملأ ما بين السماء والأرض كان إذا خرج في صورة البشر كصورة دحية كان يخرج بقدر دحية ولو شاء حينئذ دخل في ثقب الإبرة وأصغر وهكذا، وهذا هو المعبر عنه في لسان الحكماء بالتخلخل والتكاثف وإن شئت فقل الانبساط والانقباض والفرق بين ما هنا وبين ما قررناه في الأصل الخامس أن هذا الحال هنالك منسوب إلى الهيولى خاصة وهاهنا إلى تمام الجسم المركب من الهيولى والصورة فافهم، ومن هذا الباب ما مر من تعانق النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وصيرورتهما شخصا واحدا ثم عودهما إلى ما كانا من التعدد.

إذا تمهدت عندك هذه الأصول فنقول :إن النحو الثاني من طي المكان يمكن على أنحاء منها: ما يكون بسرعة حركة السائر سرعة خارجة عن عادة النوع، وقد عرفت بحكم الأصول المذكورة أن مثل تلك الحركة السريعة ممكن في أصحاب الأرواح القوية والأجسام اللطيفة ويحققه عيانا ما نشاهد من طي الشمس والقمر مع ما لهما من عظم الجرم لتلك المسافة البعيدة في هذه المدة القصيرة، ومنها بأن يمد السائر رجله على مقدار ما يريد من ذلك فيجعل ما بينه وبين المكان المطلوب خطوة واحدة أو ما يقارب منها على حسب ما يراه من

المصلحة، ومن هذا الباب ظاهرا ما وقع من أمير المؤمنين عليه السلام من مد رجله الشريفة وضربه على صدر معاوية بالشام كما مر في باب معاجزه، وكذا مد يده الشريفة وأخذه من شاربه كما مر أيضا، وكذا مد يده وإتيانه بالثلج من جبال الشام كما مر في حديث العلقة والجارية، وهذا أحد الوجوه في تناول آصف لسرير بلقيس وإحضاره له عند سليمان وقد عرفت وجه إمكان هذا القسم أيضا، فمن الأصول المذكورة ومنها أن يتصرف صاحب الإعجاز في الهيولى الأرضية بأن يخلع منها الصورة المقدارية المعينة ويلبسها صورة أصغر منها فلا تبقى بين المكانين مسافة إلا بقدر ما يطويها في لمحة أو ما يقرب منها ثم تعود إلى ما كانت في أسرع وقت، ومنها أن يتصرف هذا التصرف في نفس الجسم التام المركب من الهيولى والصورة بتلطيف أجزائه وإدماج بعضها في بعض، وقد مر وجه إمكانها أيضا في الأصول وهذا أحد الوجوه في قول أبي جعفر عليه السلام لأسود بن سعيد (أن بيننا وبين كل أرض ترا مثل تر البناء فإذا أمرنا في الأرض بأمر جذبنا ذلك التر فأقبلت الأرض بقليبها وأسواقها ودورها حتى تنفذ فيها ما نؤمر من أمر الله تعالى)[1]

وقد مر في القسم الأول من الكتاب والمراد بذلك التر الخيط القيومي الذي طرف منه بيد الإمام وطرف منه متصل بالشيء وهو الخيط المذكور في حديث جابر الجعفي، ومنها أن ينتقل صاحب الإعجاز بجسمه إلى ملكوت الأرض ثم يظهر نفسه عند المكان الذي يريد وقد مر وجه إمكانه أيضا في الأصول، ومنها أن يأمر صاحب الإعجاز الأجزاء الأرضية فيدفعه كل جزء منها إلى ما يليه دفعا سريعا

(١) مدينة المعاجز ج٥ ص٣٠.

حتى يصل إلى الجزء الذي يريد في وقت يسير، ولعل من هذا الباب ما مر في بعض الأخبار حيث قال الراوي فيه إني رأيت الأرض تطوى تحت قدمي، وإن كان هذا الإحساس يمكن في سائر الوجوه المذكورة أيضا، هذا وكل من هذه الوجوه محتمل في تناول آصف لسرير بلقيس وفيما مر عن أمير المؤمنين عليه السلام من التصرفات المذكورة آنفا غير أن الأظهر فيها كلها الوجه الثاني الذي ذكرناه .

بقي شيء يجب التنبيه عليه وهو أن السير السريع وقد يتحقق في بعض الأنواع من جهة لطافة جسمه من أصل خلقته وذلك كالملائكة والجن فلا يعد هذا إعجازا وكرامة في حقهم لعدم كون ذلك خارقا لعادة نوعهم، كما أن الطيران في الهواء لا يعد إعجازا للطيور لعين هذه العلة وقد يحصل ببعض الحيل الصناعية التي يستوي فيها الكافر والمؤمن والسعيد والشقي وذلك كبعض الجلسات الجوكية الخارجة عن جادة الشريعة فإن بعضا منها إذا روعيت فيها الشرائط المقررة عندهم من تقليل الغذاء والنوم وغير ذلك يحصل منه القدرة على سرعة الحركة والصعود إلى الهواء والمشي على الماء وأشباه ذلك، وليست لكمال حاصل في نفس الشخص مطلوب لله تعالى وإنما هو من قبيل خلق الله تعالى لولد الزنا من النطفة الموضوعة في البطن الحرام إعطاء لكل سبب ما يقتضيه ومن هذا القبيل أيضا بعض ما يعمل بطبائع الحروف وهو علم الهيمياء فإن أهله يعملون بها ما يشابه الكرامات وما يعمل بطبائع العقاقير من الرفع والوضع والجذب والدفع والدخول في النار وعدم التأثر بها وأشباه ذلك وهو المسمى بعلم الليمياء، وإنما نبهناك عليه لتكون على بصيرة من دينك فلا تغتر

بكل من يظهر شيئا من الأمور الغريبة فتعتقد في حقه أنه من عباد الله المقربين إلا بعد التثبت والتميز التام والسلام على من اتبع الهدى .

ثم اعلم أن الأصول التي قررناها في تحقيق هذه المسألة ليست فائدتها منحصرة في ذلك بل هي مفتاح لكثير من الأسرار وأنواع المعاجز الصادرة عن أصحابها فعليك بالتأمل فيها حتى لا تكون كبعض أهل عصرنا من الجهال أشباه الحمير يقفون عند كل أمر غريب حيث لا يعرفون مورده ومصدره ولا يسألون أهله استكبارا عن ذل التعلم أو لخبث الضمير وعلى الله قصد السبيل وهو على ما يشاء قدير .

المحتويات

تحقيق لطيف في الألف غير المعطوفة ٧
كل شيء ناطق بذكر محمد وأوصيائه ٨
تحقيق لطيف في النهي عن تسمية القائم باسمه ٩
علي الأول والآخر والظاهر والباطن ٩
الكفر بعلي كفر بالله والإيمان به إيمان بالله ١١
تحقيق لطيف في معنى أن الكفر بعلي كفر بالله ١١
يجري الأرزاق على أيدينا ١٢
المصنف يتعجب من حال بعض المقصرين ١٣
حديث معرفتهم بالنورانية ١٣
تحقيق لطيف في بيان بعض فقرات حديث النورانية ٢١
بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ٢٧
إشارة لطيفة في ظهور ولي الله لأهل كل عالم بصورتهم ٢٣
الغاية من خلق العباد ٣٣
تحقيق لطيف في أن معرفة الإمام هي معرفة الله ٣٤
سعة علم الأئمة عليهم السلام ٣٤
تحقيق لطيف في علم الأئمة عليهم السلام ٣٤
هم وجه الله ٤١
تحقيق لطيف في كون المعصومين وجه الله وعينه وأذنه ٤١
أنا محمود بعثني الله تعالى أن أزوج النور من النور ٤٢

تحقيق لطيف في تسمية الملائكة ٤٢
النبي يصب الماء على يد أمير المؤمنين والملائكة تتبارك به ٤٣
تحقيق لطيف في صب النبي الماء على يد أمير المؤمنين ٤٤
أمير المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وآله في المعراج ٤٥
تحقيق لطيف في رؤية النبي أمير المؤمنين في المعراج ٤٥
ملك على صورة أمير المؤمنين عليه السلام تحت العرش ٤٧
تحقيق لطيف في ظهور أهل العصمة في العوالم المختلفة ٤٨
حياة النبي صلى الله عليه وآله وموته خير للأمة ٥٠
تحقيق لطيف في حال أجسام المعصومين عليهم السلام ٥١
مجلس الإمام الصادق لل مع أبي حنيفة في الكوفة ٩٢
تحقيق لطيف في إبطال بعض الأقوال الباطلة : ٩٥
بنا أضاءت الأبصار وسمعت الآذان ووعت القلوب الإيمان ٩٨
بيان موجز لبعض فقرات الحديث ٩٩
أسماء أصحاب الكساء ١٠٠
تحقيق لطيف في معنى اشتقاق أسمائهم من أسماء الله ١٠١
قوله تعالى أ إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ١٠١
تحقيق لطيف في كون الشرك بولاية أمير المؤمنين شرك بالله. ١٠١
تفسير قوله تعالى كنتم خير أمة ١٠٣
تحقيق لطيف في أول ما خلق الله ١٠٣
ما عرض في نفس النبي عند البيت المعمور ١٠٥
تحقيق لطيف في بعض مراتب النبي ١٠٥
تفسير قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ١١١

تحقيق لطيف في تحميل النبي ذنوب الشيعة ١١١
حديث أمير المؤمنين مع الدهقان ١١٤
تحقيق لطيف في علم أهل البيت عليهم السلام بالنجوم ١١٦
في القبر نعيم وعذاب ١١٧
تحقيق في حضور المعصومين عليهم السلام عند الموتى ١٢٠
الدنيا والآخرة للإمام ١٣٢
تحقيق لطيف في تسمية أمير المؤمنين بأبي تراب ١٣٢
البائع جبرئيل والمشتري ميكائيل والناقة من الجنة ١٣٣
علم آل محمد عليهم السلام ١٣٩
تحقيق لطيف في علم أهل العصمة عليهم السلام ١٤١
فاضل سيف علي عليه السلام أثقل على جبرئيل من مدائن لوط ١٤٤
علة حبس يونس في بطن الحوت ١٤٦
تحقيق لطيف في تقصير الأنبياء في ولاية علي عليه السلام ١٤٦
عظمة يوم الغدير ١٥٠
تحقيق لطيف في رفع القلم عن المحبين ١٥٣
تحقيق آخر في عرض ولايتهم على الجبال و....إلخ . ١٥٥
علم الكتاب كله عندهم عليهم السلام ١٧٩
تحقيق في علم أهل العصمة بالمغيبات ١٨٠
فضائل علي عليه السلام لا تحصى ١٨١
رد لكلام المبغضين والمنكرين ١٨٢
مقام الإمامة ١٨٧
سبعة بهم يرزقون وبهم يمطرون ٢٠٨

تأويل سورة التين	٢٠٩
أبو عبد الله يقضي في أمر رجل حفر جزءاً من عشر قامات.	٢١٢
تحقيق لطيف في بعض العمليات الحسابية	٢١٢
تُرد حسنات أعداء أهل البيت إلى شيعتهم .	٢١٣
تحقيق لطيف في طينة المؤمن وطينة الكافر	٢١٩
عظمة أجر زيارة الأئمة	٢٢٥
تحقيق في تفضيل زيارة الكاظمين على زيارة الحسين عليهم السلام	٢٢٥
اطلع سلمان على مكانة من أقر بالولاية	٢٢٦
تحقيق لطيف حول عدد المرات التي دار فيها سلمان حول الأرض مع الإمام	٢٢٩
أمير المؤمنين يطلع سلمان عن خبر الأسد وطاقة الورد	٢٣٤
تحقيق لطيف في تصرفهم في الوجود	٢٣٦
قوة أمير المؤمنين علي في ساحة المعركة	٢٣٨
تحقيق لطيف في معنى الولاية الكلية	٢٣٩
اليهودي الشاك في معجزة الكوز يوم معراج النبي	٢٤٩
تحقيق لطيف في بعض أسرار عالم الملكوت	٢٥٠
جني متمرد على سليمان	٢٥٣
تحقيق لطيف في ظهورهم في الأزمنة الماضية	٢٥٣
العلة في تأخير أمير المؤمنين صلاة العصر	٢٥٥
شرح لطيف لمقامات آل محمد الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين	٢٥٦
أمير المومنين هو من يغسل ويجهز سلمان المحمدي	٢٦٣
تحقيق لطيف حول مكانة سلمان المحمدي	٢٦٤
أمير المؤمنين يصرح بما سيكون في آخر الزمان	٢٦٧

تحقيق لطيف في رؤية أمير المؤمنين للأصلاب ٢٦٨
تحقيق في إراءة الحسين أمير المؤمنين للأصبغ ٢٧٠
الحسين عليه السلام يخط لأصحابه بإصبعه خطا فينفجر نهر ماء ٢٧٤
تحقيق في مسألة عطش الحسين عليه السلام وأصحابه ٢٧٥
تذييل ٢٧٨
الحسين عليه السلام يسقي أصحابه الماء بإبهامه ٢٨٠
تحقيق في بيان الحديث السابق وفيه بيان لبعض مقامات المعصومين ٢٨١
لا يقوى على حمل الاسم الأعظم إلا هم ٢٨٤
تحقيق لطيف في معنى الاسم الأعظم ٢٨٤
قصة شطيطة ٢٩٧
تحقيق لطيف في كيفية إعانة المؤمنين أئمتهم بالأعمال ٣٠٣
المأمون يخبر محمد بن عبدالله ببعض كرامات الإمام عليه السلام ٣١٠
تحقيق في طريق علم الأئمة عليهم السلام ٣١٢
الإمام لا يغسله إلا الإمام ٣١٣
تحقيق لطيف في كون الإمام لا يغسله إلا الإمام ٣١٣